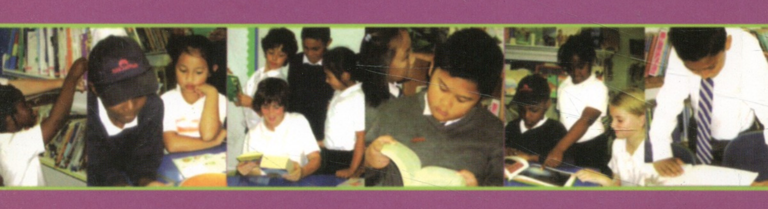


كتب الأطفال

دراستها وفهمها

دليل للمتخصصين في التربية والتعليم



تأليف

برو جودوين

ترجمة

عائشة حمدي

مجموعة النيل العربية

كتب الأطفال

دراستها وفهمها

دليل للمتخصصين في التربية والتعليم

كتب الأطفال

دراستها وفهمها

دليل للمتخصصين في التربية والتعليم

تأليف

برو جودوين

ترجمة

عائشة حمدي

مجموعة النيل العربية

English Edition Copyrights:

حقوق الطبعة الإنجليزية :

SAGE *Publications of London*

Los Angeles • London • New Delhi • Singapore • Washington DC

Understanding Children's Books, A Guide for Education Professionals. Second edition

By/ Prue Goodwin, 2008

English language edition published by SAGE Publications of London, Thousand Oaks, New Delhi and Singapore, © Prue Goodwin, 2008

Arabic Language First edition, © **Arab Nile Group**, 2011.

I.S.B.N. SAGE Publications: 978-1-84787-032-2

I.S.B.N. Arab Nile Group: 978-977-377-112-5

حقوق الطبعة العربية :

عنوان الكتاب : كتب الأطفال.. دراستها وفهمها
دليل للمتخصصين في التربية والتعليم

تأليف : برو جودوين

ترجمة : عائشة حمدي

رقم الإيداع : 24302

الترقيم الدولي : 5 - 112 - 377 - 977- 978

الطبعة : الأولى

سنة النشر : 2011

الناشر : مجموعة النيل العربية

العنوان : ص.ب: 4051 الحي السابع
مدينة نصر 11727 القاهرة – ج.م.ع

التليفون : 26717134 – 00202/26717135

الفاكس : 00202/26717135

بريد إلكتروني: info@arabnilegroup.com
sales@arabnilegroup.com
arab_nile_group@hotmail.com

الموقع الإلكتروني: www.arabnilegroup.com

جودوين، برو
كتب الأطفال .. دراستها وفهمها (دليل للمتخصصين في التربية والتعليم) / تأليف برو جودوين؛ ترجمة: عائشة حمدي.ط1.– القاهرة: مجموعة النيل العربية، 2011.
192 ص؛ 24 سم.
تدمك 5 - 112 - 377 - 977- 978
1- كتب الأطفال
أ- حمدي؛ عائشة (مترجم)
ب- العنوان 28.534

تنويه 1 :

لقد تم بذل أقصى جهد ممكن لضمان احتواء المادة المترجمة لهذا الكتاب على معلومات دقيقة ومحدَّثة. ومع هذا، لا يتحمل الناشر: "مجموعة النيل العربية" أية مسئولية قانونية فيما يخص محتوى الكتاب أو عدم وفائه باحتياجات القارئ كما أنه لا يتحمل أية مسئولية أو خسائر أو مطالبات متعلقة بالنتائج المترتبة على قراءة أو استخدام هذا الكتاب.

تنويه 2 :

إن مادة هذا الكتاب والأفكار المطروحة به تعبر فقط عن رأي الكاتب أو المؤلف لهذا الكتاب، ولا تعبر بالضرورة عن رأي الناشر.

أهدي هذا الكتاب إلى بيل وإلى كل الأطفال والطلاب والزملاء
الذين طالما شاركوني العمل في مجال كتب الأطفال.

المحتويات

نبذة عن المؤلف

يعمل برو جودوين كمحاضر ينشر مقالاته كمحرر بصفة غير رسمية في مجال التعليم وكتب الأطفال، كما يعمل لبعض الوقت مع المتدربين في مجال التدريس بـ «جامعة تعليم القراءة ـ The University Of Reading».

وفي عام 2005 أصدر برو الطبعة الثانية من كتابه «الفصل التعليمي ـ The Literate Classroom» وهوعبارة عن مجموعة من المقالات التي وضعها كبار الموجهين للعاملين في مجال التدريس، وقد قام بطبعه ديفيد فولتون، وقد طبع كتاب «الفصل الناطق ـ Articulate Classroom» عن القصص المقروءة والمسموعة عام 2001 كما طبع كتاب: «التعلم من خلال الإبداع ـ Litracy Through Creativity» عام 2004، وعادة ما يستخدم برو كلمة «الفصل» لتعريف الأطفال بمجموعة من الآداب وتشجيعهم على القراءة الحرة.

نبذة عن المساهمين في إعداد الكتاب

ليز أتينبورو: ترأست حملة «تحدث إلى طفلك» وهي الحملة اللغوية والتي بادرت بها الهيئة القومية للتعليم والتي تهدف إلى تشجيع الآباء ومن يتولّون رعاية الأطفال على التحدث بشكل أكبر مع الأطفال من الميلاد وحتى ثلاث سنوات، وقد كانت ليز تعمل كناشر لكتب الأطفال على مدى أربعة وعشرين عامًا منها اثنا عشر عامًا كناشر لكتب مؤسسة «بوفين ـ Puffin»، واعتبارًا من يناير 1998 وحتى سبتمبر 1999 تولت ليز رئاسة «العام القومي للقراءة» وهي حملة شنتها الحكومة لتشجيع القراءة من أجل المتعة في جميع أنحاء البلاد، وفي العام التالي أخذت تدرس للحصول على الماجستير في دراسات الطفولة في «كينجزكوليدج ـ King's College» بلندن.

نيكي جامبل: هي مستشارة تعليمية متخصصة في أدب الأطفال والتعليم من خلال الدراما والفن، وقد تولت إدارة مؤسسة «رايت أواي ـ Write Away» التي تهدف إلى تعزيز دور الأدب والفنون في مجال التعليم، وكانت نيكي تعمل كمدرسة منتظمة بالمدارس الابتدائية والثانوية، ومن ثم فقد قامت بتدريس الطلاب بناءً على برامج تدريب المدرسين خلال مرحلة التعليم الأساسية، وقد استمرت في العمل مع الأطفال والصغار والمدرسين والأُسر في كافة المناحي التعليمية الرسمية وغير الرسمية، وتتضمن مطبوعاتها الحديثة ما يلي: كتاب الحكايات الخيالية داخل الأسرة «Family Fictions» والذي صدر عام 2001 بالاشتراك مع نيك توكر وكشف أسرار أدب الأطفال Exploring Children's Literature والذي صدر عام 2008. وقد صدرت الطبعة الثانية بدار بول شابمان للطبع والنشر «Paul Chapman» بالتعاون مع سالي ييتس، وكذلك القراءة الإرشادية «Guiding Reading» والذي صدر عام 2006 الطبعة الثانية بالتعاون مع كل من أنجيلا هوبسبوم وديفيد ريدي.

د. ميل چيبسون: ترأست كثيرًا من المحافل والمنتديات التدريبية والتعزيزية بشأن القصص الفكاهية والكتب والقصص المصورة التي تحتاجها المكتبات والمدارس وسائر المؤسسات التعليمية وذلك منذ عام 1993 عندما أسهمت في الوصف التصويري لتطوير مجموعات

القصص المصورة للمرحلة العمرية التي تتراوح بين 16 – 25 عامًا والذي تمت طباعته بمجموعة مكتبات الشباب Youth Libraries Group (YLG)، كما تعمل د. ميل كأستاذة بجامعة «نورثمبيريا ـ Northumbria» وقد كان موضوع رسالتها للدكتوراة هو «ذكريات نساء بريطانيا عن قراءاتهن الفكاهية في طفولتهن». وهي تعد زميلة بهيئة التدريس القومية، كما منحت جائزة «كارنيجي ـ Carnegie» و«كيت جرين أواي ـ Kate Greenaway» والتي منحت لمجموعة مكتبات الشباب، وهي تعتمد في تدريسها على نصوص أدب الأطفال وكذلك الكتب المصورة والقصص الفكاهية للقارئ المتطور.

جوديث جراهام: على الرغم من أنها أحيلت رسميًّا إلى التقاعد وتتمتع بممارسة دور الجدة إلا أنها ما زالت تعمل من وقت لآخر بجامعة رمهامبتون إلى جانب عملها بكلية التربية بجامعة كمبريدج، وقد تركزت اهتماماتها على كافة مجالات التعليم وأدب الأطفال، وهي مؤلفة كتاب «صور على الصفحات» وكتاب «اختيار الكتب الجيدة» وقد تم طبعهما بمؤسسة «نيت ـ NATE» عامي 1990 و1997 اشتركت مع أليسون كيلي في تأليف كتابي «القراءة في ظل الرقابة ـ Reading Under Control» و«الكتابة في ظل الرقابة ـ Writing Under Control» وقد تمت طباعتهما بمؤسسة ديفيد فولتون عامي 2007 و2003، كما شاركت فيونا كولينز في تأليف كتاب «القصص الخيالية التاريخية»: الإلمام بالأحداث الماضية والذي طبع أيضًا بمؤسسة ديفيد فولتون عام 2001. وهو عبارة عن مجموعة من قصص التراث الخيالية الموجهة للأطفال.

د. جيليان لاثي: وتعمل أستاذًا مساعدًا في مجال أدب الأطفال بجامعة روها مبتون كما أنها مديرة للمركز القومي للبحوث في مجال أدب الطفل، وقد بدأت حياتها كمدرسة للأطفال بشمال لندن ثم انضمت إلى فريق العمل بجامعة روها مبتون في مجال تدريب المدرسين، وقد أدى شغفها باللغات وعشقها للأدب والطفولة إلى أن أصبحت الآن تدرِّس أدب الأطفال بالمرحلة الجامعية ولطلبة الماجستير على حدٍّ سواء، كما تُشرف على المشروعات الخاصة بأدب الأطفال التي يتقدم بها الطلبة لنيل درجة البكالوريوس، وعلاوةً على ذلك فهي تُجري أبحاثًا في أساليب الترجمة للأطفال وتاريخها، كما تتولى الإشراف على جائزة أدب الأطفال في الترجمة والتي تُمنح كل عامين في شهر مارس.

آن لازيم: وقد كانت تعمل كأمينة مكتبة بمركز التعلم لمرحلة التعليم الأساسي CLPE بلندن على مدى خمسة عشر عامًا كما عملت من قبل بمكتبات المدارس والمكتبات العامة، وتعمل حاليًّا أستاذ كرسي بالقسم البريطاني بالمجلس الدولي لكتب الصغار IBBY، وقد انضمت إلى اللجنة التنفيذية الدولية التابعة للمجلس، وقد أنهت آن دراسة الماجستير في أدب الأطفال بجامعة روهامبتسون،ولها اهتمامات منذ زمن بعيد بالقصص التقليدية الموروثة وكيفية إعادة روايتها وتوضيحها بمختلف الدول والثقافات.

د. ميشيل لوكوود: تلقى تعليمه بالمدارس في أكسفورد قبل أن يصبح محاضرًا في مجال اللغة الإنجليزية والتربية بـ «جامعة تعليم القراءة ـ The University of Reading» حيث يعمل مديرًا للدورات التدريبية الخاصة بالبرامج الإنجليزية، وقد تركزت أبحاثه واهتماماته التعليمية على معرفة اللغة بالنسبة لتلاميذ المدارس الابتدائية وطلاب تكنولوجيا المعلومات ومدرسيها وكذلك أدب الأطفال لا سيما الشعر، ومن بين مطبوعاته: (فرص تعلم الإنجليزية بالمدارس الابتدائية) والذي طبع بمؤسسة ترنثام 1996، و(الشعر ضمن ساعات التعلم وخارجها) والذي طبع بمؤسسة راليك 1999، والمشاركة في كتاب (الفصل الناطق) ديفيد فولتون 2001، و(التعلم من خلال الابتكار) ديفيد فولتون 2004 بالإضافة إلى كتابة بعض النصوص التعليمية وقصائد للأطفال يتعلمونها بالفصول.

كاتريونا نيتشولسون: وقد كانت تعمل مدرسةً بالمدارس الابتدائية والخاصة قبل أن تصبح محاضرة للغة الإنجليزية والتعليم في «University of Reading»، وقد شاركت في إدارة الحلقات الدراسية CIRCL، كما عملت كمدرِّسة لطلاب الماجستير في مجال أدب الأطفال، وتتضمن مطبوعاتها الحديثة ما يلي: المشاركة في كتاب «دليل كامبريدج لكتب الأطفال الإنجليزية 2001» وكتاب الأطفال في حرب جريدة دولية تختص بالدراسات المتعلقة بأطفال الحروب والمجبرين على الجلاء 2004 وكذلك المشاركة في كتاب (التعلم من خلال الابتكار) ديفيد فولتون 2004 وكتاب (نقد أدبي للقرن العشرين) تومسون جيل 2006.

د. مارجريت بيركينز: عملت لعدة سنوات في التدريب المبدئي للمدرسين بمؤسسات مختلفة. وقد قامت بالتدريس لمرحلة التعليم الأساسي بأكملها على الرغم من عملها بشكل رئيسي

كمدرِّسة للصغار، وقد تركزت أبحاثها على المدرسين كقراء وعلى تدريس القراءة، وهي تهتم اهتمامًا كبيرًا بأفكار الأطفال وردود أفعالهم تجاه الثقافة السائدة، وفي عام 1998 اشتركت في تأليف كتاب (لغة التدريس والتعليم في السنوات الأولى) بالتعاون مع ديان جودوين والذي طبع بمؤسسة ديفيد فولتون.

د. **فيفيان سميث**: كانت تعمل كمدرِّسة للمرحلة الابتدائية في سافولك قبل أن تحصل على الدكتوراه وترتقي إلى مراحل تعليمية أعلى، وهي الآن تعمل كمحاضرة بقسم الطفولة والدراسات التمهيدية بجامعة ستراثسلايد حيث تقوم بالتدريس ضمن فريق اللغة وتواصل أبحاثها فيما يتعلق بأدب الأطفال والتعلم النقدي وتنمية هواية القراءة لدى الأطفال. وقد كانت قارئة متحمسة لكتب الأطفال لعدة سنوات، وقد انصب اهتمامها خلال فترة من الفترات على وجه الخصوص على أثر الكتب المصورة والكتب ذات الأوراق الرقيقة في توجيه الأطفال نحو المشاركة داخل الفصل وأن يكونوا قراء جيدين لمختلف أنواع النصوص.

شكر وتقدير

أتوجه بجزيل الشكر لكل من الأطفال والآباء والعاملين بمدرسة إس تى جوزيفز آرسى الابتدائية ـ جيلدفورد ومدرسة إس تي جونز سي إي الابتدائية لما قدموه لي من المعارف والصور لتغطية موضوعات الكتاب إلى جانب أشياء أخرى كثيرة.

كما أتوجه بالشكر لمؤسسة ديفيد هايمان لمنحي تصريحًا بإعادة طبع صفحتين من كتاب الأطفال «My Uncle is a Hunkle» للمؤلف كلاريس بين، كما أدين بالفضل لباالجريف ماكميلان للسماح لي بإعادة طبع مقتطفات من مقدمة كتاب «أدب الأطفال الحديث» للمؤلف رينولد. ك.

وأدين بالفضل أيضًا لأصدقائي وزملائي ممن ساهموا ببعض الفصول في هذا الكتاب.

الفصل الأول عالم من كتب الأطفال

برو جودوين

يتناول هذا الفصل ما يلي:

- أهمية التحمس لكتب الأطفال والاستمتاع بها لكل من يتعامل مع الأطفال وصغار السن.
- نشاط الطبع والنشر.
- طرق تطوير المعرفة المتخصصة فيما يتعلق بكتب الأطفال.

لقد أمضيت طيلة حياتي أستمتع بكتب الأطفال وأقوم بتجميع موضوعاتها والمشاركة فيها. ومن بين ذكرياتي المبكرة أنني كنت أرى صورة والديَّ وهما يقرآن لي بصوت مرتفع، والآن أجد أن من أمتع لحظات حياتي هي تبادل الكتب مع الآخرين إذا ما رغبوا في ذلك سواءً كانوا أطفالًا أو زملاء أو غير ذلك، ولحسن الحظ فإن تقديم الكتب للناس لاسيما أولئك الذين اختاروا العمل مع الأطفال يعد مسئولية مهنية، فخلال سنوات عملي في مجال التعليم كانت لديَّ قناعة تامة بأن معرفتي بكتب الأطفال وسعادتي بها كانت هي محور الارتكاز لأي نجاح أكون قد حققته في تمكين صغار المتعلمين من أن يحبوا القراءة ويُقبلوا عليها.

ويحدوني الأمل في أن يكون هذا الكتاب مقدمة لمتعة التعامل مع الأطفال والقدرة على الكتابة لهم وتوضيح ما قد يحتاجون إلى فهمه، وهو يهدف إلى توفير المعلومات اللازمة عن كتب الأطفال لأي شخص يتعامل مع الأطفال وصغار السن عن طريق الكتب، وهو موجه خصيصًا لمن يمتهنون مساعدة الأطفال على الإقبال على القراءة طيلة حياتهم كالمدرسين وأمناء

المكتبات ومساعدي المدرسين والمتخصصين في التعامل مع الأطفال خلال المرحلة التأسيسية وما بعدها.

ومن الضروري أن تتوافر الشروط الآتية فيمن يحترفون العمل مع الأطفال :

- أن يكونوا على علم بعالم كتب الأطفال.
- أن يكونوا على علم بالقائمين على الكتابة والرسم للأطفال ودور النشر التي يتعاملون معها.
- أن يكونوا مدركين للدور الأساسي الذي تلعبه الكتب في تنمية أفكار الأطفال وأخلاقياتهم وروحانياتهم.

إن أكثر الناس تأثيرًا في تشجيع الأطفال على حب القراءة هم عائلات هؤلاء الأطفال وأصدقاؤهم؛ لذا فهذا الكتاب سيكون مفيدًا بالنسبة لهم أيضًا.

وإذا ما استطعنا - كمتخصصين في مجال التعليم - أن نفهم عالم كتب الأطفال فهمًا كاملًا فإن هذا سيساعدنا على إدراك كافة وجهات النظر المتباينة التي يبديها أناس من ذلك العالم. فعلى سبيل المثال نجد أن القائمين على التعليم وأمناء المكتبات ينصب عملهم على خلق قراء يتمتعون بالكفاءة والثقة، أما الأكاديميون فهم يدرسون مجموعة من النظريات التي قد تحمل تفسيرات بديلة لنص ما، على حين أن الناشرين يبحثون دائمًا عن الكتب التي تحقق لهم أفضل المبيعات، وهم يتبارون في وضع عناوين جذابة لإصداراتهم، ومن ناحية أخرى يسعى الكتاب والمؤلفون - من منطلق فنهم الإبداعي - إلى توصيل شيء ما للقارئ مدفوعين بحماسهم في هذا المضمار، وهذا الفصل التمهيدي يتناول بإيجاز الجوانب والموضوعات المتعلقة بإنتاج كتب الأطفال تحت العناوين الفرعية التالية: النشر والطباعة تعلم القراءة وتنمية المعرفة المتخصصة بكتب الأطفال.

ما هي كتب الأطفال؟

والإجابة البسيطة على هذا التساؤل قد تتمثل في أنها الكتب الموجهة للقراء تحت ثمانية عشر عامًا، ومع ذلك فعندما تبدأ في إلقاء هذه الجملة يتضح أنه من المستحيل أن نضع تعريفًا لكتب

الأطفال بشكل مباشر كهذا، هناك الكثير من كتب الأطفال المختلفة الأنواع كما هو الحال بالنسبة لكتب الكبار التي تتراوح ما بين الروايات وكتب المعلومات والشعر والقواميس والقصص القصيرة وكتب الرحلات والمسرحيات والسِّير الذاتية والنشرات السنوية وغيرها. وفي واقع الأمر فهناك العديد من النسخ التي تنتمي لكل نوع منها؛ لأن طفل السادسة لا يرغب بطبيعة الحال في قراءة الكتب التي قد تحلو للمراهقين ممن تخطوا العاشرة، فهناك الروايات وكتب المعلومات وكتب الشعر وغيرها والتي تخص كل مرحلة من مراحل الطفولة بدءًا من سنيِّ الطفولة المبكرة وحتى مشارف البلوغ، ويضم كل نوع أيضًا مجموعة من الكتب فمثلًا تشتمل القصص الخيالية للأطفال على روايات تاريخية وأخرى معاصرة والخيال العلمي والقصص البوليسية والمغامرات وقصص الرعب والقصص الرومانسية، وعندما نصف كتابًا على أنه قصة للأطفال فلابد وأن نتذكر أن معظم كتابات الأطفال تنصب على رواية الحكايات. وعندما نتحدث عن قصة مارجيري ويليامز «الأرنب المخملي» وموضوعها عن لعبة ضائعة، وباعتبارها قصة أطفال فعلينا أن نتذكر أن نفس المسمى ينطبق على رواية «افعلها ـ Doing It» للمؤلف ميلفين بيرجيس (2003) وهي تتناول التجارب الجنسية لثلاثة من الصبية في مرحلة البلوغ المتأخرة، وبمعنى آخر فإن من الخطأ أن نشير إلى كتب الأطفال باعتبارها مجموعة متجانسة، فهذا الاعتقاد قد يؤدي إلى اللبس؛ فكل موضوع يختلف طبقًا لنوعه ومستواه الأدبي وأسلوبه التوضيحي، وهذا الاختلاف لا يقل أثره عن مثيله بالنسبة لكتب البالغين.

طباعة كتب الأطفال

وثمة تشابه آخر بين طباعة كتب الأطفال وكتب البالغين ألا وهو الكميات الضخمة التي يصدر بها كلا النوعين من الكتب سنويًا، والقليل نسبيًّا من مئات هذه العناوين يعد ذا قيمة أدبية والأقل يعد من الكتب الأكثر مبيعًا. وقد يكون هناك كتاب أو اثنان يتميزان بمستوى رفيع في الصياغة والأسلوب بحيث يجتذبان العديد والعديد من القراء حتى يكتسبان مكانة أدبية رفيعة، إن طبع الآلاف من كتب الأطفال سنويًا يعد دليلًا على المناخ الصحي الذي تتمتع به تجارة كتب الأطفال في المملكة المتحدة، ومع ظهور رواية هاري بوتر عام 1997 أصبحت الكتابة للأطفال عملًا تجاريًّا كبيرًا، وهناك بعض كتب الأطفال التي تحظى حاليًّا بدعم بعض المتخصصين في التسويق

بحيث تفرد لها ميزانيات ضخمة بغرض الدعاية والترويج، ويحقق القليل من الكُتَّاب الناجحين شهرة واسعة بينما يحصل كاتب أو اثنان على شهرة نجوم السينما والتليفزيون، وإذا نالت الكتب إعجاب الجماهير فإن تحويلها إلى فيلم سينمائي أو مسلسل تليفزيوني أو مسرحية يجذب إليها المزيد من الجماهير. ونتيجة لذلك تصبح الدمى وألعاب الكمبيوتر صفقات دعائية مربحة، وعلى الرغم من ذلك فإن مقابل كل كاتب من كُتَّاب الأطفال المشاهير هناك مائة مؤسسة تسعى لطبع أعماله. ولا يعد الكثير من كُتَّاب الأطفال من الأثرياء وهو ما يصدق أيضًا على الفنانين الذين يجسدون شخصيات تلك الكتب ويعملون على إبداع النوع الآخر المرئي وهو الكتب المصورة.

التجارة والتعليم

تضم الطباعة قطاعين مختلفين يرتبطان بصغار القراء وهما التجارة والتعليم، وتعتبر دور النشر التجارية المتخصصة في كتب الأطفال هي المقابل لمثيلتها المتخصصة في كتب الكبار ويتمثل سوقها في الجماهير التي تُقبل على شراء الكتب والتي تضم متخصصين يشترون الكتب لأغراض المدارس والمكتبات، وتقوم مؤسسات النشر التعليمية بطبع الكتب الدراسية وطرق تعليم القراءة والكتب الإرشادية للمعلمين، ويتمثل سوقها في المدارس وقليل من المتخصصين في تعليم النطق، ولقد أدت المجادلات بشأن تعليم القراءة إلى ظهور آراء خاطئة فيما يتعلق بالاختلافات بين الكتب التجارية (والتي تسمى أحيانًا الكتب «الحقيقية») والكتب التعليمية، وفي كثير من الأحيان تكون تلك المجادلات تافهة أو غير ذات أساس من الصحة، إن المطبوعات التجارية والتعليمية تخدم أغراضًا مختلفة وأناسًا شتى.

وتقدم دور النشر التعليمية «الأدوات» الوظيفية التي يحتاجها المدرسون في تعليم القراءة. وهناك أيضًا دور للمواد التعليمية التي تقدم نصوصًا جذابة يمكن قراءتها في أوقات معينة كالرحلات والعطلات لتحبيب الأطفال في القراءة، ولكن لم يكن أحد يتوقع الخبرة الأدبية الجذابة التي نستمدها من رواية «فلنذهب» أو «Here We Go» (جانيت وجون ـ الجزء الأول). إن المناهضين للنصوص التعليمية قد يغرسون في صغار الأطفال العزة والكبرياء الشخصي بالإضافة إلى تنمية مهاراتهم، إلا أن مثل هؤلاء القراء قد لا يشعرون بتلك الاستجابات العاطفية التي يتعمق الشعور بها والتي يتيحها الاطلاع على الأعمال الأدبية العظيمة.

إن الكتب التي تستحق أن توصف بأنها أعمال أدبية يوفرها الناشرون التجاريون، وعلى الرغم من أنها لا تستهدف خدمة أي غرض تعليمي إلا إنه ليس ثمة شك في أن الكتب التجارية التي تتميز بجمال الصياغة والإخراج يمكن أن تكون من أكثر مصادر التعليم فعالية إلى جانب أنها تعمل على إثراء خبرات القراءة لصغار القراء، فهذه الكتب ليست مجرد وسيلة لتعلم القراءة ولكنها تعد دافعًا وحافزًا للاستمرار فيها.

إن دور الطباعة والنشر هي أولًا وأخيرًا مؤسسات تجارية فهي تستهدف بيع الكتب والتربح منها، ولكن هذا لا يعني أن الربح المادي هو الحافز الوحيد لنشاط الطباعة، نظرًا لأن معظم القائمين على طبع المنشورات التعليمية وكتب الأطفال يتوقون لنشر كتب للأطفال تتوافر فيها المعايير المثلى للكتابة والرسوم التوضيحية والإنتاج، وعلى الرغم من ذلك فثمة تحذير يتمثل في أن مؤسسات التسويق التي تتبع هؤلاء الناشرين تدرك قيمة بيع إصداراتها للمدارس، ولكنها نادرًا ما تفهم كيفية تعليم الأطفال القراءة، وقد أدى هذا في الماضي إلى انتشار طرق تسويق خاطئة ومضللة لاسيما فيما يتعلق بأعمار القراء وقائمة المناهج المختلفة المستويات والتي تشتمل عليها خلفيات الكتب. ومن المهم أيضًا أن ندرك أن المؤسسات الإعلامية متعددة الجنسيات والتي تتمتع بنفوذ كبير فى السوق يتوافر فيها كلا النوعين من القطاعات التجاري والتعليمي. إن المدرسين وأمناء المكتبات وغيرهم ممن يهتمون بأنواع معينة من الكتب قد لا يتفهمون العناوين التي تضعها دور النشر المستقلة الأصغر حجمًا، إنها لفكرة جيدة أن نضيف إلى كتب الأطفال يوميات مثل «الحفل الصاخب» «Carousel» أو كتب ينبغي الاحتفاظ بها «Books For Keeps» أو أمين مكتبة المدرسة «School Librarian».

تعلم القراءة

إن القراء الحاذقين نادرًا ما يدركون عمليات المعرفة التي يمرون بها عند قراءتهم لنصٍّ جديد، وعلى الرغم من ذلك فإذا ما طُلب منهم أن يوضحوا كيف يمكنهم أن يستخرجوا معنى من خلال مجموعة من الرموز المتراصة بجانب بعضها البعض في شكل كلمات وجمل وفقرات وفصول عندئذٍ يمكننا أن نحدد ثلاثة عناصر للفهم، إن كافة القراء يفهمون ما يلي بدرجات متفاوتة:

- على المستوى الحرفي: يرون الرموز ويترجمونها إلى أصوات يمكن التحدث بها وإلى معان حرفية.
- وفيها يتجاوز المعنى الحرفى فَهُم يطبقون عليه معارفهم وأحكامهم وخبراتهم.
- وعلى المستوى الشخصي يظهر رد فعل عاطفي تجاه ما يقرأونه من نصوص (متعة، ملل، بهجة، خوف، غضب، تسلية، إلهام، ضيق، لا مبالاة)، وهذا ما يدعم فهمنا للنص فهمًا عميقًا بشكل يفوق سائر عناصر القراءة.

وأول الحواس المستخدمة في القراءة هي العين والثانية العقل والثالثة القلب، إن اشتراك القلب في عملية القراءة يميز القارئ من الشخص الذي يعرف القراءة فحسب. وعلى معلم القراءة الجيد أن يتيقن ـ من البداية ـ من أن الأطفال لا يتعلمون كيفية القراءة فحسب ولكنهم يتعلمون أن يكونوا قراء.

والسوق تحفل بكثير من الكتب.التي تشرح كيفية القراءة وكيفية تدريسها وكيف يصبح الأطفال قُراءً. (مثل كتاب أبليارد «Appleyard 1990» وكتاب جينينجز «Jennings 2003» وكتاب ميك «Meek 1991»)، وثمة عامل مشترك في مثل هذه النصوص ألا وهو الاعتراف بأن كتب الأطفال الجيدة تلعب دورًا أساسيًا في حياة الطفل، وهذا يشير إلى أن أي شخص يدرِّس للأطفال كيفية القراءة لابد وأن يكون هو نفسه قارئًا لشتى الكتب لا سيما كتب الأطفال، وفي المراحل الأولى لتعلم القراءة نجد أن قدرة الكتاب على مساعدة الشخص حديث العهد بالقراءة تتماشى مع قدرة الأخير على التخيل. وبمجرد أن يبدأ الأطفال في القراءة لأنفسهم فإن نوعية الكتب التي يقرأونها يكون لها أثر مباشر على تحفيزهم على القراءة، وكذلك على مستقبلهم كقُراء، وبناءً على ذلك فإنَّ مشاركة الكبار وحماسهم هو مفتاح تنمية صغار القراء، كما أن قيام الكبار بالقراءة للأطفال بصوتٍ عالٍ هو أمر من الأهمية بمكان.

إن القراءة بصوت مرتفع تثير الخيال وتلهم الصغار اختيار الكتب لأنفسهم، إذن ما هي الطريقة الأفضل لتدريس أهداف التعليم بخلاف أن نوضح كيف أنها تمنحنا الفكر المستنير والشعور بالبهجة والراحة؟

لقد أثبتت الأبحاث (ميدويل وآخرون 1998) أن المدرسين الناجحين المتخصصين في تعليم

القراءة والكتابة يشاركون تلاميذهم متعة القراءة، وهم على يقين من أن تعلم القراءة لن يكون - في يوم من الأيام - مجرد مهمة روتينية شاقة، بل إن الكثير من القراء يتشاركون في الاستمتاع بقراءة الكتب يومًا بعد يوم، وهناك الكثير من كبار المتخصصين في التعليم ممن أشاروا إلى أهمية القراءة بصوت مرتفع للأطفال (جراهام 2005، وميك 1991، وبيريرا 1984) ليس بغرض تعزيز القدرة على القراءة فحسب، ولكن من أجل دعم القدرة على القراءة وكذلك تنمية القدرة على التفكير والنقاش، وهذه الحقيقة البسيطة بشأن القراءة للأطفال بصوت مرتفع قد أقرها المدرسون الأكفاء لسنوات طوال إلَّا أنها لم تحظ بالاهتمام الكافي ضمن منهاج تعليم القراءة. وعلى الرغم من ذلك فمنذ عام 2006 أصبح مدرسو المرحلة الابتدائية بالمدارس الإنجليزية مطالبين بتزويد فصولهم «ببرنامج القراءة بصوت مرتفع» (PNS, DFES 2006) وهو ما يتطلب من المتخصصين مواكبة كل ما يصدر من كتب الأطفال، وكما أشار آيدان تشامبرز عام 1993 فإن كل معلمي القراءة بحاجة إلى ما لايقل عن خمسمائة كتاب يمكنهم الاعتماد عليها في تشجيع الصغار على أن يتحمسوا للقراءة.

توفير الكتب المناسبة

لا يمكن أن نصنف الكتب وفقًا لعمر القارئ وقدراته، إن الكتب لا ترتبط بمراحل تنمية القراءة، كما أنها لا تعد وسيلة لقياس نمو مهارات التعلم، إن مصطلحات مثل (سهل) و(صعب) لا تمثل قيمة كبيرة عند اختيار الكتب، إن القدرة على قراءة كتاب بسهولة ويسر يجب أن تحظى بالتشجيع الكافي. ومن ناحية أخرى فالكتب قد تمثل صعوبة كبيرة للقراء المبتدئين أو الذين يفتقرون إلى الخبرة الكافية، إن استمتاعهم بمهاراتهم الناشئة وما تضمه الكتب بين جنباتها قد يحول دونه وجود نص يتطلب قدرًا معينًا من المهارات أو القدرات حتى يمكنهم أن يقرأوه بثقة، وعلى الرغم من ذلك فمن الشائع أن يُقبل الأطفال على الكتب التي تمثل تحديًا لغويًّا لهم، وهم يجدون متعة في ذلك إذا ما كان الموضوع مصدر جذب لهم، وعلى النقيض من ذلك فإن الكثير من الأطفال يعزفون عن القراءة؛ لأن بعض معلميهم يختارون لهم كتبًا للقراءة تتسم بالسهولة الشديدة أو تكون في غاية الصعوبة، إن اتخاذ القرارات المتعلقة بالقراءة نيابةً عن الطفل لا يمكن أن يتم إلا من خلال شخص يعرف كلًّا من الكتاب والطفل جيدًا. وفي ظل

العديد من الآراء المتباينة بشأن الكتب كيف يتسنى للمعلمين اختيار الكتب المناسبة لصغار القراء ممن يتولون رعايتهم؟ وعلى الرغم من كثرة النصائح فليس ثمة وسيلة فعالة لمساعدة الأطفال على اختيار كتبهم بأنفسهم سوى المعرفة الجيدة بالكتب.

تنمية المعرفة المتخصصة بكتب الأطفال

إن الكتب الجيدة ـ كسائر أشكال الأدب ـ قد تتفاوت الآراء بشأنها والتي قد يشوبها شيء من التعالي والكبر، وقد يؤدي هذا إلى فقدان الثقة في ردود الأفعال الشخصية وعدم التفرقة بين التقدير الأدبي والمتعة الشخصية، وهناك الكثير من كتب الأطفال التي تظل محفورة في الذاكرة على المدى الطويل، وهذه الكتب التي تُعرف باسم الكلاسيكيات حققت شهرة واسعة وقت صدورها، وغالبًا ما تكون تلك الإصدارات عبارة عن روايات جذابة على الرغم من أن لغتها ومضمونها لا تتناسب مع قارئ هذا العصر، إن ميل البعض إلى الرجوع إلى الكتب «الجيدة» أو «ذات المغزى» قد يدفع القراء المبتدئين إلى الاعتقاد بأن هناك رؤى ثابتة يتفق بشأنها كافة القراء. وعلى الرغم من ذلك فإن كونك قارئًا لا يعتمد على قراءة قائمة معينة من الكتب، إن من حق جميع القراء أن تكون لهم آراؤهم الذاتية (الشخصية) بشأن ما يقرأونه، وليس هناك من يستطيع أن يحدد قيمة أي عمل أدبي سواءً كان شخصيًّا أو مجموعة من الأشخاص، ومن المحال أن نحدد مستوى جودة كتاب من كتب الأطفال دون أن نقرأه، وحتى إذا استطعنا ذلك فإن الرأي الذاتي والذوق الشخصي سوف يسهمان بشكل كبير في إصدار مثل هذا الحكم.

إن بعض الكتب التي تكون قد حققت بالفعل مكانه «كلاسيكية» تعد السبب وراء الاختلاف الشديد في آراء القراء المستديمين لكتب الأطفال.

ولنأخذ على سبيل المثال أعمال آرثر رانسام، إن كثيرًا من البالغين يتذكرون كم كانوا مولعين بالرحلات البحرية الحافلة بالشجاعة والإثارة والتي كان يخوضها شخصياته الطفولية بينما كان يجدها آخرون باعثة على الملل، ومثال آخر على ذلك هو أعمال الكاتب تولكيين التي جعلت البعض أنصارًا للجانب العاطفي في الإنسان على حين وجد آخرون أن مثل هذه المواقف الخيالية تفتقد المتعة والتشويق، وما من شك في أن كلا من رانسام وتولكيين يستحقان ما وصلا إليه من شهرة كمؤلفين إلا أن هذا لا يعني أن يعجب الجميع

بأعمالهما، ويمكن أن نعبر عن تقديرنا لعمل أدبي ما دون أن ننجذب إليه عاطفيًا، إن وصفنا لبعض الكتب على أنها (جيدة) أو (ذات مغزى) دائما ما يثير التساؤل التالي (من الذي قرر أنها جيدة؟) و(هي تحمل مغزى لمن؟).

المادة العلمية المناسبة للأطفال

غالبًا ما تختلف الآراء حول ماهية الموضوعات المناسبة لكتب الأطفال ويرى البعض أن الحياة ليست سعيدة دائمًا وأن كتب الأطفال يجب أن تعكس الواقع، بينما يحتج آخرون بأهمية حماية الصغار من الجانب التعيس للحياة، والحفاظ على براءتهم لأطول فترة ممكنة، إن كُلًّا من وجهتي النظر السابقتين تعدان ذات هدف تعليمي إلا أن أيًّا منهما لم تأخذ في اعتبارها حق صغار القراء في اتخاذ قراراتهم بشأن ما يقرأونه، واختيار ما يشعرهم بالمتعة من تلك القراءات، وانتقاء الكتب التي تساعدهم على إدراك العالم من حولهم، وعلى الرغم من ذلك فإن معظم الأطفال لا يختارون كتبهم بأنفسهم بل يضطلع آباؤهم بهذا الدور. وهو ما يعد سببًا آخر وراء أهمية قيام المسئولين عن اختيار كتب الأطفال بقراءتها بالفعل وألا يكونوا مجرد متلقين لآراء الآخرين، فمن السهل أن تتأثر بتلك الآراء إذا لم تكن قد قرأت الكتاب بالفعل، وفيما يلي مثال موجز لإحدى قصص الأطفال.

> «بيتر الذي قُتل والده بينما كان يشارك في عملية سرقة ثبت أنه قد تورط في نشاط إجرامي مماثل بالرغم من توسلات والدته له بعدم الإقدام على ذلك. تبدأ القصة بانطلاق الرجل وهو يضمر في نيته أن يسرق جاره المُسن، اقتحم الرجل بيت جاره وسرق بعض الطعام، وتتناول بقية القصة النتائج المترتبة على جنوح بيتر».

ما رأيك المبدئي في هذا الموجز؟ هل يتناسب مع طفل في الثالثة؟ يتفق معظم الناس على أن حكايات بيتريكس بوتر لاسيما بيتر رابيت تعد من الأدب الكلاسيكي الذي لا يتناسب مع صغار السن، وفيما يلي موجز آخر لافتتاحية قصة أخرى:

> «كانت هناك فتاة صغيرة تركت في رعاية شاب مراهق يغط في نوم عميق. أخذت الفتاة تتجول هنا وهناك متجهة إلى ممر منحدر مجهول حيث وجدت بعض الطعام الشهي والذي أدى إلى إصابتها بالهلوسة».

والفتاة الصغيرة هي أليس ـ في بداية مغامراتها في أرض العجائب ـ ومن الممتع أن نمارس هذه اللعبة مع الكتب الشهيرة ولكنها تشير أيضًا إلى أن رأي شخص ما في أحد الكتب قد يكون مضللًا للغاية، إن القائمين على مراجعة كتب الأطفال والتعليق عليها قد يضلون طريقهم في بعض الأحيان، وعلى الرغم من أهمية الرجوع إلى مصادر المعلومات والآراء المختلفة إلا أن قراءتك للكتاب بنفسك هي السبيل الوحيد لاكتشاف ما إذا كان هذا الكتاب «جيدًا» أو «ذا مغزى» بالنسبة لك، وبمجرد أن تبدأ القراءة فإن العامل الحاسم الذي يعتمد عليه تقييمك للكتاب هو ما إذا كنت متشوقًا لاستكماله من عدمه، ما الذي يجعلك تستمر في قراءته أو يصيبك بالملل والسأم؟ ولماذ نتجاوب مع بعض الكتب دون غيرها؟ أيا كانت الإجابة فإننا نعلم أن كيفية تجاوبنا مع الكتب ـ كقراءة بالعين ـ لها أثرها المباشر على كيفية نقل هذا التجاوب إلى صغار القراء، إن المعرفة الوثيقة بكتب الأطفال تمكنك من إصدار أحكام جازمة تعتمد على معلومات صحيحة بحيث تنقل هذه الأحكام إلى أولئك الذين تعمل معهم وتكون ركيزة تلك الأحكام وجود لغة مناسبة للحديث عن الأدب، وليس مجرد حماس شخصي، وهذا الكتاب يعد نقطة انطلاق لإثراء هذه المعرفة.

ماذا يصادفك عند تناولك لكتب الأطفال ؟

يختص هذا الكتاب بكافة الكتب التي تتناول مرحلة الطفولة بأكملها، وهو يعتمد على الاعتقاد بأن هناك الكثير من الكتابات الأدبية التي تناسب الأطفال من جميع الأعمار، ويضم الكتاب فصولًا تتناول الكتب الخاصة بالأطفال الصغار ثم الأطفال الذين ما زالوا يتعلمون القراءة ثم صغار القراء وحتى سن الخامسة عشرة وما بعدها، إن الأطفال الذين يتعلمون القراءة ثم يصبحون قُراءًا يمثلون الموضوع الذي يدور بصفة حتمية في كل فصل من تلك الفصول. ومع ذلك ينصب اهتمام المؤلفين بصفة أساسية على نوعية الكتب التي يصادفها الصغار وليس كيفية استخدام الكتب كمصادر للتدريس، وقد دعوت بعض الزملاء ممن يعملون في مجال التعليم والمكتبات والنشر للمشاركة في هذا الكتاب ببعض الفصول في مجالات خبراتهم واهتماماتهم الشخصية.

إن كافة المساهمين في هذا الكتاب يشتركون في عاملين هامين ألا وهما: أولًا أنهم يتعاملون

مع صغار القراء وينصب اهتمامهم على كتب الأطفال، وتنعكس ظروفهم المهنية المختلفة على آرائهم ووجهات نظرهم بغض النظر عن المجال الذي يمثلونه، ثانيًا: أن جميعهم يأمل في التحقق من أن الكبار القائمين على تدريس القراءة والذين يُعرِّفون الأطفال بالكتب ويشاركونهم القصص العالمية العظيمة هم أنفسهم يتمتعون بالحماس للقراءة ويتميزون بمعرفتهم بكتب الأطفال.

وتتضمن معظم الفصول قوائم للكتب والتي تمثل نقاط انطلاقة جيدة لأي شخص يرغب في تطوير معلوماته بشأن كتب الأطفال، ونظرًا لأن تلك القوائم تمثل مجموعة من أفضل كتب الأطفال المتاحة فقد تظهر بعض عناوين تلك الكتب في أكثر من قائمة، وعلاوةً على ذلك فنظرًا لعدم اتساع المساحة فهناك المئات من العناوين غير المذكورة، لقد كان الاتفاق على هذه القوائم من أصعب الأمور التي واجهتنا، ولقد تم وضعها بعد تفكير مُتأنٍّ وقدرٍ كبير من الإحباط بشأن الكتب غير المذكورة، كما أن عناوين الكتب الواردة هنا ربما تكون قد نفذت الكمية المطبوعة منها، ومع ذلك فلست بحاجة سوى إلى التوجه إلى إحدى المكتبات أو مكتبة عامة لبيع كتب الأطفال للحصول على مزيد من الإرشادات في هذا الشأن، وفيما يلي نورد بعض المصادر الأخرى المفيدة التي تتمثل في الكتب التي نوصي بقراءتها.

إن تعليم الأطفال كيفية القراءة وتشجيعهم على أن يكونوا قراءً يبدأ بمجرد أن نشارك الصغار قراءة الكتب بغض النظر عن أعمارهم، وتقدم لنا كل من ليز أتينبورو (الفصل الثاني) ومارجريت بيركينز (الفصل الثالث) وڤيڤيان سميث (الفصل الرابع) الكتب التي من شأنها مساعدة الصغار خلال مرحلة الطفولة المبكرة وسنوات الدراسة الأولى، إن تعلم القراءة قد يكون أمرًا عسيرًا، ولكنه ربما كان أكثر صعوبة إذا لم تعثر قط على نوعية الكتب الأدبية غير الخيالية التي قد تجذب اهتمامك والتي تدفعك لملاحظة العملية التعليمية بأكملها باعتبارها أمرًا جديرًا بالاهتمام.

وبالنسبة للكتابة عن الحكايات الموروثة (الفصل الخامس) نجد أن آن ليزيم تفتح أعيننا على الكم الهائل من القصص التي كتبها مؤلفون من جميع أنحاء العالم والتي كانت مصدر إلهام لكثير من القراء والكتاب على حدٍّ سواء لعدة قرون، وتعد هذه الحكايات هي الموروث الخاص بكل طفل، كما أنها تمثل حجر الأساس لكافة الأعمال الأدبية العظيمة، ومن ثم فهي تعد عنصرًا أساسيًّا من عناصر تجربة التعليم بالنسبة لنا جميعًا.

ويعد الخيال جوهر أدب الأطفال، وتتناول كاتريونا نيتشولسون القصص الخيالية التي كتبت للأطفال وذلك في الفصل السادس، ومنذ أواخر القرن التاسع عشر نبعت ثروة من الأدب الموجه للصغار في جميع الدول المتحدثة بالإنجليزية، وتشير نيتشولسون إلى كلاسيكيات الماضي ومقارنتها بالوضع السائد في القرن العشرين حيث طغت وسائل الإعلام الحديثة على حياتنا.

وفي الفصل السابع تلقي جيليان لاثي الضوء على كيفية إسهام الكتب المترجمة في تفتيح العقول الصغيرة على أوجه الشبه والاختلاف في حياة الأطفال على مستوى العالم، وعندما نزداد وعيًا بالعالم من حولنا يكون من الأهمية بمكان أن نطلع على العديد من الثقافات كلما أمكننا ذلك، وعلى الرغم من أن السنوات الأخيرة شهدت ترجمة المزيد من كتب الأطفال إلى الإنجليزية وهذا يرجع في معظمه لجائزة مارش للترجمة إلا أنه ما زال هناك الكثير الذي يمكن القيام به من أجل إطلاع صغار القراء على عالم الأدب.

وفي الفصل الخاص بالبعد عن الخيال (الفصل الثامن) تشير نيكى جامبل إلى ارتفاع مستوى كثير من كتب المعلومات الحالية والتي يساعد على توافرها أعمال الكتاب والرسامين والمصورين المشاركين في تنوير عقول صغار القراء، وهناك ثروة من الكتب التي تجذب الجادين الذين يتسمون بحب الاستطلاع والذين لا يفضلون كتب الخيال.

ويتناول ميتشيل لوك وود (الفصل التاسع) دور الشعر في حياة الصغار وقدرته على استيعاب الأفكار والقصص والمشاعر، وهو يتتبع تاريخ الشعر الخاص بالأطفال معلِّقًا على الآراء الحالية بشأن استخدام الشعر كأحد وسائل تثقيف الصغار، ويُطلعنا جوديث جراهام (الفصل العاشر) على إمكانية استخدام نمط حديث نسبيًّا من الأدب ألا وهو (الكتاب ذو الرسوم)، وتواصل ميل جيبسون (الفصل الحادي عشر) الحديث عن وسيلة التعليم المرئية المتمثلة في الكتب المصورة.

وتنتهي هذه المقدمة باختيار شخصي لنوعية الكتب الملائمة، إنها الكتب التي أحبها والتي زاد من قيمتها أن ما تحويه من معارف يشاركني فيها المئات من الأطفال والزملاء، تلك المعارف التي نجحت في تحقيق الهدف المنشود وهو خلق جيل جديد من القراء ودعمهم، وآمل

أن تكون هذه الكتب مصدر إلهام لقراء هذا الكتاب حتى يشتركوا جميعًا في الاستمتاع بسحر الأدب جنبًا إلى جنب مع صغار القراء الذين يتولون رعايتهم.

مراجع أخرى

Prue's personal choice
Allan Ahlberg, *Burglar Bill*, Puffin
Anthony Browne, *The Tunnel*, Walker Books
Quentin Blake, *The Story of the Dancing Frog*, Red Fox
Carol Ann Duffy, *The Stolen Childhood*, London: Puffin
Russell Hoban and Quentin Blake, *How Tom beat Captain Najork and his Hired Sportsmen*, Jonathan Cape
Margaret Mahy, *The Great Piratical Rumbustification* and *The Librarian and the Robbers*, Puffin
Jon Scieszka and Lane Smith, *The Stinky Cheese Man*, Puffin
Morag Styles and Helen Cook, *Ink-Slinger*, A & C Black
Martin Waddell, *Farmer Duck*, Walker Books
Marcia Williams, *Archie's War*, Walker Books

مواقع مفيدة

Websites to find out more about children's books
www.achuka.co.uk
www.booksforkeeps.co.uk
www.booktrusted.org.uk
www.carouselguide.co.uk
www.fcbg.org.uk
www.readingzone.com
www.sla.org.uk
www.writeaway.org.uk

الفصل الثاني الأطفال الصغار يحتاجون بالفعل للكتب

ليز أتينبوروف

يتناول هذا الفصل ما يلي:

- تطور كتب الأطفال.
- طرق المشاركة بين الأطفال الصغار والكبار عن طريق الكتب.
- بعض الكتب العظيمة التي يمكن قراءتها للأطفال الصغار.



في عام 1980 قامت بائعة الكتب النيوزيلندية دوروثى بوتلر بنشر كتابها «الصغار يحتاجون للكتب»، وقد يكون هناك آخرون ممن استخدموا هذه العبارة من قبل إلا أن مقدار العاطفة التي يتضمنها الكتاب دفعت الجميع إلى أن يتذكروا أن الأطفال الصغار ـ بدءًا من أيامهم الأولى ـ لابد وأن ينضموا إلى العالم المليء بروائع القصص والكتب، إنها ليست مرحلة مبكرة على بدء تعلم الأطفال كيف يصبحون قراءً لأنها تحيطهم علمًا بالعالم من حولهم وتعلمهم أشياء عن الكتب نفسها.

تطور الكتب الخاصة بالأطفال الرضع

لقد استخدمت الألوان والرسوم التوضيحية في كتب الأطفال منذ عصر الملكة فيكتوريا مع تجاوز النص لمفهوم المحتوى التوضيحي إلى حدٍّ كبير في معظم الحالات بحيث لا يقتصر على تعليم الحروف الهجائية، وخلال الحرب العالمية الثانية أدخلت دار «بوفين بوكس ـ Puffin Books»

للنشر الكتب المصورة ذات الغلاف الورقي والتي تغطي موضوعات غير خيالية بينما تمثل الرسوم التوضيحية الجزء الأكبر من مضمون هذه الكتب، وفي أوائل عام 1960 اتجهت المملكة المتحدة إلى الاستفادة من طرق الطباعة المستحدثة والتي تسمح بطبع اللون بأكمله على جانبي صفحة كبيرة من الورق يمكن طيها وقصها قبل التجليد، وتلا ذلك ظهور بداية ما يعرف اليوم بالكتب المصورة ذات الجودة العالية والتي تحتوي على اثنين وثلاثين صفحة بألوان كاملة وهو الشكل المألوف حاليًّا وهو ما أوحى للكتاب والرسامين الجدد بإبداع المزيد من الأعمال لصغار الأطفال، وعادةً ما كان يتم تجميع هذه الكتب بواسطة أحد المؤلفين الرسامين الذي يقوم بتأليف الكتاب وتصميم رسومه التوضيحية معًا، ومن بين هؤلاء بريان وإيلد سميث وجون بيرنيخ هام وبات هاتشينز، وشيئًا فشيئًا بدأت تصدر المزيد من الكتب التي كان الرسامون يتقاضون عمولة مستقلة مقابلة وضع ما تحتاجه من رسوم.

والرسامون المهرة ممن كانت لديهم القدرة أيضًا على كتابة الكتب الساحرة مثل موريس سنداك ولورين تشايلد وميك إنكبين يتمتعون بميزة خاصة تتمثل في تحديد الأجزاء التي يمكن سردها وتلك التي يفضل التعبير عنها من خلال الرسوم التوضيحية، وهناك الكثير من الكتاب مثل: مارتن واديل الذين تتمثل قدراتهم في وضع كتب نصية مصورة ممتازة ويُعرض عليهم مجموعة مختلفين من الرسامين لاختيار من يصلح منهم لتصميم الرسوم المناسبة لكل من تلك القصص، وهناك أيضًا فرق تضم كل منها مؤلف ورسام ممن تكون دور النشر قد نجحت في اختيارهما على نحو متناغم ومتسق، وذلك مثل جوليا دونالدصن وأسيل شيفلر ـ بغرض وضع سلاسل أو مجموعات متكاملة من الكتب، وفي قليل من الحالات يكون لفريق العمل ميزة خاصة وهي كونهما زوجين يشترك أحدهما بالكتابة والآخر بالرسم مثل آلان وچانيت ألبيرج واللذان يستطيعان العمل معًا جنبًا إلى جنب لدرجة أن القارئ لا يستطيع أن يفصل بين النص والرسم عند رواية القصة.

ومع تطور وسائل التكنولوجيا فيما يتعلق بالورق والطباعة تطور أيضًا خيال المبدعين، وأصبحت كتب الأطفال الصغار تشتمل على كتب ترتكز على حواس اللمس والشعور وذلك باستخدام منسوجات مختلفة الأنواع بالإضافة إلى الكتب ذات الثقوب (والتي استخدمها بشكل كبير عام 1969 الكاتب إيريك كارل في كتابه (الدودة الجائعة) إلى جانب الكتب ذات

الأوراق الرقيقة (وهو النوع الذي ابتكره إريك هيلز في كتابه «أين سبوت؟» عام 1980) فضلًا عن الكتب التي تتميز بكافة الأساليب الصوتية، أما الكتب التي تسمى «بوب أب ـ Pop -- up» ـ والمصممة خصيصًا بحيث تخرج منها بعض الأشياء على نحو مفاجئ، فقد أدت إلى استحداث مجموعة كاملة من الابتكارات في هذا المجال إلى جانب التخصص الجديد في مجال هندسة الورق، وفي عام 1977 قام روبرت جراوثر لأول مرة بتحديث أسلوب كتب البوب أب التي تنتمي لعصر الملكة فيكتوريا وذلك عندما أخرج كتابه المتعدد الأوجه والمعروف باسم «الكتاب المدهش في تعليم حروف الهجاء عن طريق الاستغماية» أو: «Most Amazing Hide-- and–Seek Alphabet Book» وبعض الكتب المصنوعة من الورق المقوى أيضًا حظيت بالاهتمام البالغ بما يشير إلى أهمية إصدار كتب الأطفال الصغار بأعلى مستوى من الجودة، وقد مهدت الطريق لذلك هيلين أوكسينبيري في سلسلتها عن كتب الأطفال الرضع عام 1981.

وهذه الكتب المختلفة الأشكال تحكي قصصًا وتتضمن صورًا، كما تشتمل على بعض المزايا كمساعدة الأنامل الصغيرة على أن تكون أكثر مهارة واتساقًا في حركتها هذا بالإضافة إلى المهارات الكثيرة الأخرى التي يمكن أن يكتسبها الأطفال من خلال تكوين صداقات تنشأ عن اقتنائهم للكتب، وليس كل الكتب المصورة تناسب الصغار نظرًا لأن بعضها يتسم بالتعقيد في أسلوبه ومضمونه وأسلوب روايته، ومثل هذه الكتب قد يشق على العقل الناضج أن يحل ألغازها، ويفضل ـ في هذه السن الصغيرة للغاية ـ أن يضم الكتاب قصة واحدة يقرؤها الراوي بصوت واحد.

أهمية القصص

كلنا يعلم إلى أي مدى نحتاج ـ كبالغين ـ إلى القصص في حياتنا، إن القصص التي نقرؤها ونسمعها تساعدنا على إدراك معنى حياتنا، وهذا يصدق أيضًا على صغار الأطفال. إن اللغة هي بؤرة الاتصال الإنساني وهي ما نحتاج إلى اتقانه ليس بهدف التعلم فحسب، ولكن بغرض دعم علاقاتنا الاجتماعية والعاطفية، إننا نحتاج إلى اللغة حتى نستطيع أن نفكر، ترى ما هي الوسيلة الأفضل لتعلم اللغة سوى عن طريق الكتب والقصص التي يشارك فيهما الأطفال أحد البالغين الأمناء الذين يتولون رعايتهم؟.

إن المشاركة في احدى القصص تعد وسيلة بسيطة للتحدث إلى الطفل الرضيع قبل أن يكتسب أي قدرٍ من اللغة المنطوقة، ومن خلال إيقاعات القصة القصيرة المصحوبة بالصور، وتكرار تلك القصة بذات الصور تبدأ الكلمات تتخذ معان لها في ذهن الطفل ويبدأ العقل الصغير في النمو، والصغار يعشقون التواصل فيما بينهم، فقد ولدوا اجتماعيين وجاءوا إلى العالم وهم على استعداد للتواصل والتعلم، إن خبراتهم خلال سنواتهم الأولى تشكل مهاراتهم المستقبلية سواءً كانت اجتماعية أو تعليمية أو تلك المتعلقة بالتواصل، ويمكن أن تمثل الكتب وسيلة فعالة لمساعدة الأطفال الرضع ومن يتولى شأنهم خلال فترة الاكتشاف تلك، إن رواية القصص وقراءة الكتب يعدان طريقة سهلة لتوفير مزيد من الوقت اللازم للتحدث بصفة منتظمة، كما أن رواية الحكايات تُعرِّف الطفل على التركيبات اللغوية التي تساعده على تشكيل حجر الأساس لقراءاته اللاحقة ومهاراته الكتابية.

ولقد اتسعت مداركنا خلال السنوات الأخيرة بشأن تطور عقول الصغار، وتشير الدراسات التي أجراها علماء النفس في هذا المجال إلى أهمية البدء في تعليم الصغار منذ سنوات حياتهم الأولى حتى يحققوا التقدم المنشود في تعليمهم اللاحق.

إن الممرات العصبية للمولود بحاجة إلى أن تتصل ببعضها البعض من خلال الإثارة والنشاط وكذلك الحنان والدفء ومن خلال تعلق الصغير بأحد الأشخاص البالغين ومن ثم بالعالم من حوله، وبالنسبة للآباء الجدد الذين سيمرون بثروة من الخبرات الجديدة تزيد مع معرفتهم شيئًا فشيئًا عن صحة أبنائهم ونموهم فقد لا يكون الاتصال هو ما يشغل تفكيرهم، ولكنه يجب أن يكون كذلك، إن عقل الرضيع يحتاج للغذاء حتى يتسنى له أن ينمو ويتطور، وبالنسبة للآباء الذين لا يعرفون ماذا يقولون لأبنائهم في هذه المرحلة، أو الذين يظنون أن طفلهم الصغير لن يتمكن من فهم ما يقال له، لكل هؤلاء نقول: إن الكتب تمثل وسيلة سهلة للبدء في الاتصال بالطفل، إن الكتب تستخدم قوة الكلمات للربط بين الصغار والكبار وكذلك الربط الوثيق بين ما يتراءى للطفل على صفحات الكتاب وبين ما يحدث في العالم من حوله.

إن الرضع والصغار يفهمون بالفعل ما يُقرأ لهم ويستجيبون له بطرق مختلفة منها الابتسام أو الكلام بشكل غير مفهوم بما يتناسب مع مراحلهم العمرية، وهذه البسمات أو الكلام المتعثر أو الإيماءات هي المؤشرات الأولى للاتصال والتي ما تلبث أن تتحول إلى كلمات عندما يكون

كلٌّ من الفم واللسان على استعداد لتقليد الكلمات التي يسمعها، إن الكتب تقوم بتعريف الأطفال على العالم المثير الحافل بالكلمات، ومع الوقت تساعدهم على تعلم كيفية التعبير عن أفكارهم ومشاعرهم الخاصة، إن القراءة بصوتٍ مرتفع تجمع بين عدة مزايا وهي التحدث والاستماع ورواية القصة وذلك ضمن نشاط واحد، كما أنها تسهم في بناء حجر الأساس لتنمية اللغة عند الأطفال.

التعلم واللعب من خلال الكتب

يتطلب الأمر وجود مجموعة من الكتب جنبًا إلى جنب مع صندوق اللعب الذي يحتفظ به الأطفال نظرًا لأن الألعاب (التعليمية) مهما كان الدور الذي تؤديه فلا يمكنها أن تنافس الكتب التي تزود الطفل بمهارات شتى من خلال مطالعة الصور وسماع الكلمات المختلفة والتفكير في معناها، إن قضاء بعض الوقت يوميًا في المشاركة في كتاب ما يعد أمرًا مثمرًا، وشيئًا فشيئًا ومع نمو عادة المشاركة في القراءة يقضي الطفل هذا الوقت متطلعًا إلى الكتب دون مشاركة الكبار، ومن الناحية الفعلية فالكتب تعد «ألعابًا» عملية حيث يمكن وضعها بسهولة داخل الحقائب عند الخروج وفي الرحلات وفي أوقات الانتظار التي تمثل عبئًا مرهقًا لمن يروح جيئة وذهابًا وقد استبد به القلق، والكتب يمكن قراءتها بالفعل في أي مكان دون الحاجة إلى أية مؤهلات يتعين على القارئ أن يتمتع بها، ولا يشترط أن يتمتع البالغون بمهارات كبيرة في القراءة، إن الصور تحكي قدرًا كبيرًا من القصة كما تقوم بدور الملقن لمن يروي القصة، إن كل فرد في العائلة ـ سواء كانوا من الأقارب الأكبر سنًّا أو الزوار ـ يمكنه أن يضطلع بدوره في جذب الأطفال الصغار إلى الكتب وإشراكهم فيها.

إن إشراك الأطفال الرضع في الكتب لا يعني تعليمهم القراءة بل تعريفهم ـ بوجه عام ـ بمعنى الطباعة وكيف تتجه الكتابة من اليمين إلى اليسار بحيث يحمل النص مضمون القصة، وأن القصص تتألف من عدة جمل، وأن القصة يمكن أن تحكى عن طريق الكلمات والصور. إن التعليم المرئي يعد وسيلة سهلة لتعليم الصغار الذين تقدم لهم كتب مصورة عالية الجودة، وذلك عندما تتاح لهم الفرصة لتصفح تلك الكتب ومطالعة صورها بأنفسهم أو التحدث عنها مع الكبار، إن مشاركة الصغار للكبار في أحد الكتب المألوفة لكليهما تجعل الصغار يلاحظون

بعض التفاصيل المصورة التي قد يغفل عنها الكبار فمثلًا قد يلاحظ الطفل وجود كلب صغير يجرى أثناء توضيح تفاصيل الصورة وهو ما قد لا يكون مذكورًا في النص ذاته. وهذا النوع من المشاركة الفعالة والارتباط بالكتاب يسهم في إثراء مهارات التعلم فيما بعد.

إن التآلف مع الجوانب المادية للكتاب يعد البداية المثلى لتشجيع الأطفال على القراءة وأن يعرفوا كيفية التعامل مع الكتب وتتبع الحكايات، وبعض الكلمات يمكن «تعلمها» بسهولة لا سيما العناوين، ومع الوقت يفخر القارئ الكبير بأن الطفل يمكنه تذكُّر الكلمات المذكورة في الصفحات وإعادة نطقها بينما يقرؤها الأول، بل إن الطفل ينطق الكلمات بنفس نبرة الصوت التي سمعها من قبل حتى إنه قد يستخدم المؤثرات الصوتية التي عادةً ما تصاحب هذه الكلمات، وطبقًا لما تشير إليها أحدث الأبحاث فإن إشراك الأطفال في قراءة ما سبقت قراءته يعد بداية أفضل بالنسبة لمعظم الأطفال ذوي السنوات الخمس مما يسهم في تقدمهم عند دخولهم المدرسة.

ويشار إلى كل من التحدث والاستماع والقراءة والكتابة بـ «فروع اللغة الأربعة التي تتفاعل فيما بينها». (روز 2006: -1 تقرير مبدئي).

القراءة بصوت مرتفع

إن القراءة للطفل بصوت مرتفع تنطوي على كثير من المزايا منها تشجيع القدرة على الاستماع. وحتى يصبح الطفل قارئًا فمن المهم أن نعلمه أن يميز بين الأصوات المختلفة، وأن يركز انتباهه لفترة معقولة من الوقت، فإذا ما كان يستمع إلى الكتب بانتظام فإنه ما يلبث أن يتعرف على كلمات جديدة بصفة مستمرة، كما أن سياق الكلمات بالقصة يمهد الطريق للفهم التدريجي.

وعندما تقرأ كتابًا جديدًا مع الصغير لأول مرة، هل يشعر أيُّكما ـ عند نهاية الكتاب ـ أنه لابد أن تبدأ على الفور في رواية القصة من جديد؟ إذا كانت الإجابة بالإثبات فإن الكتاب الذي بين يديك يعد من الكتب المفضلة لجودته، إن الرسوم التوضيحية التي تتجاوز إعادة رواية النص بشكل مباشر، والتي تضيف عمقًا لفهمنا للقصة واستمتاعنا بها مثل هذه الرسوم يستمر أثرها بالتأكيد من خلال الكثير من القراءات، أضف إلى ذلك جودة النص التي

لا تنفد أبدًا بإعادة القراءة، والتي تتسم بالنغمة والإيقاع، ومن ثم تبدأ علاقة صداقة بين الكبير والصغير مدى الحياة.

خذ المزيد من الوقت للتحدث عن الصور مع تشجيع الطفل على أن يشير إليها، فبالنسبة لصغار الأطفال فإنك ستبحث عن الرسوم التوضيحية المبسطة والتي يمكن تقديمها عن طريق الصور الشخصية، إن وجود صور لأطفال آخرين وأخرى لأشياء مألوفة للطفل كتلك الموجودة في البيئة من حوله كالمتنزه أو الأماكن المحيطة بالمنزل، كل هذه الصور يتقبلها الطفل بشكل جيد، ويقوم بالربط بينها وبين خبراته الخاصة التي تعكسها الكتب.

وسرعان ما تجد نفسك تبحث عن نصوص ذات إيقاع متناغم نظرًا لأنها تعد وسيلة رائعة لأن يلاحظ الصغير كيفية نطق الكلمات وأن يتذكرها، إنك بحاجة إلى نصوص وصور تسمح لك بأن تدخل مع الصغير عالمًا جديدًا يتحقق من خلال مشاركتك له، إن الكتب التي تحتوي على أرقام غالبًا ما تعزز خبرات الطفل على نحو مثير وصولًا إلى جوٍّ رائع حافل بمباهج العد والحساب، ودائمًا ما تبعث الفكاهة على المتعة، وعندما تكون بصدد تعلم اللغة ومواقف الحياة فمن النادر أن تسمع دعابة أو نكتة جيدة، إن الكتب التي تحتوي صفحاتها على مفاجآت وأحداث مثيرة لا تبلى مع مرور السنوات، ثم يطوى الشعور بالإثارة لنتوقع أحداث الصفحة التالية التي ربما كانت مألوفة لدينا.

إن التسليم بأن الطفل الذي لم يستطع التحدث بعد يتوقع شيئًا ما بالكتاب المصور لهي حقيقة مذهلة في نظر أكثر الآباء يقظة وحذرًا، وهنا دليل واضح على أن هذا الشخص الصغير ذا العقل المتنامي يفهم ما يحدث، ويتذكر شيئًا ما من المرة السابقة، ويشعر بالسعادة لأنك قدمت له هذا الكتاب وتلك الشخصيات مرة أخرى، إن هذا التكرار يتيح له التعاطف مع شخصيات القصة وتطور أحداثها من خلال تلك القراءات الهامة المكررة، إن الكتاب الذي يطلبه الطفل مرارًا وتكرارًا قد يترك جانبًا لبعض الوقت، وعندما يُقرأ فيها بعد يتزايد فهم الطفل له حيث تتخذ جوانب جديدة من الكتاب المزيد من المعاني حيث يكون الطفل الناشئ قد شهد المزيد من التجارب في حياته الشخصية.

إن الكتب التي تشتمل على أناشيد وأغانٍ وتلك التي تضم حكايات جميلة قد ظلت أمدًا

طويلًا موضع إعجاب الأطفال لأن كلا النوعين يؤدي وظيفة هامة ومفيدة، وعلى الرغم من أن أية أغنية يغنيها أحد البالغين المهرة في هذا المجال تُسعد العقول الصغيرة فإن الأغاني البسيطة التي تُغنَّى في دور الحضانة لها سمات خاصة في استخدام اللغة واللحن بطريقة جميلة مما يساعد العقل الصغير على حسن استخدام الكلمات وتنمية هذه المهارة لديه، إن الحكايات الجميلة تعبر عن حقائق عامة في الحياة، والأعراف والعادات التي تتضمنها تلك الحكايات ـ من بدايتها ـ تتكرر ثانيةً بعد أن يكون الطفل قد أَلِفها واعتادها بشكل كبير من خلال مجموعة المبادئ التي تحملها هذه الكتب، وعلاوةً على ذلك فإذا لم تكن قد سمعت قط الألحان الأصلية لتلك الحكايات فستجد صعوبة في أن تضحك على القصص التي تعتمد على المحاكاة الساخرة.

الوقت المناسب لمشاركة الطفل في القراءة

ليس من قبيل المصادفة أن يجري العرف على قراءة الكتب للأطفال قبل النوم مباشرةً أو في نهاية الحضانة، إنها لوسيلة فعالة حقًّا حيث يخمد النشاط وتهدأ الحركة بعد يوم حافل باللعب والإثارة، إن الأطفال الصغار الذين ينهون يومهم بالاستماع إلى حكاية جميلة عن شخصية محبوبة بصوت مألوف ومريح من المرجح أن ينعموا بنوم هادئ أكثر من نظرائهم الذين يشاهدون أحد الأفلام مثلًا قبل أن يخلدوا إلى النوم، إن الاعتقاد في السحر والاتجاه المناقض له الذي يقوم على عدم التصديق ربما كان أحد العوامل القوية المحفزة على الخيال بحيث تكون القصص هي نقطة الانطلاق في استخدام الخيال الشخصي لكل طفل بغرض الترفيه والتسلية.

القراءة الفعالة

لا يستطيع الكبار بالطبع أن يقاوموا إحداث بعض الضجة أو الأصوات التي تتطلبها القصة أو أن يضربوا بأيديهم على الكتاب إذا ما ظهرت قطة ما مثلًا، وهم لا يجدون ما يحول بينهم وبين ذلك، والخطر الوحيد هو أن تكون مضطرًّا لأن تعيد نفس الأصوات والحركات عند كل قراءة، ولذا فعندما تشعر أن كتابًا ما يتضمن أغنية ذات إيقاع مزعج على نحو متكرر ممل فمن الحكمة أن تُبقي عليه في مكانه بالمكتبة، فهناك كتب قد يحبها الكبار في حين لا يُقبل عليها الصغار لسبب أو لآخر فلا أحد مُطالب بأن يحب كل ما يقدم له من كتب.

الأصوات والمؤثرات الصوتية

اقرأ للطفل بتأنٍّ ووضوح ولا تخش استخدام بعض الأصوات الفكاهية للشخصيات أو للتعبير عن الكلمات أو العبارات التي تتكرر في ثنايا الكتاب، اقرأ بسرعة يمكن للطفل مواكبتها، ولا تقلب الصفحة إلا عندما يكون مستعدًّا لذلك، ويمكنك أن تضيف ما يتراءى لك أثناء القراءة، ولكن اقرأ دائمًا النص المطبوع بالفعل بحيث يكون هو ذاته في القراءة القادمة. وبعد قراءة الكتاب عدة مرات يتوقع الصغير أن يسمع تغييرًا في نبرة الصوت وقد يعبر عن ذلك بابتسامة أو باتساع حدقة عينيه أو أن يهتز جسمه بطريقة ما، امنح طفلك الوقت الكافي للاستجابة لحديثك، وقد يكون هذا عن طريق بعض الكلمات غير المفهومة أو تحريك الذراعين أو الإشارة بالأصابع، إن الاستماع هو الذي يبين مدى اهتمامك بمعرفة رد الفعل، كما أنه يعد وسيلة تشجيع على التواصل الطبيعي، وعندما يبدأ الطفل في استخدام اللغة قم بمشاركته بالكلمات والأصوات معًا.

التعبير عن المشاعر المختلفة

يمكن أن تكون الكتب المصورة ذات فائدة جمة كوسيلة للتعبير عن المشاعر وكذلك استحداث موضوعات جديدة ينبغي استيعابها على نحو متدرج، وقد ينتابنا الشعور بالفزع بعض الشيء عند قراءة كتاب عن كائن وحشي، إلا أن هذا الشعور ما يلبث أن يتلاشى عند انتهاء القصة ووضع الكتاب جانبًا، إن العلاقة الحميمة بين القارئ والطفل، وإصدار الأصوات اللطيفة الدالة على التعجب أو الانفعال إذا ما لوحظ على الطفل الشعور بالخوف، كل هذا يمثل دعمًا إنسانيًّا بالغ الأهمية، إن إعادة قراءة نفس الكتاب ذي الأحداث المرعبة يؤكد ـ على نحو مفيد ـ أن المشكلات يمكن تجاوزها، والسيطرة عليها ومن ثم القضاء عليها، إن مثل هذه الكتب تمثل فرصة رائعة للحديث عما قد يبدو مخيفًا.

تعلم أشياء عن الحياة

إن الكتاب المناسب يمكن أن يوفر وسائل للحديث عن الموضوعات الشائكة أيضًا كالانتقال إلى منزل آخر أو قرب وصول أخ جديد، إن مشاهدة شخصيات الكتاب المصور

وهي تتغلب على مشكلاتها يتيح للطفل التصرف من خلال شغفه وتطلعه للأحداث والتمهيد لرد فعله إزاء ما يحدث لاحقًا، والكتاب يسمح للكبير بالتوسع في الموضوع وتجسيد الأحداث، كما يسمح للصغير بأن يسأل عن أي شيء قد يثير قلقه ومخاوفه.

إن قراءة القصص تسمح للصغار بمعايشة أشياء تفوق مفاهيمهم الشخصية الحالية، وتفتح لهم نافذة الاطلاع على تجارب الآخرين في أماكن شتى، وتغرس بذور التقمص العاطفي عندما يشترك القارئ في أحداث القصة بحلوها ومرها، ويتعايش مع لحظات الخوف جنبًا إلى جنب مع اللحظات السعيدة، ويتساءل عما يمكن أن يشعر به بالفعل إذا ما شهد مثل تلك الأحداث. ومن ناحية أخرى فالمهارات الاجتماعية أيضًا يمكن اكتسابها من خلال مجموعة من الكتب ذات الجودة العالية حيث يرى القارئ كيفية التصرف في مواقف معينة، وما قد ينتج عن سوء التصرف، وسيطرح الأطفال بعض الأسئلة مع الاستمرار في القراءة كما أن القراءة بصوت مرتفع وجهًا لوجه تعطي إجابات سريعة على تلك الأسئلة.

الحديث عن الكلمات

يمكن أن تتطور المفردات اللغوية بشكل غير متوقع من خلال الكتب، والطفل الذي لا يعرف سوى القليل من الكلمات لا يمكنه أن ينطق سوى بكلمة «Diplodocus» أي الديناصور الآكل للعشب، وذلك بمجرد أن يأتي لفظ «الديناصور» بصورة مثيرة أو فكاهية، ومن المدهش أن نرى أهمية المشاركة في الكتاب وأثرها على إثراء المفردات اللغوية، وليس هناك الكثير من القردة أو الأسود التي تتجول هنا وهناك في المدن والقرى المحيطة بنا ولكن الكتب تحفل بمثل هذه الحيوانات، وقد تكون الكتب هي نقطة الانطلاق لخيال الطفل نظرًا لأن الشخصيات التي يلتقى بها على صفحات الكتب يمكن أن تمثل أحد العناصر في لعبة أو نشاط، كما أن الكلاب التي يلتقي بها في الطريق يمكن أن يربط بينها وبين مثيلاتها التي يجدها في قصة ما.

الكتب هي الطريق الصحيح من البداية

هناك اعتقاد سائد بالمملكة المتحدة يقوم على أن تعريف الطفل بالكتب خلال سنواته الأولى يؤتي ثماره على المدى الطويل بناءً على برنامج «Bookstart» وهو أول برنامج شامل عن مزايا الكتب على مستوى العالم.

وهذا البرنامج التخيلي يشتمل على مجموعة مجانية من الكتب يمنحها القائمون على الصحة لكل أب وأم عندما يبلغ طفلهما ثمانية أشهر، وعندما يبلغ حوالى ثمانية عشر شهرًا تُمنح الأسرة برنامجًا آخر بينما يُقدم برنامج ثالث في سن الثالثة يعرف باسم «Bookstart Treasure Chest». وثمة برنامج للتعرف على الكتب عن طريق اللمس وهو مخصص للأطفال المكفوفين وشبه المكفوفين والذين يستخدمون الكتب من خلال أنسجة مختلفة وأصوات متباينة، وبرنامج آخر يعرف باسم «Bookshine» وهو مخصص للصم والبكم ويعتمد على استخدام مواد معينة لمساعدة الصم على الاستيعاب.

وبرنامج «BookStart» الذي يتضمن معلومات عن الكتب والقراءة يرتبط ارتباطًا وثيقًا بالنظام السائد في المكتبات العامة، والأنشطة المختلفة مثل (Baby Rhyme Times) تشجع الآباء والقائمين على رعاية الأطفال على الاشتراك في ألعاب وأغان موسيقية بسيطة، ووضع طرق لرواية القصص وإلقاء الأغاني والأناشيد باستخدام إيماءات ذات دلالة، وفي مرحلة لاحقة يستمتع الطفل بالوقت الذي يقضيه بالمكتبة مع توفير الدعم والتشجيع اللازمين للآباء بصفة مستمرة لضمان تبني برنامج المشاركة بالكتب بحيث يصبح أحد العادات التي تزاولها الأسرة باستمرار في المنزل.

إن قراءة الكتب بصوت مرتفع يجعل الطفل غير القارئ يتعرف على كيفية قراءة الكتب بطلاقة، وهناك اعتقاد متزايد لدى المتخصصين في مجال المكتبات بأن التخصص خلال السنوات الأولى من العمل بالمكتبات يعد مهارة خاصة يمكن أن يمتد أثرها إلى صغار القراء وأسرهم إذا ما صاحبها الفهم الجيد.

إن الجلسات الخاصة ببرنامج «BookStart» والجلسات المكتبية ما هي إلا مجرد بعض الوسائل لإرساء القواعد الأساسية للتعليم المبكر، وهو ما يمهد السبيل للتعليم اللاحق وهو ما ثبت تأثيره على مستوى التقدم التعليمي فيما بعد. (كولينز وآخرون – 2005).

مراجع أخرى

اقرؤه ثانية: إن أي كتاب مصور يخضع للاختيار الشخصي ولكني أقدم فيما يلي قائمة بعض الأسماء التي لن تخذلني أبدًا مع أي طفل، لذلك فربما رغبت في إلقاء نظرة عليها وإبداء رأيك

فيها، لقد أسهم كل كتاب منها في إضفاء البسمة على الوجوه الصغيرة باستخدام الكلمة المنطوقة أو المتضمنة في الحديث «ثانيةً».

إرشادات عند مشاركة الأطفال في القراءة:

تظل هذه الكتب مفضلة لسنوات عديدة حتى بعد أن يتجاوز الطفل سنواته الأولى، وهذه الكتب تقدم الدعم الثقافي اللازم للطفل بمجرد أن يبدأ في تعلم القراءة.

Rod Campbell, *Dear Zoo*, Campbell Books
Janet and Allan Ahlberg, *Each Peach Pear Plum*, Puffin
Lynley Dodd, *Hairy Maclary from Donaldson's Dairy*, Puffin
Quentin Blake, *Mr Magnolia*, Red Fox
Nick Butterworth, *One Snowy Night*, HarperCollins Children's Books
Martin Waddell and Patrick Benson, *Owl Babies*, Walker Books
Pat Hutchins, *Rosie's Walk*, Red Fox
Judith Kerr, *The Tiger Who Came to Tea*, HarperCollins Children's Books
Eric Carle, *The Very Hungry Caterpillar*, Puffin
Eric Hill, *Where's Spot?*, Puffin

A bookshelf for babies and toddlers should include:

Collections of nursery rhymes and simple traditional tales from a range of cultures: for example, *First Fairy Tales* by Margaret Mayo (Orchard) and *Pudding and Pie: Favourite Nursery Rhymes* by Sarah Williams and Ian Beck (Oxford).

Picture story books with stories about other babies, animals and imaginary creatures: for example, *Calm Down Boris* by Sam Lloyd (Templar).

Poetry written for the very young, for example, counting rhymes and lullabies: for example, *The Usborne Book of Lullabies* by Nickey Butler (Usborne).

Action rhymes, games and songs that involve lots of joining in with actions, singing, clapping, and so on. For example, *Hippety Hop, Hippety Hay* by Opal Dunn (Frances Lincoln).

Books that invite the reader to lift a flap or pull a lever: for example, *Cluck, Cluck Who's There?* by James Mayhew (Chicken House) and *Maisy's Big Flap Book* by Lucy Cousins (Walker).

Books with textured pictures to touch and feel.

Books made from a variety of materials – cloth, card and soft plastic: *Play with Me* by Satoshi Kitamura (Andersen) and *Quack said the Duck* by Ana Martin-Larranga (Treehouse).

Stories and songs on CD and DVD: for example, *Whole World* by Fred Penner and Christopher Corr (Barefoot).

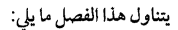
مواقع مفيدة

إن حملة «Book Start» هي عبارة عن برنامج قومي يهدف إلى تشجيع الآباء على أن يشاركوا أطفالهم الكتب بدءًا من سن مبكرة كلما أمكن. وهذا البرنامج يخضع لإشراف هيئة الكتاب.

www.bookstart.org.uk

الفصل الثالث الكتب الأدبية للصغار

مارجريت بيركينز



يتناول هذا الفصل ما يلي:

- **طرق مشاركة الصغار في الكتب القيمة.**
- **كيفية اختيار كتب جيدة للأطفال.**



هناك ميل للاعتقاد بأن «الأدب» هو شيء يخص الصفوة من الناس، وأُفضل ألا أخبر الناس عن الكتب ذات الأغلفة المذهَّبة التي كنت أقرؤها على الشاطئ هذا الصيف ولكنني أسعد بالتعبير عن آرائي في القائمة القصيرة التي تضم الكتب التي فازت بالجوائز الأخيرة للكتاب. ما السبب في هذه الاختلافات، وماذا نعني بكلمة «الأدب»؟

غالبًا ما ينظر الأطفال الصغار إلى الكتب كأشياء ذات قيمة تاريخية، وشأنها شأن التجارب الأخرى فالأطفال يستجيبون لها بكل حاسة من حواسهم، وتتسم ردود أفعالهم بأنها فوضاوية وغير منظمة، فالطفل الرضيع قد يضحك على الأشكال والألوان، كما يمكنه أن يضع الكتاب في فمه أو يلوح به أو يلقيه جانبًا أو يشم رائحته، إن التفاعل الخاص بين الطفل والكتاب يتسم بالصدق، وهو تفاعل مادي عمومًا، وعلى الرغم من ذلك فبمجرد القراءة للطفل الصغير يتركز اهتمامه على تفاصيل القصة (بما تشمله من كلمات وصور) مستمتعًا بالموسيقى أو النغمات التي تتضمنها تلك اللغة. إن أي شخص يقرأ قصة محببة للطفل يعرف أنه غير مسموح له بإغفال بعض الصفحات، فالأطفال يعرفون كل كلمة ويحبونها، فما الذي تقدمه الكتب للطفل الرضيع؟

إن الاستمتاع بالأدب يشمل كافة الأعمار بحيث يسمح لنا بأن نعكسه على حياتنا الخاصة، فعندما أقرأ عن تجارب شخص ما بإحدى الروايات أدرك أنني لست الوحيدة التي تتفاعل مع موقف ما، وأبدأ في تحديد كيفية فهم ذاتي ومن حولي. ونفس الشيء يصدق على الطفل الصغير. فعندما يقرأ الطفل عن شخصية «ألفي» أو يسمح عنه حين نام في عيد ميلاده الأول (هوجز 1997) يشعر بعدها بالخجل الشديد فهو يعلم أن من الطبيعي أن ينتابه مثل هذا الشعور إذا ما مر بهذا الموقف، ولكن كل شيء سيسير على ما يرام فيما بعد. إن الأدب يمنحنا الفرصة للتأمل والتقمص العاطفي والتنفيس أي التخلص من بعض العقد النفسية بالتعبير عنها، إنه يتيح لنا أن نطلق ردود أفعالنا القائمة على العاطفة والإدراك، كما أنه يُنمي فهمنا للحياة بوجه عام.

وفي هذا الفصل أحاول رصد أنواع مختلفة من كتب الأطفال في السن التي يبدأون فيها تعلم القراءة ويحاولون تحديد ماهية ما تتضمنه الكتب من صور وحكايات مما يشجع الأطفال ويمكنهم من إصدار ردود الأفعال الهامة تلك، ما هي خصائص الكتاب الذي تتيح للصغير الارتباط بها بشكل يعتمد على التأمل والتفكير؟ من المهم أن ندرك ـ في مستهل حديثنا ـ أن الكثير من هذه الكتب لا يتسنى للطفل أن يقرأها بنفسه بل لابد من وجود وسيط أكثر خبرة ليقرأها للطفل، أو يحدثه عما تحويه من صور، وهذه العلاقات التفاعلية تتسم بالحيوية، إن وجود قارئ ذي خبرة بالقرب من الطفل (فيجوتسكي 1986) يكون بمثابة القاعدة التي تتشكل عليها المعاني.

الكتب المصورة الخالية من الكلمات

غالبًا ما يُفترض أن الكتاب المصور الذي لا يحتوي على كلمات مطبوعة يجب أن يخصص للأطفال الرضع الذين لا يستطيعون القراءة، وهذا مفهوم خاطئ. فهناك الكثير من الكتب المصورة التي تمثل تحديًا كبيرًا والتي قد تتسم ببعض التعقيد والتي لا تناسب سوى الأطفال الأكبر سنًا مثل كتاب (المهرج) للكاتب كوينتين بليك (1995)، ومع ذلك فهناك أيضًا الكثير من الكتب الخالية من الكلمات والتي تبعث مشاركة الصغار فيها على البهجة والسرور وهذه الكتب توفر فرصتي التأكيد على خبرات معينة وانعكاسها على الحياة الواقعية.

وكتاب التسوق أو «Going Shopping» للكاتبة سارة جارلاند (1985) يعد مثالًا على ذلك.

وهو يحكي عن أم وطفليها الصغيرين وهم يذهبون إلى السوق، ويتجهون إلى منحدر يؤدي إلى ممر الحديقة وقد وضعت الأم المنهكة طفليها بالعربة المخصصة لهما، وفي محل السوبر ماركت يأخذ الطفلان في الإشارة إلى ما يرغبان في اقتنائه ثم يضعانه في السلة دون أن تعرف الأم بأمرهما، إن الأم لم تبتسم قط طوال أحداث القصة، وثمة شعور قوي بأن الأطفال يدركون المأزق الذي وقعت فيه الأم والتي كانت تخوض تجربة مختلفة تمامًا.

إن قراءة مثل هذا الكتاب تحتم عقد مقارنات بين تجربة التسوق كما يعرفها القارئ الصغير، وتلك التي يصورها الكتاب، وهذا الكتاب يعكس بعض العادات الثقافية الخاصة بالطبقة الوسطى البيضاء، كما أنه يدعو للمقارنة بين أحداثه وبين طرق التسوق الأخرى.

يمكنك أن ترى أن قراءة كتاب كهذا تتيح الكثير من الفرص لصغار القراء كالتالي:

- أنه يوسع نطاق خبراتهم ويوضح لهم طرقًا أخرى لعمل شيء ما. وبالتالي، فإن قراءة مثل هذا الكتاب تفتح لهم آفاقًا جديدة. «لماذا تشتري الأم الكثير من البطاطس؟»، «لماذا اتجهوا إلى المحل؟».
- أنه يتيح لهم تأمل خبراتهم وأسلوب حياتهم بشيء من النقد «إننا لا نذهب للتسوق على هذا النحو». لماذا تفعل ذلك؟ ما هو نوع المحل الذي اتجهوا إليه؟ لماذا لا يتحدثون إلى بعضهم البعض؟ لماذا أخذوا الكلب معهم أثناء التسوق؟.
- أنه ينمي وعيهم بهيكل القصة وتسلسل الأفكار، فهناك بناء واضح لأحداث القصة التي تشتمل على بداية وحدث ثم حل للمشكلة، إن الرحلة إلى السوبر ماركت ثم العودة ثانيةً إلى المنزل هي الرحلة التي تتضمنها القصة.
- أنه يساعد الأطفال على رؤية الأشياء من منظور آخر. «لماذا لم تبتسم الأم؟» ما رأيها في المأزق الذي أوقعها فيه طفلاها؟ إن القراء يمكنهم أن يقفوا بمنأىً عن بعض التجارب المعروفة لديهم جيدًا، وأن ينظروا إليها برؤى مختلفة.
- أنه يُمكِّن الأطفال من رؤية النماذج والعلاقات في الحياة، والوقوف خارج الأحداث للتعرف على الصورة بأكملها.

فالفتاة الصغيرة تحاول أن تقدم المساعدة، فهي تضع الحاجيات في عربة الترولي وتحاول أن تجد صندوقًا بالخزانة، وتعيد الكلب إلى السيارة وتحمل الطفل، «هل هي فعلًا تقدم المساعدة؟ هل من العدل أن تقوم هي بكل هذه المهام؟ هل أساعد أمي؟».

- أنه يوضح للقراء أن بإمكانهم استخدام تجاربهم ومفاهيمهم الخاصة لفهم الكتاب. «لماذا لم تتجه الأم إلى داخل المحل مباشرة؟» هل ضاع منها المفتاح أم أنها مرهقة ؟.

إن الكتب المصورة الخالية من الكلمات تتيح للأطفال أن يكونوا قارئي قصص في مستقبل حياتهم، وغالبًا ما تختلف القصة وتزداد ثراءً في كل مرة تُحكى فيها؛ لأن الطفل يكتشف المزيد من خلال الصور، ويتعلم الأطفال مزايا إعادة القراءة لكتب يعرفونها جيدًا، وأن الكتب لا تحمل معنى واحدًا لكل القراء، إن القراءة تعد تجربة فذة تنطوي على كثير من الفرص.

إعادة القراءة

إن تطور اللغة لدى الأطفال الصغار لا يقتصر على زيادة المفردات اللغوية ومعرفة أسماء الأشياء والأفعال والمشاعر والأحداث، ولكنه يمتد إلى نمو فهمهم عن كيفية استخدام اللغة للتعبير عن أنفسهم، ويقدم كتاب «إنا ذاهبون لصيد الدب» أو «We' re Going On A bear Hunt» للكاتب ميشيل روزين (1989) إطارًا لفهم كيفية استخدام اللغة في شكل قصة ممتعة ومثيرة تحكي عن مجموعة من الأشخاص يتوجهون لصيد دب، وحتى يعثروا على ذلك الدب يتعين عليهم أن يجتازوا عدة حقول مختلفة، وفي نهاية القصة يجدون ضالتهم بالعثور على الدب، إلا أن التجربة تعد مخيفة إلى درجة أنهم سرعان ما عادوا إلى منازلهم ينشدون الأمان في أسِرَّتهم، بينما تُرك الدب يتجول بمفرده على الشاطئ.

ويضم الكتاب عدة موضوعات يسهل على الطفل الصغير فهمها، إن فكرة التجربة اليومية المعتادة كالمشي تتحول إلى تجربة مثيرة بمحاولة اصطياد دب، والإثارة هي جزء لا يتجزأ من مرحلة الطفولة، ويتمثل عنصر المتعة في هذا الكتاب في الشكوك حول الدب، إنه يبدو حقيقيًّا ولكن من المؤكد أنه ليس كذلك، والكتاب يساعد الصغار على المشاركة في هذه المغامرة الكبرى وأن يواجهوا مخاوفهم وأن يتجاوزوا حدود الأمان، وأن يستكشفوا النهر البارد والوحل، ولكن قبل أن يُغلق الكتاب يكون الطفل قد عاد إلى أجواء آمنة وقد رقد في فراشه وتغطى بلحافه.

من هؤلاء الذين ذهبوا للصيد؟ إن من بينهم طفل صغير .. إذن فالأمر ليس جد خطير، هل يصاحب الأطفال والدهم أم أخوهم الأكبر؟ أيا كان ذلك الشخص فهو أكبر منهم وسيتولى رعايتهم، وهناك فتاة كبيرة أيضًا وهي تحمل الطفل الرضيع وتساعد بقية الأطفال في ارتداء أحذيتهم وخلعها، وبالطبع فهم يصطحبون كلبهم معهم، وهو يبدو كيوم عادي تقضيه الأسرة خارج المنزل بحيث يكمن الخطر المرتقب تحت السطح، وكل عقبة يواجهونها تعد أكثر صعوبة وأشد ترويعًا، وأخيرًا يعثرون على الدب حيث يواجه الكلب الدب الكبير، وينظران إلى بعضهما البعض في دهشة وقلق!

ويتمثل عنصر المتعة في هذا الكتاب بالنسبة للقارئ في مرحلة الطفولة المبكرة في الطريقة التي تعكس بها اللغة التجارب الواردة بالقصة، والإعادة تعني أنني أستطيع المشاركة بل أجدني مجبرًا على ذلك، وتوحي نغمة الأغنية الأولى بالتفاؤل والثقة اللذين يشعر بهما هؤلاء الصيادون:

إننا ذاهبون لصيد دب كبير

إننا لسنا خائفين.

والنغمة التي تميز كل من تلك الصعوبات يأخذ إيقاعها في التباطؤ اعترافًا بوجود مشكلة ما والحاجة إلى التفكير في كافة البدائل المتاحة، ثم تأتي الحقيقة المؤكدة: «علينا أن نتخطاها!» والتي ينبغي قراءتها بكل ثقة وبصوت يتناقض مع المشاعر الحقيقية المصاحبة لتلك المواقف. وهناك أيضًا الكلمات التي تنطق بشكل يدل على الحدث الذي تدل عليه مثل كلمة «Squelch» أي يخوض في الوحل، وهي توضح كيف أن الصوت الذي تنطق به الكلمة يؤكد معناها، ومن الصعب أن نقرأ هذه الكلمات دون أن تكون مصحوبة بأفعال معينة. والرحلة الأخيرة (العودة إلى المنزل) يعكسها البناء اللغوي المستخدم ومن المحال قراءة تلك الصفحات الأخيرة ببطء، وإنما يتباطأ الإيقاع تدريجيًّا:

إلى الفراش

تحت الغطاء

لن نذهب لنصيد دبًّا ثانيةً.

فيشعر الأطفال في آخر الأمر بالأمان على الرغم من أن الوجوه المُطلة من تحت الأغطية لا تبدو أنها مقتنعة تمامًا، إن الشعور بالأمان المستمد من الفراش يجعل القارئ يفكر في أن الدب ربما كان شيئًا من وحي الخيال، ولكننا عندئذ نقلب الصفحة ونغمض أعيننا على منظر دب حزين يمشي وحيدًا بمحاذاة الشاطئ، ويجد صغار القراء أنفسهم مضطرين إلى التفكير مرة أخرى. هل كنت مخطئًا؟ هل كان حقًّا هناك؟ هل كان يريد أن يلهو فحسب؟ هل لم يكن هناك أي خطر على الإطلاق؟.

إن إعادة قراءة النص بإيقاع قوي يجبر صغار القراء على الاندماج في القصة ومشاركة أبطالها ما يخوضونه من مغامرات، ولا تقتصر مشاركة الصغار على الشعور بنفس المشاعر والشكوك التي تنتاب أبطال القصة ولكن يمكنهم فيها بعد أن يقرأوا الكتاب بمفردهم بطلاقة، والكتاب يتيح للأطفال تجربة ما يجلبه لهم تعلم القراءة من ثراء لغوي وثقافي.

لغة الأدب

تنطوي قراءة الأدب على كثير من المتع منها الاستمتاع باللغة التي يستخدمها المؤلف والتي يتم اختيارها بعناية حتى تعكس معنى النص وتنقله للمتلقي، إنها تختلف عن اللغة الدارجة التي نستخدمها في حياتنا اليومية، حيث أنها تنطوي على مشاعر عميقة وتجارب حافلة تتجاوز ما نصادفه في حياتنا اليومية، إن لغة الأدب ليست هي لغة الحديث في صورتها المكتوبة ولكن الكاتب ينتقي الكلمات والأسلوب بدقة حتى يحقق الغرض المنشود، ويعد كتاب (السلام أخيرًا) «Peace At Last» للكاتب چيل ميرڤى (1980) مثالًا على ثراء اللغة: «كانت الساعة متأخرة». ما هو الانطباع الذي تعطيه هذه الجملة للقارئ؟ إنها تحمل مغزى لا يمكن للكلمات المعتادة أن تحمله «كان الوقت متأخرًا» وهذه الكلمات الافتتاحية تُعرِّفنا أن شيئًا ما سيحدث، وهي تنقل للقارئ أنه في سبيله لدخول عالم مختلف عن عالمنا المعتاد ولكنه يشبهه في بعض الجوانب.

وثمة كتاب آخر يستخدم اللغة استخدامًا خاصًّا وهو كتاب «Lullabyhullaballoo» تأليف ميك إنكبين (1993)، وهذا الكتاب يعطي انطباعًا مختلفًا تمامًا من خلال اللغة المستخدمة فيه، وحتى العنوان فهو يتطلب القراءة على نحو تصاعدي سواء كان في مستوى الصوت أو السرعة أو استخدام بعض التلميحات عن الأشياء التي يعوزها الوضوح، وتفتح الصفحة الأولى بما

يعكس التناقض بين الهدوء الذي يتسم به نوم الأمير الصغير داخل القلعة وبين الضجة الصادرة عن المحيطين بها.

الشمس غابت

وظهر القمر.

إن النغمة المستخدمة تنقل للقارئ الإحساس المتنامي بالرعب، هناك صليل وقعقعة وسحق وصياح ونقيق وصرير ورفرفة ودمدمة وكركرة (صوت الديك الرومى) وأصوات تناول الطعام وتجشؤ! يا لها من فوضى ممتعة! وكلما ارتفع القمر زادت الضجة، ولكنها ليست ضجة مخيفة، ومن الممتع أن ننطق مثل هذه الكلمات الرائعة حيث تعكس جو النشاط والمرح لمن يصدرون تلك الأصوات، وينعكس اليأس الذي تشعر به الأميرة الصغيرة على السؤال الذي يتكرر بصفة مستمرة والذي يبطئ من إيقاع القراءة وهو «ماذا سنفعل؟».

والإجابة تعكس براءة أصحاب هذه الأصوات التي لا يشوبها خبث ولا مكر. «من أنا»؟ هذه هي الإجابة التي يطلقها معظم الصغار غالبًا إذا ما طُلب منهم أن يلتزموا الهدوء، إنهم يفهمون كما أنهم يتقمصون شخصية كل من الأميرة وأصحاب الضوضاء وإن اختيار الكاتب للكلمات والجمل والنغمة والإيقاع يؤكد على مساعدة الصغير على فهم القصة ومعايشة تجارب الآخرين.

النغمة والإيقاع

جرب أن تقرأ كتاب «Tanka Tanka Skunk» للكاتب ستيف ويب (2003) بينما تجلس هادئًا. إنه شيء مستحيل إذ يقوم كل من «Tanka» أو «Skunk» بالطرق على طبولهما، ويرقصان ويغنيان مع أصدقائهما كالقردة والعزير[1] واللامة[2] والكانجارو عبر صفحات الكتاب، وفي هذا الكتاب نجد أن النمط القوي للإيقاع يقود القارئ إلى التجاوب مع الرقص والحركة والغناء، إن إيقاع اللغة يحمل القارئ قدمًا نحو عالم الحركة والمرح، ومثل هذه النصوص تُعرِّف الأطفال على «السجع الأدبي»، ومثل هذا الكتاب لا يمكن قراءته كلمة كلمة، بل يتم تناوله

(1) العزير: حيوان ثديي قصير الأرجل يحفر حفرة في الأرض ليسكن فيها.

(2) اللامة: حيوان يعيش بجنوب أمريكا كالجمل ولكنه أصغر منه وليس له حدبة ـ المترجمة.

بشكل شامل فهو لابد وأن يُحسَّ ويُعاش لا أن يخضع للتحليل، إن الأدب غالبًا ما يتجاوز حدود المعرفة والإدراك، وهذا الكتاب يحقق ذلك الغرض على وجه التحديد بالنسبة للصغار.

وتختلف الإيقاعات الموسيقية من كتاب لآخر، ومن المهم تعريف الأطفال على مجموعة مختلفة من الإيقاعات والنغمات ضمن ما يسمعونه من نصوص. ويعد كتاب «Tickle Tickle» للكاتب دكاري هـرو (2002) نوعًا مماثلًا إلا أن نغمة اللغة ليست كتلك التي تميز اللغة الإنجليزية المقروءة.

إنه يدغدغني يا تومي	He tickle me tummy
في صدري، في ذراعي	Me chest, me arm,
أصابعه تتحرك بقوة	His fingers fly so wild
يقول: «تعال هنا أيها الرجل الصغير	He say come here, little man
يمكنك أن تدغدغ الطفل الصغير	You my ticklin` chile`

بالنسبة لكثير من الأطفال فإن هذا هو نمط اللغة والإيقاع الذي اعتادوا عليه، لذا فهم يفهمونه على وجه السرعة كما لو كانوا خبراء، وهناك الكثيرون ممن يستمتعون بنصوص كهذه، ومن ثم يتسنى لهم أن ينظروا إلى اللغة باعتبارها أداة للتسلية يمكنهم اللعب والاستمتاع بها وتغييرها بما يتفق مع أغراضهم.

وفي الواقع فإن كتبًا مثل Tickle Tickle تعد ممتازة بالنسبة للقراء المبتدئين فهي تساعدهم على إدراك المقاطع، وبناء الجمل، ومن ثم تزودهم بمهارات إدراك الكلمات وطريقة تكوينها. وعلاوةً على ذلك فهذه الكتب تقدم الكثير والكثير.. إنها مقدمة للشعر، كما أنها تمثل احتفاءً باللغة وتعبيرًا عن المشاعر الراسخة والعواطف المتدفقة. وإذا كان الأدب يتيح لنا أن نعكسه على حياتنا الخاصة فإن كتاب «Tanka Tanka Shunk» يتيح لنا أن نلعب باللغة المستخدمة، إننا نعلم أن اللعب هو جزء حيوي من تعليم الأطفال وتنمية مداركهم فاللعب باللغة يندرج ضمن هذا.

الكتب التي تشتمل على بعض المفاهيم

يمنحنا الأدب الفرصة ـ كما قلنا ـ لأن نعكسه على تجاربنا الشخصية، وأن نستوعبه في ضوء

خبراتنا الجديدة التي نواجهها يوميًّا، إننا نتعلم عن طريق خوض المجهول والتساؤل بشأنه، إن خبرات التعلم الهامة بالنسبة لصغار الأطفال تتأتى عندما تواجه مداركهم بعض التحديات، وعندما يتعرفون على الحياة من منظور جديد، وإذا ما ذهبت إلى أي محل لبيع الكتب فإنك ستشاهد الكثير من الكتب التي تستهدف تعليم الأطفال ماهية الحياة، وهي تصور عالمًا من الثقة حيث تستقيم الموازين ويسود الحب والوئام، وحتى الطفل الرضيع يدرك أن الحياة لا يمكن أن تكون دائمًا كذلك، فالموز لابد وأن يصيبه العطب ويصبح بني اللون، كما أن الأيام الدافئة قد يعتريها شيء من البرودة والغيوم، إن الأطفال لديهم قدرة كبيرة على فهم الحياة بحلوها ومرها بشكل يفوق ما نقدمه لهم من مفاهيم وما تمنحه لهم الكتب من معطيات.

وهناك بعض الكتب التي يقتصر دورها على إرساء بعض المفاهيم كالألوان والأشكال والأحجام والأصوات ولكن بطريقة تثير التساؤل والارتداد إلى التجارب الشخصية، ومن بين هذه الكتب كتاب «Alfie's Weather» أو «مناخ ألفي» للمؤلف شايرلي هوجز (2002) فهو يتميز ببساطة اللغة ذات الإيقاعات، كما يشتمل على رسوم توضيحية مفصلة بشكل رائع ومثيرة للعواطف يهدف إلى تعريف الطفل بالأنماط المختلفة للطقس، وهذا الكتاب يأخذ الطفل ليغوص في البرك أو يسير على الجليد، وفي بعض الحالات يمكنه من أن يقارن بين تجارب «ألفي» وتجاربه الخاصة، وفي حالات أخرى يستخدم خياله لعقد مثل تلك المقارنة، وإذا لم تكن قد رأيت من قبل طبقات الجليد المموجة تلك فإنك ستفهم المزيد عنه إذا ما انضممت إلى عالم الإثارة بالمشي فوقه مصطحبًا معك شخصية معروفة بدلًا من أن تقرأ وصفًا جامدًا يخلو من الشخصيات بشكل تعوزه المشاعر والعواطف، إن رد الفعل القائم على المشاعر هو جانب على قدرة كبير من الأهمية بالنسبة لقراءة الأدب، وهو ما يميز القارئ الحقيقي من الشخص الذي يكاد يتعرف على الحروف والرموز.

الحكايات التقليدية

عندما نسمع كلمة «في يوم من الأيام» نعرف على الفور ما يلي تلك العبارة، ونبدأ في الإصغاء لحكاية جميلة، وفي نهاية القصة حيث تتردد على أسماعنا عبارة «وعاشوا جميعًا سعداء إلى الأبد» فإننا نتنفس الصعداء ونستمتع بالشعور بالرضا عن النهاية السعيدة، تُرى ما الذي يجعل هذه

الكلمات ترتبط ارتباطًا وثيقًا بتلك المشاعر لدى السواد الأعظم من الناس؟ إن هذا يرجع إلى أن الكثير من الحكايات التقليدية تبدأ وتنتهي على هذا النحو، وأننا سمعنا تلك الحكايات في طفولتنا المبكرة، إن الأطفال لديهم نموذج مُعد مُسبقًا لمثل تلك الحكايات، فهناك الأخيار والأشرار، ولابد وأن تشتمل القصة على أزمة أو مأزق إلا أن البطل لابد وأن يفوز في النهاية ويلقى كل فرد في القصة جزاءه العادل، وغالبًا ما تمثل تلك الحكايات تحديًا أمام الأفكار المتوارثة عن الخير والشر وتكوين الأسرة والعلاقات المختلفة، إن الخنازير الثلاثة الصغيرة تهزم الذئب الكبير الشرير، وسندريلا تذهب إلى الحفل في النهاية وتتزوج الأمير الوسيم، والأميرة الجميلة النائمة توقظها قبلة، وقطيع الماعز سيأكل الحشائش المنتشرة على الجانب الآخر من الجسر في آخر الأمر، لذا فالحياة تستمر والخير يفوز في النهاية، بينما ينهزم الشر ويعود الوئام يرفرف على أبطال القصة.

ومن خلال قصصٍ كهذه يتعلم الصغار الكثير عن موروثهم الثقافي والاجتماعي حيث تواجه القيم والمعتقدات والعادات بعض التحديات ليتم تعديلها وتغييرها للأفضل، ومن خلال تلك القصص أيضًا يصبح الأطفال الصغار جزءًا من التاريخ ويدركون كيفية الوصول إلى أهدافهم.

ومن ناحية أخرى فهذه القصص تمثل وسيلة للتعرف على القيم والمعتقدات والعادات الخاصة بالثقافات الأخرى، وغالبًا ما نجد أن الأحداث الأساسية لجميع القصص متشابهة. إن قصة «قطة جميل الذكية ـ Jamil's Clever Cat» للكاتب فيونا فرينش (1998) تعد شكلًا آخر لقصة البنغاليين «Bengali Folk»، ومن يعرفونها يربطون بينها وبين قصة «الهرة داخل الحذاء» أو «Puss In Boots». ويحدد الأدب العناصر الإنسانية المشتركة التي تربط بين الثقافات المختلفة ويساعد القارئ على فهم أنماط الحياة المختلفة والتأكيد عليها.

إن التعرف على الحكايات الشهيرة يمنح الصغار الفرصة لاكتشاف أحداث القصة وكيفية بنائها، فهم يرون أن كل قصة تتشابه مع الأخرى في الشكل العام الذي يشمل المقدمة والأحداث والمشكلات التي يتعرض لها الأبطال ثم انفراج الأزمة، وبالتالي يكون لديهم معين لا ينضب يساعدهم على الكتابة ورواية الحكايات بأنفسهم، وهم يحددون أيضًا السمات الخاصة بالشخصيات النمطية ويرون كيفية خلق الشخصيات من خلال اللغة والحبكة، إن

الحكايات التي يمثلون هم أبطالها في مراحل طفولتهم الأولى تحاكي أحداث تلك الحكايات التقليدية الموروثة، ويمكنهم عندئذٍ تغيير بعض العناصر في تلك الحكايات، ومع ابتكارهم لعناصر جديدة فإن إدراكهم يتعدى عناصر القصة كما أن قراءة بعض الابتكارات المطبوعة يساعدهم على ذلك، فمثلًا نجد أن كتاب «القصة الحقيقية للخنازير الثلاثة الصغيرة ـ The True Story Of The 3 Little Pigs» للكاتب جون سيسكا (1991) يحكي عن تلك القصة المعروفة ولكن من خلال ثلاث زوايا مختلفة، وإذا ما صدرت حكايات بديلة مشابهة فلن تحظ بالتقدير الكافي إلا إذا قامت على معرفة جيدة بالقصة الأصلية.

إن الأدب يتيح لنا فرصة التعرف عن قرب على أنفسنا وعالمنا ومن يحيطون بنا، وهو يقوم بنفس الدور بالنسبة للصغار، إذن كيف يتسنى لنا أن نختار الكتاب الملائم للأطفال الصغار؟ إن مبادئ تدريس القراءة في مراحل الطفولة الأولى ـ والتي حددتها الإستراتيجية القومية الأساسية (DFES 2003) ـ والتي تتبعها المدارس الابتدائية بالمملكة المتحدة تخضع للنظرة البسيطة للقراءة (جوف وتومنر 1986) والتي تعتبر تحديد الكلمات واستيعاب اللغة هما العمليتان الأساسيتان للقراءة ويوصى بأن يعطى لصغار القراء كتبًا تشتمل على كلمات متناغمة صوتيًّا يمكن للصغار أن يعرفوا معانيها بأنفسهم، إلا أن هناك الكثير من المعايير الأخرى الخاصة باختيار الكتب للصغار كما رأينا في هذا الفصل.

اختيار الكتب

عندما نختار كتابًا للطفل تُرى عما نبحث في هذا الكتاب، لنأخذ على سبيل المثال كتاب «صغار البوم» أو «Owl Babies» للكاتب مارتن واديل (1992) للإجابة عن هذا السؤال.

أولًا: نحن بحاجة إلى كتاب يعرفه الطفل ويرتبط به عاطفيًّا. إن كل الأطفال الصغار مروا بمواقف اعتراهم فيها القلق بشأن ما إذا كانت أمهاتهم ستعود مرة أخرى، ولذلك فهم يعرفون الشعور الذي تعايشه البومات الثلاث الصغيرات سارة وبيرسي وبيل وبالتالي يتجاوبون مع أحداث القصة، إن الكتاب الجيد الملائم للطفل الصغير هو ذلك الكتاب الذي يمكن أن يرتبط به الطفل عاطفيًّا.

ثانيًا: يجب أن يشجع الكتاب الطفل على المشاركة، وهذا يتحقق عن طريق ما يلي :

- **تحديد الموقف**: «عندما ذهبت إلى الروضة لأول مرة كنت أعتقد أن أمي لن تعود ثانيةً».
- **التساؤلات**: «إنني أتساءل لماذا انصرفت وهم نائمون؟ هل يمكنك أن ترى عينة من الريش على الصفحة؟!».
- **التجديد**: «ما الذي يمكن أن يحدث إذا لم تعد؟».
- **التأمل النقدي**: «لماذا تقول بيل دائمًا نفس الكلام؟».
- **الاندماج في النص**: إن العلاقة بين النص والرسوم التوضيحية هي أمر بالغ الأهمية. وهما يعملان معًا لمساعدة الطفل على تكوين المعنى.

ثالثًا: تدعم اللغة الصغير في قراءة الكتاب وفهمه، ويشتمل كتاب «Owl Babies» على بعض التكرار: «أريد أمي» هذه العبارة تجعل الأطفال يندمجون في القصة نتيجة للتكرار، ولأن تلك العبارة طالما تتردد على ألسنتهم، فهم يتعاطفون مع قائلها، وثمة نمط معين للغة ففي كل مرة تتحدث البومات الصغيرة بنفس الترتيب وثمة تشابه بين ما تقوله هذه وتلك، ونبدأ في التعرف على الشخصيات والتنبؤ بردود أفعالها، ولغة الكتاب أدبية تعرف القارئ الصغير على لغة الكتب.

«جاءت في هدوء، ثم انقضت على الأشجار التي تقف عليها سارة وبيرس وبيل».

تُرى هل ثمة عبارة أقوى وأشد إرضاءً من الناحية العاطفية من العبارة البسيطة ذات التناغم الصوتي: «لقد عادت ماما».

المشاركة في الكتب

عندما نختار كتابًا على أساس ارتباطنا الشخصي به وتفاعلنا مع أحداثه وشخصياته وتأثرنا بلغته كيف إذن يمكننا أن نجعل طفلًا رضيعًا يشاركنا هذا الكتاب بما يسمح له بالاستمتاع بما يقدمه الأدب من ثراء لغوي وثقافي.

إن قراءة الكتب بصوت مرتفع للأطفال تجعلنا نلعب دور الوسطاء بين الطفل والكتاب،

فنحن نحدثه عن الكتاب ونسمح لهم بالربط بينه وبين تجاربهم الشخصية ومدى فهمهم للكتاب، إننا نقرأ بطلاقة وتعبير لنتيح الفرصة للطفل بأن يسمع اللغة ويحس بتأثيرها، وأن يُبدي ردود أفعاله بشأنها، وردود الأفعال هذه لا يعبر عنها دائمًا بالكلمات، فقد يستجيب الطفل إلى عودة الأم بالجري في أرجاء الحجرة باسطًا ذراعيه ..

وقد يستجيب الأطفال للخوف الذي ينتاب الصغار الثلاثة بأن يدنو ممن يقرأ له طلبًا للدفء والحماية، وقد ينفعلون لبكاء بيل، وربما أمكنهم أن يجيبوا عن ظنون سارة ويندمجون مع إجابات بيرسي، ومن المهم أن نتذكر أن كل رد فعل هو سلوك صحي وطبيعي، إن قوة الأدب يختلف أثرها السحري من فرد لآخر.

إننا نبدأ اختيارنا بالتمييز بين الكتب التي تمثل قيمة تاريخية وتلك التي تمثل قيمة أدبية، ومن المهم ـ بالنسبة للطفل الصغير جدًا ـ أن نمنحه الفرصة كاملة لأن يعيش متع الأدب وتحدياته. وأثناء تعلمهم القراءة بأنفسهم فهم بحاجة إلى تجارب تذكرهم بأن كل ما يلاقونه من مشقة في التعلم لمعرفة ما تعنيه تلك الرموز الغريبة بالصفحات سيؤتي ثماره فيما بعد، وأن القراءة تلبي احتياجاتهم الداخلية العديدة بالإضافة إلى كونها تعد مهارة أساسية تستلزمها الحياة اليومية.

مراجع أخرى

- **A bookshelf for beginning readers should include:**

  A wide range of engaging stories including traditional, contemporary and fantasy tales: for example, *Anacy and Mr Drybone* by Fiona French (Frances Lincoln), *Tatty Ratty* by Helen Cooper (Red Fox) and *Q Pootle 5* by Nick Butterworth (Harper Collins).

  Stories and nursery rhymes from their own culture and the wider cultural heritage: for example, *Sing Me A Story* by Grace Hallworth and John Clementson (Frances Lincoln) and *Hairy Toes and Scary Bones* by Rose Impey (Orchard).

  Stories with lots of repetition, alliteration, rhyme and language play: for example, *In the Dark, Dark Wood* by Jessica Souhami (Frances Lincoln).

  Poems, games and songs that encourage everyone to join in with words and actions: *The Barefoot Book of Classic Poems* edited by Jackie Morris and Carol Ann Duffy (Barefoot).

  Books that invite readers to marvel at pop-up pages, to lift flaps or to pull levers: for example, *The Animals Went in Two by Two* by Jan Pienkowski (Walker Books).

  Alphabets and counting books: for example, *Many hands counting book* by Brita Branstrom (Walker Books) and *South African Animals* by Lindiwe Mabuza and Alan Baker (Tamarind).

Stories in languages other than English and in dual language: for example, *Farmer Duck* by Martin Waddell and Helen Oxenbury in Bengali and English (MantraLingua,UK).

Information books about the immediate environment and further afield: for example, *Think of an Eel* by Karen Wallace (Walker Books)

Books that tie in with popular television programmes and films: for example, *But I am an Alligator* by Lauren Child (Puffin).

Stories and songs in books with accompanying story boxes, related toys, CDs or DVDs: for example, *Creepy Crawly Calypso* by Tony Langham and Debbie Harter (Barefoot).

الفصل الرابع تعليم القراءة وتعزيز عادات القراءة الصحية

فيفيان سميث

يتناول هذا الفصل ما يلي:

- أصول تدريس القراءة.
- تنمية القراء النشطين.
- الاستعانة بالكتب الجيدة لتعزيز عادات القراءة الصحية.



ما الذي يهمنا؟ تعليم القراءة أم تعليم كيفية أن تكون قارئًا؟ كيف يمكننا مساعدة الأطفال على تحقيق هذا أو ذاك من خلال طريقة تعليم القراءة بالمدارس والكتب التي نشجعهم على قراءتها؟ ويركز هذا الفصل على أصول تدريس القراءة، والدور الهام الذي تؤديه الكتب في هذه العملية الهامة لتعلم ما يفعله القراء حينما يقرأون، ويحتج البعض بأن أفضل الكتب هي تلك التي تعزز عادات القراءة الصحيحة لمن يقرؤنها.

تعليم القراءة

إن نظام التدريس العام بالمدارس يتوقف عليه الاختلافات الشاسعة فى الطريقة التي يتعلم بها الناس القراءة، ومن الآراء الموروثة أن تعلم القراءة هو عملية تتم داخل المنزل، وهذا يحدث عموما لدى الطبقة المتوسطة قبل أن يلتحق الأطفال (لا سيما الأولاد!) بالمدارس، وهو الأمر الذي تتولاه الأم أو المربية، وهذه العملية تؤتي ثمارها مع الأولاد والبنات على حدٍّ سواء ربما

عن طريق تعليمهم بشكل فردى التعرف على الحروف الأبجدية، ومن ثم تبني القصص القصيرة والنصوص المألوفة التي يستطيع الأطفال قراءتها، وثمة دليل على ذلك حيث أن كتاب Styles and Arizpe's (2006) الذي ينتمي لمجموعة جونسون الأدبية يوضح لنا كيف استطاعت إحدى الأمهات وهي جين جونسون ـ في منتصف القرن الثامن عشر ـ أن تطور بعض الأساليب ـ بكل جد وحب ـ من أجل تعليم أطفالها القراءة، فقد كتبت حروف الهجاء وكونت جملًا وأشعارًا وقصصًا وحكايات أسطورية إلى جانب بعض الموضوعات التي يهتم بها أطفالها، وهي تضع كل هذه المواد بدقة شديدة على كروت صغيرة يمكن للأطفال أن يمسكوا بها، وهذه الكروت مزينة بشكل جميل لبث البهجة في نفوس الأطفال.

إن تعلم القراءة بالنسبة لأطفال جونسون كان حتمًا نشاطًا فرديًا محببًا مغلفًا بطبيعة شخصياتهم الناشئة وعلاقتهم بأمهم، إن النصوص التي يقرؤنها تتواءم مع ظروفهم واهتماماتهم اليومية، وهي تمضي بهم قُدُمًا نحو تحقيق الغاية المنشودة المُرضية، وهي تعلم القراءة والكتابة، ذلك الهدف الذي يتشكل عن طريق آبائهم يومًا بعد يوم داخل المنزل، فليس ثمة فجوة بين تعلم القراءة وتعلم أن تكون قارئًا.

ولكن ما يمكن تحقيقه مع طفلين أو ثلاثة تقوم والدتهما على تعليمهما يختلف عما يمكن إنجازه من قبل مدرس الفصل الذي يضم خمسة وعشرين أو ثلاثين تلميذًا أو حتى أكثر من ذلك، ويحتاج كُلًّا من هؤلاء أن يتعلموا كيفية القراءة حتى يتسنى لهم مسايرة متطلبات المناهج الدراسية، إنني أعرف بعض المدرسين ممن قاموا بالتدريس لفصول يزيد عدد التلاميذ بها عن أربعين طفلًا، وقد شهدت السنوات الأولى من القرن العشرين تزايد أعداد الفصول إلى ما يفوق هذا العدد، كيف يمكن لأي مدرس يقوم بالتدريس لخمسين تلميذًا أو أكثر أن يوفر موارد لكل فرد من هؤلاء إلى جانب وضع برامج للقراءة لكل طفل مثلما فعلت جين جونسون؟ لقد ظهر برنامج القراءة التجاري كرد فعل لتزايد أعداد التلاميذ فضلًا عن بعض القيود الزمنية، وقد أصبح هناك الآن نظام قياس بسيط ومضمون يتضمن مراحل التقدم والتي تمثل نقطة الانطلاق لتعليم القراءة للغالبية العظمى من الأطفال، مما يوفر على المدرسين المجهدين ابتكار أنظمة جديدة لكل من هؤلاء الأطفال الذين يشرفون على تعليمهم.

وثمة نظم أو برامج للقراءة حققت نجاحًا كبيرًا واستُخدمت على نطاق واسع في منتصف

القرن العشرين بحيث أصبحت جزءًا من نظام التعليم القومي بالمملكة المتحدة، كما أضحى كل من جانيت وجون وبيتر وجين شخصيات ثقافية يقتدى بها إلى درجة جعلت القائمين على الدعاية والشعراء يحاكون بشكل سافر الافتراضات التي تحكم الجوانب الاجتماعية لشتى النصوص إلى جانب اللغة المميزة لبرنامج تعليم القراءة (مثل كوب 1986). إن الأنظمة التي تمثل وسائل طبيعية لتعليم القراءة تحظى بالقبول والتطبيق بشكل عام.

إلا أن هناك بعض أوجه القصور فقد وجهت بعض الانتقادات للبرامج التجارية لتعليم القراءة لعدة أسباب مختلفة (ميك 1982، ووتر لاند 1988 وويليامز 2001)، ولا مجال هنا لتكرار مثل هذه الحجج والآراء ولكن علينا أن نلاحظ أن الناشرين قد أخذوا آراء النقاد مأخذ الجد واستجابوا لها استجابة عظيمة.

وفي يومنا هذا نجد أن أفضل برامج التعليم هي تلك الأكثر شمولًا والأقل انحيازًا للرجل، وهذه البرامج تستخدم لغة بسيطة يسهل فهمها (بخلاف لغة البرامج السابقة والتي استخدمتها كوب في قصيدتها، كما أنها موضحة بشكل جيد، وتتضمن حكايات مفيدة وأحيانًا ما تكون فكاهية، وكثير من الأطفال يحبون بالفعل تلك الحكايات ويستمتعون بقراءتها الواحدة تلو الأخرى ضمن برنامج القراءة.

وعلى الرغم من أوجه التحديث العديدة تبقى هناك بعض النقاط التي يمكن تحسينها بشأن برامج القراءة، وتحظى الكثير من الكتب بالتطوير في تصميماتها لتعليم أكبر عدد ممكن من الأطفال قراءة الكلمات المطبوعة بكفاءة وسرعة كلما أمكن، ولهذا السبب فهي لا تأخذ في الاعتبار الاحتياجات المختلفة والاهتمامات المتباينة لمن يقرؤها من الأطفال. والأهم من هذا أن تلك الكتب تفترض دومًا أن القراءة هي مهارة فطرية يمكن تعلمها بالممارسة، وأن هذه المهارة يمكن أن تنتقل فيما بعد لأي نص يصادفه القارئ، وهنا أحتج بأن القراءة أكثر تعقيدًا من ذلك.

أهمية قراءة النصوص

لقد أسهمت مارجريت ميك منذ عشرين عامًا في كتابها «دور النصوص في تعليم القارئ» (1988) بشكل كبير في أن نفهم كيفية صنع القراء، وقد أثبتت بما لا يدع مجالًا للشك أنه على الرغم من أهمية التعرف على الأحرف والكلمات ووجود المدرسين الأكفاء إلا أن النصوص في حد ذاتها

تلعب دورًا هامًّا في تعليم الأطفال كيف يكونوا قراءً وكذلك الكبار فالأمر لا يقتصر على من يعرفون القراءة، وتوضح لنا ميك كيف تسهم النصوص الثرية ذات التلميحات غير المباشرة ـ مثل «Each Peach Pear Plum» أو «كل خوخة وكمثرى وبرقوقة» للكاتبين آلان وجانيت ألبيرج (1978) ـ في تعريف الأطفال بالتفكير والتأميل فيما بين النصوص المختلفة، وهو ما يميز القراء الناجحين إلى حدٍّ كبير، كما أن قصة «Rosie's Walk» أو «مشية روزى» للكاتب هوتشينز (1968) توضح أن النص قد يعني الكثير مما لا تستطيع الكلمات نفسها أن تفصح عنه، وأن عنصر السخرية بالنص يلعب دورًا هامًّا، كما توضح ـ للأطفال الأكبر سنًّا ـ كيف أن قصة مثل «The Silver Sword» أو «السيف الفضي» (سيريليير 1960) وغيره من النصوص القوية الأخرى تعلم الأطفال الشعور بالرضا نتيجة للاندماج العاطفي الكامل مع أحداث القصة.

هذه بعض الدروس الخاصة بالقراءة والتي يمكن أن يتعلمها المدرسون أو الآباء، ولكن من الأفضل أن يرجعوا للنصوص بأنفسهم، وليس ثمة وسيلة لتوضيح عنصر السخرية أكثر من الفكاهة التي تتضمنها قصة «Rosie's Walk»، أو لتعريف الأطفال بأن القارئ الجيد يستفيد بما يعرفه بالفعل عن النص سوى من خلال الشعور بالبهجة الذي عمَّ الجميع عندما اكتشفوا أن «الدبب الثلاثة» قد انتقلوا بثقة من قصة إلى أخرى وأن «سندريلا» وجميع الشخصيات الأخرى موجودة أيضًا، والأطفال يتعلمون أنهم والكاتب يشتركون في معرفة مجموعة من الشخصيات التي يرجعون إليها، وهو ما يجعل القراءة هواية ثرية ومسلية، وهذه الدروس لها أهميتها، والقارئ البالغ الذي لم يعرف قط كيف يكتشف جانب السخرية يفتقد عنصر الفكاهة الذي يتميز به جين أوستن، إن القارئ الذي لا يمكنه أن يربط بين نص وآخر من خلال الشخصيات يفتقد معظم النكات أو عناصر الفكاهة في قصة سيمبسون Simpsons، والقارئ الذي لا يمكنه أن يندمج بعواطفه في أحداث قصة ما قد لا يهتم بأن يقرأ كثيرًا.

وتوضح لنا ميك كيف تسهم النصوص الممتازة في تلقين الأطفال أعظم الدروس، إن الأمر الذي استنتجته ولكنها لم تتناوله بالتفصيل هو أن ثمة نتيجة طبيعية لذلك وهي أن النصوص الأقل جودة تتضمن دروسًا أقل إفادة وأهمية على حين أن أفضل النصوص تحث القارئ على التفكير والربط بين الأحداث والتخيل والاندماج بينما هناك نصوص أخرى تشجع على عادات القراءة غير الصحيحة أو التي تتسم بالكسل مثال ذلك الكتب التي تشتمل على نصوص مسلم

بها ولا يمكن مناقشتها، والتي يتحقق من خلالها الإشباع بسهولة، والتي تمثل نهايتها العنصر الأكثر أهمية وليس الموضوع في حد ذاته.

إن المفهوم الذي تود ميك أن توصله لنا هو أن كل النصوص لها أهميتها، وحتى النصوص التي نقرؤها في بدايتها تعد هامة لأنها تنشط عادات التفكير التي نستخدمها باعتبارنا قراءً طوال حياتنا الثقافية، فالقراء بحاجة إلى أن يدركوا ماهية الدروس المستمدة من القراءة والتي تكمن وراء الكلمات، والمعلمون بحاجة إلى تمييز النصوص التي يستعينون بها في تعليم الأطفال داخل الفصول، كما أنهم بحاجة إلى أن يعرفوا نوعية النصوص التي تشجع على العادات المثلى للقراءة وتلك التي تفتقر إلى ذلك نظرًا لأن العادات السيئة ـ كما نعلم جميعًا ـ إذا ما ترسخت أثناء الطفولة فمن الصعب التخلص منها فيما بعد!

ويتضمن الجزء الثانى من هذا الفصل مثالين لِنصَّين يمكن أن يتحمس طفل السابعة لقراءتهما بالمدرسة، إنني أود أن أتناول نوعية الدروس المستفادة من قراءة الطفل لهذه النصوص، وما يحتاج الطفل إلى معرفته عن القراءة حتى تتحقق الفائدة المرجوة منها.

مثال (1): مفقود في الظلام «Lost in the Mist»

هذا هو النص الأول الذي أود مناقشته وهو من تأليف الكابتن جيل أتكينز وشيلاف ماك نيكولاس (1997)، وهذه القصة تنتمي للمستوى الثامن من برنامج «ستوري وورلد ـ Story World» للقراءة والذي وضعه هينيمان، وهو يعد نصًّا نموذجيًّا فريدًا من نوعه إذ تتوافر فيه سمات الرواية وأسلوبه مباشر، كما أنه يدعم القارئ المبتدئ، وهو مطبوع على شكل كتيب صغير مثله مثل سائر كتب المجموعة، ويبلغ طوله 8 بوصات وعرضه ستة بوصات، وأود أن أركز اهتمامي على وجه الخصوص على الصفحتين المتقابلتين اللتين تفتتح بهما القصة.

وإليكم النص الذي يشغل صفحتين :

في الصيف ذهبت أليسون لتعيش مع جدها وجدتها في سكتلندا. وكان هناك ولد يدعى جامي يسكن بالقرب منهم، وفي يوم من الأيام خرجت أليسون وجدتها للتمشية على التلال.

سألت أليسون جامي: «أتحب أن تأتي معنا؟»

رد جامي قائلا (ص2): «نعم من فضلك».

انطلقت أليسون مع جدتها يصحبهم جارهم جامي،

وضعت أليسون يديها في جيبها واستخرجت صافرة، وأخذت تصفر محدثةً ضجة كبيرة.

قالت لها جدتها: «توقفي عن هذه الضوضاء!»

أعادت أليسون الصافرة إلى جيبها (ص3)

تغطى هذه الكلمات حوالي نصف المساحة البيضاء بالصفحتين المتقابلتين على شكل نثر مكتوب وكأنه شريط طويل ضيق ومستمر، وهناك فراغ كبير يفصل بين الصفحتين، وهناك صورة تقع أعلى النص بالصفحة الثانية بينما توجد صورة أخرى أسفل النص بالصفحة الثالثة. والصورة الأولى تحتوي على منظر لأحد الشوارع، وهناك عربتان مدهونتان باللون الأبيض. وفي وسط الصورة تظهر فتاة صغيرة وسيدة أكبر سنًّا وهما يخرجان من العربة مغلقين الباب خلفهما، كانت كلٌّ منهما ترتدى معطفًا وقبعة وحذاء قويًّا. وفي الخلفية يظهر ولد وهو يخرج من العربة الثانية. أما الصورة الثانية فهي توضح الجدة والأطفال وهم يسيرون فوق التلال. وكان كل من جامي والجدة ينظران إلى أليسون بينما تنظر هي إلى جدتها، تبدو الجدة حذرة بينما تبدو أليسون وهي تُخرج الصافرة من فمها .. كل المعاطف مقفلة الأزرار. تضع الجدة حقيبة فوق ظهرها بينما تبدو السماء ملبدة بالغيوم.

ما الذي يمكن أن يستفيد به القارئ من هذا النص؟

هناك بعض الأشياء التي تتضح معانيها لأول وهلة، وما يعنينا أولًا هو الكلمات وليس الصور، نستنتج ذلك من خلال وضع الصورة في وسط الصفحة بشكل منظم بحيث تحتل جزءًا كبيرًا من المساحة الأساسية، وهذه الكلمات وضعت لمنع حدوث أي لبس. ويتميز النص النثري بأنه بسيط ومتكرر، ويركز الكاتب على الدمج بين المفردات بأكثر مما يهتم بخلق مناخ معين أو شخصية بذاتها، ونظرًا للحاجة المفترضة للحفاظ على بساطة المفرادات واستمرار الأحداث يتسم إيقاع هذا النص بأنه سريع وموظَّف جيدًا، والقارئ ليس بحاجة إلى أن يتساءل أو يتعجب بشأن الشخصيات أو الصافرة أو الجولة التي قاموا بها على أقدامهم.

وعلى النقيض من ذلك نجد أن الصور المحيطة بالموضوع أقل أهمية، وأيًّا كان وضعها سواءً

في أعلى الصفحة أو في أسفلها فهو يوحي بالغرض منها ألا وهو توجيه القارئ نحو القصة وتدعيم ما توحي به الكلمات عند قراءتها، ومن ثم فالصورة لا تقدم سوى قدرٍ ضئيل من المعلومات التي لا تتضمنها الكلمات، وهي توضح الملامح الأساسية للقصة: أليسون وجدتها وجارهم جامي والتلال والصافرة، هذه الأشياء التي لم تذكر بالتفصيل ولكن تم توضيحها كالملابس الدافئة والحذاء الطويل (البوت) القوي والسماء الرمادية وذلك لتثبيت القصة في ذهن القارئ، والعنوان قد يوحي ـ بالإضافة إلى الصور ـ إلى حدٍّ ما بما يمكن أن تتطور إليه أحداث القصة، ولكن هذه الصور ـ مثلها مثل النص ـ تكشف بسهولة عما توحي به، إن القراء الذين يعودون للقصة، ويتأملون الصور بعد أن يقرأوا الكلمات لن يجدوا الكثير مما يستحق التفكير بشأنه، وهذه الرسوم التوضيحية تسهم في نظام القصة واستيعاب القارئ الصغير لها، ولكنها ما تلبث أن تتداعى و (تموت) فالكلمات هي التي تمنحها الحياة.

وهذه القصة «Lost in the Mist» هي قصة جيدة جدًّا فهي شيقة وسهلة الفهم ومعروضة بشكل جيد، وهي تشبه الغالبية العظمى من القصص التي تنتمي لمعظم برامج القراءة، وهي تشتمل على عدد من وسائل التعليم التي يمكن أن تساعد القارئ الصغير، وبعض هذه الوسائل يعد دروسًا غاية في الأهمية فيما يتعلق بالقراءة، وأول هذه الدروس يتمثل في أن القراءة هدف يمكن تحقيقه مع الإلمام ببعض الكلمات والتمتع بمهارة التعرف على معانيها إلى جانب تهيئة الجو المناسب.. كل ذلك يجعل الأطفال يقرأون هذه القصة بكفاءة في مرحلة مبكرة نسبيًّا من حياتهم كقراء، وإذا ما قللنا من أهمية ذلك فإننا نكون حمقى، إن زرع الثقة في نفوس صغار القراء لهُو من أولويات المعلم، إن مثل هذه النصوص التي تحد من احتمال حدوث أخطاء تسهم بالكثير في بث ثقة القراء الناشئين في أنفسهم إذا ما تعرضوا لأي هجوم أو انتقاد.

وثمة ميزة أخرى وهي أن هذا النص يعلم الأطفال شكل القصص الخيالية التقليدية، وعلى الجانب الآخر نجد أن قصص الكبار نادرًا ما تشتمل على أية صور أو رسوم من أي نوع، إن التركيز على الاسترسال في النثر هو ما يتعين على قراء القصص الخيالية أن يتعلموه.

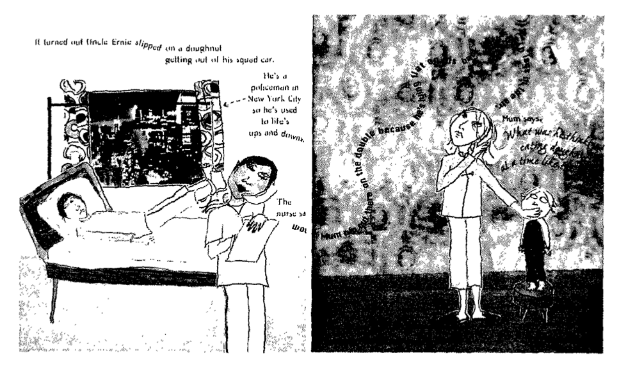
وعلاوةً على ذلك فإن هذا النص يعلمنا بعض سمات الرواية، وثمة عنصران هامان يختص كلاهما بصوت الراوي، أولًا: من هو قائل الرواية؟ لا نعرف، إن القراء الذين يعرفون هذه القصة عليهم أن يتعلموا أن هناك شخص ثالث غير ظاهر ويتسم بمعرفة غير محدودة وهو

الراوي الذي لا يمكنهم رؤيته والذي لا يحدثهم مباشرةً. وكما يشير جريجوري (1992) فإن بعض القراء يجدون أنه من الصعب عليهم أن يتعلموا ذلك ومع ذلك فبدون إدراك هذا العنصر يصعب فهم الكثير من الحكايات الخيالية التي تنتمي للحضارة الغربية، ثانيًا: هذا النص يعلِّم القراء الالتزام بتوجهات الكاتب (الراوي) وهو هنا صاحب كتب لا يختلف عليها اثنان إذ يتسم أسلوبه بالبراعة والكفاءة والحسم، كما أنه واضح لا مجال فيه لِلَّبس، وبالإضافة إلى ذلك فإن الرسوم التوضيحية ذات الطبيعة الموجهة تعني أن القارئ ينتقل عبر أحداث القصة من خلال تيار قوي مقصود ومتعمد، إن صوت الراوي يتحكم في القارئ بحيث يضمن أنه يرى ويفكر بالطريقة التي يريدها الكاتب، إن التوجهات القوية للراوي على هذا النحو نجدها في كثير من النصوص المحترمة، انظر على سبيل المثال كيف استطاع ج. ك. رولينج أن يوجه انتباه القارئ في بداية قصته «هاري بوتر وحجر الفيلسوف ـ Harry Potter and the Philosopher Stone (1997)»، أو كيف تمكن جورج إليوت من توجيه اهتمام القارئ أكثر فأكثر في الفقرات الأولى لقصته «Adam Bede (1859)» إن قصة «مفقود في الظلام» أو «Lost in the Mist» تساعد القراء على المضي قدما مع مقاصد الكاتب بشكل تعوزه معظم الروايات الأدبية، وهذه تعد دروسًا قيمة، ولكن هل هي كافية؟

مثال (2): قصة «My Uncle is a Hunkle» «كلاريس بين»

(الشكل 4/ 1) مأخوذ من تلك القصة خصوصًا من بدايتها على الرغم من أنه يصعب فهمها شأنها شأن معظم قصص الأطفال التي كتبها لورين، وتهدف هذه الصور إلى التفرقة بين الصفحات النهائية للقصة وصفحات المقدمة، وتلك التي تتضمن متن القصة، وبنظرة سريعة لمثل هذه القصة نجد أنها تتطلب من القارئ مهارات تختلف عن تلك التي تتطلبها قصة «Lost in the Mist».

ومن الواضح أن التوازن بين الكلمة والصورة مختلف أيضًا، فليس ثمة فاصل يوحي بأن أحدهما أكثر أهمية من الآخر. والقصة تحفل بالصور بحيث يقل عدد الكلمات عن النص الأول بحوالي عشرين كلمة أو نحو ذلك، والصور تشتمل على كلمات تحذيرية عبر صفحات القصة مع استخدام أشكال مختلفة للخطوط (بُنطات).



الشكل 1/4 ـ صفحات من قصة «My Uncle is a Hunkle, Says Clarice Bean».

للكاتب لورين (مؤسسة «Orchard Books» للطبع والنشر 2000)

وهاتان الصورتان يربط بينهما حديث الممرضة التي تتحدث في الهاتف وهو ما يوحي للقارئ بأن أحداث الصورتين متزامنة وليست متسلسلة، كما أنهما يجذبان كلا من العين والعقل ويشجعانها على التساؤل عن بعض الأشياء، وليس مجرد النظر والتفكير بطريقة منظمة. والصور ذاتها تحمل هذا التأثير المزدوج، إن الصور تخلق أثرًا مشوشًا إلى حدٍّ ما، كما أن هذه الرسوم المقطعة تتناقض مع ما يحدث في الواقع، كل هذا يثير التفكير لدى القارئ بشكل مختلف وفعال وهو ما يختلف تمامًا عن التوجهات المقصودة والجادة التي تتضمنها قصة «Lost in the Mist».

هنا نرى صورة تحمل معنى القصة، وليست كلمات حيث يرى القارئ العم إيرني وساقاه مرفوعتان في الهواء، ويلاحظ وجود ماينال كريكيت وهو يسبب لأمه بعض المشاكل والصعوبات، وثمة بعض الكلمات التي تؤكد ما تتضمنه الصور من معلومات إلا أنها تعد وسيلة ربط ضعيفة لتوجيه القارئ، وحتى يستوعب القارئ هذا النص فلابد وأن يكون قادرًا على قراءة ما لم تنقله الكلمات بنفس القدر الذي يقرؤها به.

إن ما تتضمنه الكلمات من معلومات لا يمثل فحوى برامج القراءة، وليس ثمة مفردات محددة هنا كما أن اختيار الكلمات غير متوقع، وأرى أنه ليس هناك قارئ واحد يمكن أن يتنبأ بكلمة «كعكة محلاة» في السطر الأول من خلال ما توحي به المعلومة المعطاة دون وجود صورة توضح ذلك، ونلاحظ أن النبرة المستخدمة عامية فكاهية مثل عبارة (تقلبات الحياة) «Life's Ups and Downs»، وتستخدم تلك النبرة على مختلف المستويات، وهناك بعض الغموض فيما تقوله الأم حيث يتساءل القارئ: «لماذا هذا الوقت بالذات غير مناسب لتناول الكعكة؟»

إن صوت الراوى أيضًا ينطوي على بعض التحديات، وفي هذا النص نجد أن الراوي يتسم بالصراحة وهو يدعى كلاريس بين، وقد يعتقد القارئ أن الغرض من هذا الوضوح هو تبسيط الأحداث، إلا أن الأمر ليس كذلك، وهذا يرجع إلى سببين أولهما أن كلاريس ليس شخصًا محايدًا ذا علم مطلق كما هو الحال بالنسبة للراوية في قصة (مفقود في الظلام) والتي كانت ذات وضع محدد بحيث لا تحكي سوى ما تراه أو تسمعه أو تفكر فيه، وهذا بالطبع لا يمكن أن يعبر عن القصة بأكملها، ثانيًا: أنها لا تمثل راوية واحدة بصورة مباشرة، ولكنها تذكر ما يقوله الآخرون سواء بشكل مباشر عندما تستشهد بحديث الأم والممرضة، أو بشكل غير مباشر عندما تستعير كلمات الآخرين بحيث تدمجها في روايتها مثال ذلك «تقلبات الحياة»، ونتيجة لذلك يمكن للقارئ أن يلقي نظرة خاطفة على طبعات أخرى من نفس القصة برواية أشخاص آخرين ويخمن ما يمكن أن يقوله هؤلاء الرواة، وكل هذا يحمل تأثيرًا مزدوجًا، ونلاحظ انكماشًا في المساحة المخصصة لصوت الراوي مع اتساع المساحة المحددة للنص في ذهن القارئ الذي يمكنه أن يستنتج أن هذه ما هي إلا رواية واحدة من بين روايات كثيرة مترابطة وليست حدثًا واحدًا مكتملًا ومستقلًا، بينما نجد أن قصة «مفقود في الظلام» تُعرض كما هي.

هل هذا الغموض يعني أن قصة «My Uncle is a Hunkle Says Clarice Bean» غير مناسبة إلى حدٍّ ما بالنسبة للقراء المبتدئين بالمقارنة بقصة «Lost in the Mist» وغيرها من آلاف الكتب التي تشملها برامج القراءة؟ أرى أن الغموض الذي يكتنف هذه القصة والمجهود الذي يبذله القارئ لإزاحة الستار عنه هما العنصران اللذان يعلمان صغار القراء عادات القراءة الصحيحة التي يحتاجونها حتى يتسنى لهم الانتقال بكل ثقة إلى عالم التعلم الذي هو من سمات القرن الحادي والعشرين.

عادات القراء الجيدة

- يدرك القراء المحنكين أن القراءة هي عملية مستمرة تحتاج إلى بعض الجهد، وهم يعلمون أنهم كلما بذلوا من جهد في محاولة لفهم النص كلما زادت استفادتهم منه. إن النصوص التي تجعل القارئ يُعمل فكره تعد أكثر إرضاءً له عن مثيلتها التي لا تستدعي ذلك، وهذا أمر فطري يرجع إلى أن عملية خلق معنى للنص ترتبط بما يدور في ذهن القارئ أكثر مما ترتبط بما توحي به كلمات النص وهذا ما تشير إليه نظريات القراءة (انظر تشامبرز 1992)، إن قصصًا مثل «My Uncle is a Hunkle Says Clarice Bean» تعد كتبًا هامة؛ لأنه يستحيل قراءتها دون التفكير على نطاق واسع ومتباين مع استخدام نتائج ذلك التفكير في ملء الفجوات التي يكون النص قد أغفلها، إن الأطفال الذين يتعلمون ذلك يجدون أن القراءة نشاط مُسلٍّ ومُشبع لرغباتهم، وثمة خطر يكمن في أن الأطفال الذين لا يقرأون سوى النصوص الموجهة كقصة «مفقود في الظلام» والتي لا تتطلب سوى خلفية محددة نسبيا من جانب القارئ لا يتعلمون على الإطلاق أن يفكروا بهذه الصورة بل يندمجوا في النص بشكل مصطنع.
- إن القراء الجيدين يبذلون أقصى ما في استطاعتهم في القراءة، فهم ينظرون للنص نظرةً شاملة كما يحاولون التطلع إلى ما وراء النص لفهم معناه، وفي قصة «My Uncle is a Hunkle» نجد أن الحاجة إلى فهم الصور الفكاهية المبهمة التي تنطوي على بعض الأحداث التي تشتمل عليها القصة وغيرها تشجع الأطفال على القيام بذلك، هذه القدرة على التفكير فيما وراء الكلمات في نصٍّ ما ومقارنة نص بآخر تعد إحدى عادات القراءة الحيوية التي يحتاج الأطفال إلى تعلمها إذا ما أرادوا مسايرة الاحتياجات المعقدة للتعليم في القرن الحادي والعشرين، أما النصوص التي تشبه قصة «Lost in the Mist» فهي تشجع الأطفال على الاعتقاد بأن النصوص والكلمات توجد في الفراغ.
- إن القراء من ذوي الخبرة يعرفون كيف يقرأون ما بين السطور، وكيف يتعرفون على صوت الراوي ونبرته، وهم يعرفون أن الكُتَّاب يستخدمونها بغرض التأثير في القارئ، وهم يدركون متى يتلاعب الكاتب بالألفاظ، ومتى يكون الرواي غير أمين

في روايته، وهذه القدرة على الفهم لها أهميتها في مجال الخيال نظرًا لأن القراء يمكن أن يحققوا متعة كبيرة من خلال «قراءة ما وراء الكلمات»، ولكنها تعد أكثر أهمية فيما يتعلق بالقصص غير الخيالية التي يحتاج قراؤها إلى الحذر بشأن نية الراوي والدعاية الإعلامية والنصوص السياسية، والقراء الذين يدركون في وقت مبكر ـ من خلال النصوص الفكاهية كالقصة المذكورة ـ أن الرواة قد لا يكونون دائمًا محل ثقة هم أفضل من نظرائهم الذين اعتادوا أن يثقوا في كل ما يقوله مشاهير الرواة، إن تعلُّم عدم الثقة الكاملة في النص الموجه يعد عنصرًا أساسيًّا هامًّا في فهمه.

- إن القراء من ذوي الخبرة يتسمون بالمرونة، والنصوص غير العادية مثل «My Uncle is a Hunkle Says Clarice Bean» تعد قصصًا جيدة للقراء؛ لأنها تمثل تحديًا لتوقعاتهم. وعليهم أن يستنتجوا ما يحتاجه منهم كل نص جديد، وأين تكمن نقطة الانطلاق في قراءته؟ وكيف يستفيدون من الصور؟ وكيف يمكنهم أن يستوعبوا الأساليب غير المباشرة للكتابة؟ إن تناول الأنماط المختلفة من النصوص يُكسب القراء مزيدًا من التكيف والمرونة، وهو الأمر الذي يجعلهم قادرين على مسايرة كافة أنواع الكتب مهما كانت. إن القراء الذين اعتادوا على الحكايات التقليدية ليسوا محظوظين، فهم غالبًا ما يقعون في صراع مع أنفسهم إذا لم يحقق النص توقعاتهم على الفور، إن مثل هؤلاء القراء ليسوا على استعداد لمسايرة التغير السريع في مجال التعلم.

إن تعزيز عادات القراءة الصحيحة هو أمر يجب أن يؤخذ مأخذ الجد بالنسبة لصغار القراء، ومع استمرار تغير سمات المجتمع وتطور وسائل التعلم به تتركز مهمتنا على إعداد قراء قادرين على مجابهة تلك التغيرات، إننا بحاجة إلى قراء يتسمون بالنشاط والفعالية ويتمتعون بالمهارة والمرونة، كما أننا بحاجة إلى العثور على نصوص تثري عادات التفكير التي تمكنهم من ذلك، والأدب هو المكان المناسب للبحث عن مثل هذه النصوص، إن الكتب التي يصنعها المبدعون بغرض تنمية عنصر الإبداع والابتكار لدى القراء من المرجح أن تشجع على التفكير الابتكاري، والكتب التي تتسم بالسحر والإثارة والتحدي تنتج قراءً على قدرٍ كبير من التجاوب واليقظة.

وعلاوةً على ذلك فلابد وأن تمتلئ حجرات الدراسة بالكتب الجيدة التي تشجع التلاميذ على

العادات السليمة للقراءة على أن يجدوا نفس التشجيع من مدرسيهم الذين لا يمكنهم المخاطرة بترك مهمة تدريس القراءة لنظم قاصرة لا تزود الطفل سوى بقدرٍ ضئيل من المعلومات بشأن ماهية القراءة وما يتعين على القراء القيام به، لذا فالقراءة مهمة لهذا الغرض.

مراجع أخرى

بعض الكتب المفيدة للأطفال في هذه المرحلة:

Allan Ahlberg, *Ten in a Bed* and *Jeremiah in the Dark Woods.* Two short, funny, easy-to-read books that encourage intertextual thinking.

Anthony Browne, *Changes.* Anthony Browne's books always encourage readers to explore the pictures and make sense beyond the words. This early text is one of Browne's most innovative and thought provoking.

Lauren Child, All the Clarice Bean stories, for example, *What Planet are you on, Clarice Bean?* Lauren Child is a really exciting new author–illustrator. Her books stretch the reader in many useful ways. Clarice Bean is an engaging character whose narrative voice affords the reader with a number of important lessons (see above).

Penny Dolan, *The Tale of Highover Hill.* The second of a quirky and witty series of very readable stories. There is a sense of gothic here that will delight young readers who are becoming aware of narrative form, and a rollicking good plot to draw in the others.

Anne Fine, *Diary of a Killer Cat.* A rather more difficult read – but this will teach children that not all narrators are to be trusted, and help them understand irony.

Paul Stewart and Chris Riddell, *Fergus Crane.* An illustrated story of high adventure and pirates that will keep young readers on the edge of their seats.

Philip Pullman, *I Was A Rat.* An unusual take on the Cinderella story. Pullman plays games with texts and readers that children who are becoming aware of literary conventions will enjoy.

الفصل الخامس الحكايات الموروثة: حجر الأساس لرواية القصص

آن لازيم

يتناول هذا الفصل:

- الحكايات الموروثة ونطاق واسع من الروايات.
- حكايات من ثقافات أخرى.
- طبعات حديثة من الحكايات القديمة.



عندما نتحدث عن الحكايات التقليدية الموروثة سرعان ما تتبادر إلى أذهاننا القصص الجميلة مثل «سندريلا» و«الجمال النائم» و«الجليد الأبيض»، وفيما وراء هذا النطاق المحدود والهام من الحكايات الشهيرة نجد أن مصطلح «الحكايات التقليدية أو الموروثة» يشمل نطاقًا متعدد الثقافات من الأنماط والموضوعات المختلفة للقصص التي تنتشر في جميع أنحاء العالم، ومع ذلك ففيما وراء هذا التباين نجد ظهور الكثير من القصص التي تتشابه في أنماطها وتتماثل في حبكتها من مجتمع لآخر ومن ثقافة لأخرى، كما أننا نشترك على مستوى العالم في لغة القصة ومفاهيمها كمصطلح «قصة جميلة» والذي يشير إلى انتهاء القصة نهاية سعيدة كالزواج بين بطلي الرواية اللذين يتمتعان بالجاذبية (مثال ذلك الإعجاب الشديد بأفلام والت ديزني على مستوى العالم)، وحتى القصص الشهيرة مثل «الجمال النائم» قد تختلف روايتها من بلدٍ لآخر، وعلى سبيل المثال فإن رواية تشارلز بيرولت لا تنتهي باستيقاظ الأميرة بقبلة من الأمير، ولكن هناك نهاية غير سعيدة لهذه القصة بما في ذلك الحماة التي تأكل الطفل، وعمومًا فالحكايات الموروثة ليست دائمًا تلك الحكايات البسيطة المريحة التي نُساق أحيانًا إلى توقع

أحداثها، ومن المهم أن ندرك أن القصص الموروثة عمومًا لم تحك في الأصل بناءً على أن جمهورها من الأطفال فحسب.

إن نماذج الشخصيات والأحداث التي تحفل بها الحكايات الموروثة تمثل حجر الأساس لرواية القصص سواء كانت مكتوبة أم مقروءة. ويمكن أن تعاد روايتها في وقت آخر بما يسمح بإضفاء بعض اللمسات الشخصية من قبل الراوي، وعلى الجانب الآخر فقد تمثل تلك القصص الهيكل الأساسي للرواية سواء بشكل صريح أو بطرق أخرى أكثر ذكاءً، وأحيانًا ما يمكن تتبع تاريخ القصة إلا أن القصص غالبًا ما تظهر في الثقافات المختلفة دون أن تتخذ شكلًا معينًا في نشأتها وتطورها، إن ظهور حكايات مماثلة على مستوى العالم يمكن أن يرجع ـ جزئيًّا ـ إلى حاجة البشر في كل مكان إلى فهم ما يحيط بهم وإلى السمات البشرية العامة. وعلى الرغم من ذلك فقد انتشرت الحكايات مع انتقال الناس من مكان لآخر في العالم حاملين معهم تلك الحكايات التي كانت في صورة شفوية في بادئ الأمر وتشكلت لتناسب البيئة الجديدة والثقافة الأخرى التي انتقلت إليها. وكما يقول أحد المعلقين على تلك الحكايات والذي يتسم بغزارة إنتاجه ويدعى جاك زايبس: «إن الحكايات القديمة التي تتضمن قصصًا عن الجن أو السحرة تعد موروثًا ثقافيًّا متعدد الأصول نظرًا لانتشاره في جميع أنحاء العالم من خلال الاتصال بين البشر فضلًا عن وسائل التكنولوجيا الحديثة التي تستهدف الاتصال الفعال بين البشر». (زايبس 2006 xiv–b).

ومن بين هذه الوسائل التكنولوجية يرجع الفضل للطباعة، التي أتاحت الفرصة لتسجيل الحكايات وانتشارها على نطاق أوسع في شكل كتب، إلا أننا يجب أن نضيف إلى ذلك وسائل الإعلام الأكثر حداثة والأسرع تطورًا كالأفلام، والتسجيلات الصوتية والإنترنت، إن وضع قصة ما في قالب معين قد يحفظها ويمنحها المزيد من الجمهور، ومع ذلك فقد تكون تلك الوسائل ذات أثر سلبي يضع القصة في قالب معين بحيث يعتقد الكثيرون أن القصة ليس لها سوى شكل واحد «صحيح».

وتتضمن الحكايات الموروثة نطاقًا واسعًا من الروايات والأساطير والخرافات وحكايات الجن والسحرة، والمجال هنا لا يتسع سوى لمناقشة تلك الحكايات بإيجاز مع التركيز على الأمثلة الشهيرة منها مع الاستشهاد بقصص تنتمي لثقافات عديدة كلما أمكن، ومع ذلك فإنني أذكر

بعض الكتب المتاحة بالمكتبات ومحال بيع الكتب ولكنني لم أستطع حتمًا أن أغطي كافة الأسماء الخاصة بتلك الكتب.

الأساطير

لقد اخترعت الأساطير لشرح الأحداث الغامضة التي تحدث في العالم، وهي تعكس حاجة البشر لمعرفة كيفية حدوث تلك الأشياء وإيجاد تفسيرٍ لها، وانطلاقًا من الرغبة في تفسير الظواهر الطبيعية كالسبب وراء تعاقب الليل والنهار أو الفصول الأربعة قام الناس باختلاق مجموعة من الآلهة والكائنات ذات القوى الخارقة، ومن أشهر الآلهة في الحضارة الغربية آلهة الجبل «Olympus» أو «Mount Olympus» الذي شاع ذكره في الأساطير اليونانية، وقد صدرت العديد من الكتب التي تعيد رواية تلك الحكايات للأطفال بينما كان يحظى نظراؤهم الرومان بمزيد من المزايا، ومثلها مثل حكايات الإنجيل نجد أن الإلمام ببعض الأساطير اليونانية يعد أمرًا ضروريًّا يتيح لنا أن نمنح الأدب الغربي قدره كاملًا، ذلك الأدب الذي ساد العالم من خلال الإشارات الصريحة والمحددة لتلك الحكايات الكلاسيكية.

إن قصص الأساطير والقصص الدينية ترتبط ببعضها ارتباطًا وثيقًا حيث يرتبطان أيضًا بالمعتقدات البشرية والبحث عن سر وجودنا، إن الملاحم والبطولات الهندية العظيمة مثل «ماهابهاراتا» و«راماياناا» تحكي قصص الآلهة التي تتبع العقيدة الهندوسية، وقد كانت هذه الملاحم تنتقل شفهيًّا وتغنى ويرقص الناس عليها في أداء استعراضي حي كما كانت تسجل أيضًا في الأدب. وهناك أمثلة لبعض القصص التي كانت تعاد روايتها للأطفال كرواية «أيام المجد» أو «Seasons of Splendour» للكاتب مدهور جافري (مطابع بوفين Puffin)، والكتاب المصور «راما والملك العفريت ـ Rama and the Demon King» (مطابع فرنسيس لينكولن) للكاتب جيسيكا سولهامي، وهو يحكي القصة الشهيرة «رامايانا» عن الأمير «راما» الذي أنقذ زوجته سيتا وقام بتدمير «رافانا» والذي يعد الملك العاشر لجميع العفاريت وذلك بمساعدة «هانومان» وجيش القردة، وقد استمدت الرسوم التوضيحية الهامة ـ مع بعض التعديل ـ من خلال عرائس الظل التي استعان بها كل من المؤلف والرسام الأصليَّيْن.

وبالإضافة إلى الملاحم الهندية فهناك بعض الأساطير التي دخلت الثقافة اليونانية، والقصص

التي تعاد روايتها من خلال أساطير «Sumer» و«Babylon» واللتان تنتميان إلى ميزو بوتاميا «Mesopotamia» القديمة (العراق حاليًّا) ليست كثيرة، وهذا يرجع ـ في جزء منه ـ إلى أن بعض هذه الملاحم لم يعاد اكتشافها إلا منذ عهد قريب نسبيًّا، وقد أعيدت رواية ملحمة «لوجا لباندا»: «الولد الذي قبض عليه في الحرب» (ووكر) للمؤلفة كاثي هندرسون بالتعاون مع جين راي التي وضعت لها صورًا توضيحية تتسم بالإتقان والتميز، والقصة تهتم بالجانب الديني وهو ما نتج عن الصراعات الحالية، وعلاوة على ذلك فقد تأثرت كريستينا بليت بطفولتها التي عاشتها في الشرق الأوسط في كتابها «إشتار وتموز» (مطابع فرنسيس لينكولن) وهو بمثابة الأسطورة البابلية الأكثر شهرة، وقد أعاد كريستوفر مور روايتها، والأسطورة اليونانية «Demeter and Persephone» تتشابه في كثير من النواحي مع هذه القصة.

وبالإضافة إلى الأساطير اليونانية نجد أن الحكايات الإسكندنافية التي تتناول الآلهة والكائنات الخرافية منتشرة انتشارًا كبيرًا في يومنا هذا باللغة الإنجليزية، وأسماء هؤلاء الآلهة مأخوذ من معظم أيام الأسبوع، ولها أثرها على بعض القصص الأدبية مثل «ملك الخواتم» أو «Lord of the Rings» للكاتب Tolkien J.R.R.

وعلاوةً على ذلك فقد أعيدت رواية الأساطير الآيرلندية للأطفال بشكل كبير، مثال ذلك قصة «أويزين وأرض تير نا نوج ـ Oisin and the Land of Tir na nog» والتي تحكي عن شخص يسافر إلى أرض سحرية، وعندما يعود يجد أن مئات السنين قد مرت. وهناك العديد من القصص التي تنتمي لثقافات مختلفة والتي تشبه هذه القصة كالقصة اليابانية «يوراشيما» والتي تحكي عن صياد قضى سنوات طويلة تحت الماء.

الخرافات

عادةً ما تحكي الخرافات عن أبطال وبطولات، وغالبًا ما تعتمد على شخصيات قد تتواجد بالفعل حول أولئك الذين تنتشر بينهم الأساطير والحكايات الخرافية، وأكثر تلك الحكايات استمرارًا على مر الزمن أسطورة «كينج آرثر»، وسعيًا وراء وجود زعيم للبريطانيين في مقابل زعيم الشعب الساكسوني فقد ظهرت حكايات مبكرة عنه ضمن كتاب «تاريخ بريطانيا»

للكاتب جيوفري أوف مونماوث 1136 والذي وضع باللغة السَّلتية[1]. وقد تناولته حكايات أخرى مثل «فوارس المائدة المستديرة» أو «Knights of the Round Table» والبحث الخاص بالكأس المقدسة[2] «The Holy grail» وقد أضيفت قصة «الصقر الساحر ـ The Socerer Merlin» من مصادر مختلفة لاسيما اللغة الفرنسية ولغة أقليم ويلز «The Mabinogion»، وقد جُمعت كل تلك القصص معًا بواسطة السير توماس مالوري في روايته «Le Morte d'Arthur (1485)» وأعيدت كتابتها بطرق شتى منذ ذلك الحين.

والأساطير المحيطة بالملك آرثر ظلت تستأثر بخيال الكتاب ومنتجي الأفلام، ويتناول الجزء الأول من رواية الكاتب T.H.White «الملك السابق وملك المستقبل ـ The Once and Future King» شخصية مختلفة تشبه الرسوم الكارتونية لديزني لاند أطلق عليها اسم «The Sword in the Stone» أو «السيف في الحجر». وقد قام الروائي التاريخي روز ماري ساتكليف بكتابة ثلاثية رائعة في هذا الصدد، ومن ناحية أخرى فقد ساعدت أساطير الملك آرثر على تعزيز الخماسية الخيالية التي كتبتها سوزان كوبر «The Dark is Rising» أو «عندما يحل الظلام» (مطابع بوفين Puffin)، وهناك أمثلة حديثة وشيقة منها الثلاثية التي كتبها كيفين جروسلي هولاند «Arthur (Orion)» والتي تربط الأسطورة بحياة شاب عاش أيام الحملات الصليبية مع تعليق ذكي يتماشى مع شئون الحرب والسياسة السائدة في يومنا هذا، ويوضح فيليب ريف في روايته (المدرسية) «هنا يرقد آرثر» أو «Here Lies Arthur» كيف يمكن أن تُستمد أساطير «آرثر» من خلال الإشاعات والقصص الملفقة التي كتبها د/ ميرلين.

ومن ناحية أخرى فإن مغامرات (روبين هود) وعصابته الخارجة عن القانون في منطقة «Sherwood Forest» والذي كان يسرق من الأغنياء ليعطى الفقراء، هذه المغامرات كانت موضوعًا لكثير من الأفلام إلى جانب ثلاث مسلسلات تليفزيونية على الأقل بالإضافة إلى حكايات كثيرة مطبوعة.

---

(1) السَّلتية: هي مجموعة من اللغات الهندية الأوروبية (تشمل الآيرلندية والإسكتلندية والويلزية .. إلخ، وهذه اللغات لا تزال حية إلى اليوم في تلك المناطق ـ المترجمة.

(2) الكأس المقدسة هي الكأس التي شرب المسيح منها في العشاء المقدس والتي راح المسيحيون فيما بعد يجدُّون في البحث عنها ـ المترجمة.

الحكايات الشعبية وحكايات الجن

إن معظم الحكايات الشعبية وحكايات الجن التي تحكى في عصرنا الحالي تتضمنها الكتب القصصية التي سجلها وكتبها الإخوة جريم في ألمانيا، كما سجلها من قبل تشارلز بيرولت في فرنسا، وعلى الجانب الآخر فقد كانت هناك سيدات بالبلاط الفرنسي في القرن السابع عشر يحكين بعض القصص بغرض التسلية بالصالونات الأدبية، وقد طبعت الحكايات التي كتبها بيرولت عام 1697 ومنها «Histoires ou Contes du Temps Passe» أو «تاريخ الكونتات بالأزمنة الماضية»، بالإضافة إلى طبعات أدبية جديدة من قصص «الجمال النائم ـ Sleeping Beauty» و«القلنسوة الصغيرة الحمراء ـ Little Red Riding Hood» و«سندريلا» و«قطة في المركب ـ Puss in Boots». ولم يكن هناك أعمال أدبية تصدر خصيصًا للأطفال في ذلك الوقت، ولم تكن تلك الحكايات تحكى لهم بشكل مباشر على الرغم من أنه ما من شك في أن تلك الحكايات قد أصبحت فيما بعد من كلاسيكيات الأدب في فرنسا وغيرها من الدول، كما أنها أثرت على رواة الحكايات فيما بعد، فقد أصبح اسما «جريم» و«بيروليت» مشهورَيْن، وعلى الرغم من ذلك فإن كثيرًا من الحكايات التي أعادوا روايتها قد يرجع تاريخها إلى القرن السادس عشر حيث قام الكاتب الإيطالي جيفانو فرانسيسكو سترابارولا بتأليف كتاب «La Piacevoli notti» بينما ألف الكاتب جيامبا تستا باسيلي كتاب «Pentamerone».

وقد كان كلٌّ من الكاتبين جاكوب ووليام جريم من كتاب الأدب الشعبي ومن علماء فقه اللغة، وقد قاموا بجمع مائتي حكاية فلكلورية قديمة من خلال اختلاطهم بمجموعة من الأصدقاء والجيران، وهذه الحكايات التي قاموا بتجميعها لم تكن تستهدف الأطفال أصلًا ولكن انتشار الكثير من هذه الحكايات على المستوى الشعبي وبين الشباب أدى إلى إعادة تشكيلها فيما بعد لتتناسب مع الأطفال، ومن هذه القصص: «القبعة الصغيرة الحمراء ـ Little Red Cap» و«Hansel and Gretel» و«Rumpelstiltskin» و«Rapunzel»، وقد كان البعض يعتقد فيما مضى أن تلك الحكايات قد جمعت مباشرةً من أجل الفلاحين بألمانيا إلا أن الأبحاث التي أجريت مؤخرًا أثبتت أن المعلومات التي تتضمنها تلك القصص تقوم على أسس تعليمية، وأن كثيرًا من تلك القصص ربما تكون قد انتقلت من مصادر مكتوبة بما في ذلك ما كتبه بيرولت،

وعلى الرغم من ذلك فإن هذا لا يقلل من شأن مؤلفات جريم وإنجازاته في هذا المجال والتي أصبحتِ من أفضل الحكايات الشعبية المحبوبة في أوروبا وخارجها.

لقد قام إخوة جريم بجمع وطبع الحكايات التي شعروا أنها تمثل ثقافتهم القومية، وقد جمعت حكايات شعبية أخرى تابعة لدول أو أديان مختلفة خلال القرن التاسع عشر، ومنها «The Three Billy Goats Gruff» أو «النعجات الثلاث الرفيقات» و«شرق الشمس ـ East O'the Sun» و«غرب القمر ـ West O'the Moon» للمؤلفين النرويجيين بيتر كريستين أسبجورنسن، وجورجين مو، هذا فضلًا عن مؤلفات ألكسندر أفانازييف في روسيا وكذلك جوزيف جاكوب الذي جمع بعض القصص الإنجليزية وتلك المكتوبة باللغة السلتية.

ولقد بدأ كاتب الفلكلور الإسكتلندي أندرو لانج سلسلته المكونة من كتب السحر والجن الملونة عام 1889 بكتاب «الجن الأزرق» وكان آخر تلك السلسلة كتاب الجن الأرجواني أو «The Lilac Fairy Book» عام 1910، وقد بدأ كتاباته مستخدمًا مصادر أوروبية دون غيرها، إلا أنه استعان فيما بعد بقصص من دول أخرى كثيرة، ولقد تمتعت سلسلة كتاباته بشهرة واسعة أحيت الاهتمام بهذه النوعية من الحكايات وما زالت تطبع حتى يومنا هذا.

ولقد كان هانز كريستين أندرسون من الدنمارك وهو من أشهر الأسماء المرتبطة بحكايات الجن للأطفال، كما سُميت باسمه الجائزة الدولية الهامة لأدب الأطفال والتي تُمنح كل عامين لكاتب ورسام لإنجاز متميز. انظر (www.ibby.org). ويختلف أندرسون عن الإخوة جريم وغيرهم من جامعي الحكايات الشعبية الذين ينتمون للقرن التاسع عشر، وعلى الرغم من أن بعض قصصه تعتمد على الفلكلور إلا أنه كتب كثيرًا منها من وحي خياله، وهي تخاطب الأطفال بشكل مباشر بأسلوب يتسم باللهجة العامية.

وهو لا يعتقد دائمًا بضرورة وضع نهاية سعيدة لقصصه، والقراء الذين لم يقرأوا سوى سلسلة «الجندي المخلص ـ The Steadfast Tin Soldier» في «فانتازيا (2)» أو «The Little Mermaid» (عروس البحر الصغيرة) وكلاهما من أفلام ديزني لاند ستنتابهم صدمة إذا ما قرأوا النصوص الأصلية لتلك الحكايات، ومن أشهر أعماله «ملكة الثلج ـ The Snow Queen» و«البطة القبيحة ـ The ugly Duckling» و«الملابس الجديدة للإمبراطور ـ Emperor's New Clothes».

ثقافات متعددة وعادات متباينة وعالم واحد

إن كثيرًا من الحكايات الشعبية المألوفة لدى الأطفال البريطانيين مستمدة من الثقافة الأوروبية، والتي ظلت متاحة على هيئة كتب على مدى سنوات طويلة، وعلى الرغم من ذلك نجد في كثير من مجتمعات آسيا وأفريقيا أن العادات والتقاليد التي يجرى تداولها شفهيًّا تمثل أهمية كبيرة في ثقافة تلك المجتمعات، وقد وُضعت بعض هذه القصص في صيغة مكتوبة، وهو ما يعني أن تلك القصص تصلح للأطفال في كل مكان، وغالبًا ما يفعل ذلك أناس ينتمون إلى ثقافات غربية على الرغم من وجود علاقة مودة تربطهم بالأهالي المحليين، وهذا العمل يحقق نجاحًا باهرًا عند التعاون بين رواة القصص المحليين بهدف ضمان احترام العادات والتقاليد، وبعض القصص تم تجميعها في مرحلة مبكرة نتيجة وجود الاستعمار الأوروبي في مناطق أخرى من العالم، أما الكتاب الذين قاموا بتجميع القصص في مرحلة لاحقة فقد اهتموا بالاحتفاظ بالحكايات التي قد تتعرض للضياع نتيجة لبعض التغيرات في المجتمع والتي تحد من تناقل الحكايات الموروثة وانتشارها، فقد تزوجت بيجي أبيا من شخص غاني وسرعان ما تكيف مع ثقافة المجتمع الجديد، وتضم مجموعة الحكايات الشعبية التي قامت بطبعها قصتي «طفل الأناناس ـ The Pineapple Child» و«حكايات أخرى من أشانتي ـ Other Tales From Ashanti (1969)»، وقد نُشرت كلتا القصتين في وقت تضاءلت خلاله القصص المطبوعة الموجهة للأطفال من افريقيا.

وقد قامت إليزابيث ليرد مؤخرًا بجمع بعض القصص من المناطق المحيطة بأثيوبيا وطبعها تحت اسم «عندما يبدأ تاريخ العالم ـ When the World Began» (مطبعة جامعة أوكسفورد)، كما سافرت الراوية سالي بوم كلايتون إلى وسط آسيا وقامت بجمع ما سمعته من حكايات هناك تحت اسم «حكايات الخيام ـ Tales Told in Tents» (مطابع فرنسيس لينكولن).

وعلى الرغم من ذلك فهناك بعض المجموعات العرقية والثقافية الذين أبدوا سخطهم تجاه استيلاء الآخرين على التراث الخاص بأهالي البلاد الأصليين والذي يضم العديد من الحكايات كما حدث مع سكان أمريكا وأستراليا الأصليين، وثمة عائق آخر ربما كان هو السبب في الحيلولة دون انتشار القصص على نطاق واسع وهو زيادة نشر الكثير من الموضوعات القصصية لاسيما

في الولايات المتحدة الأمريكية. ومن المهم ألا نلفظ قصة أو مجموعة من القصص لمجرد أن راويها ليس من أهل البلد الأصليين، ولكن علينا أن نعي جيدًا أن معتقداته ومفاهيمه قد تختلف عن مثيلتها لدينا.

وفي خلال الستينيات والسبعينيات شهدت المملكة المتحدة طبع الكثير من مجموعات القصص التي تنتمي لأديان بعينها أو بلدان بذاتها نظرًا لتزايد الاهتمام بالمجتمع الناشئ المتعدد الثقافات، وقد أدى هذا إلى البحث عن قصص من ثقافات مختلفة، وهناك أيضًا مجموعات من القصص التي تعبر عن بلدان مختلفة مثل المقتطفات الأدبية المختارة التي وضعها روث مانبج ساندرز تحت عنوان (كتاب الأشباح والعفاريت وكتاب السحر واللعنات وما إلى ذلك)، بالإضافة إلى مجموعة القصص القصيرة المرتبطة بمراحل عمرية معينة والتي كتبتها سارة وستيفن كورين، وتميل وسائل الطباعة الحديثة إلى إصدار الكتب ذات الورق المصقول وذلك بإعادة تدوير نفس المجموعة القصصية، وذلك باستثناء القليل من الكتب، وقد قام فرنسيس لينكولن بطبع كتب جذابة للغاية إلا أنه قام بتوزيع أعداد أكبر من تلك الكتب في جميع أرجاء العالم، إن كتاب «الحكايات الشعبية وحكايات الجن ـ A Folk and Fairy Tales» والذي طبعته مؤسسة «بوك ترست ـ Book Trust» عام 2004. (هالفورد وزاغيني 2004) يبدو أنه ينتمي للثقافة الأوروبية البحتة، ومع ذلك فهذا ليس خطأ الناشرين، ولكنه يعد ملخصًا قيمًا لما هو متاح من حكايات، وهو يعكس ما يعتقد الناشرون من أنه سيحقق لهم المزيد من المكاسب.

ولقد كان للمجموعة القصصية «ألف ليلة وليلة ـ The Thausand and One Nights» أثرًا بالغًا على الرواية في جميع أنحاء العالم. وقد كانت القصص تنتقل من الشرق الأوسط إلى أوروبا من خلال ترجمتها إلى الفرنسية على يد أنطوان جالاند وتمت إضافتها إلى الثقافة الفرنسية، ومن بين الحكايات الأكثر انتشارًا حكاية (علاء الدين) (على شكل تمثيل شعبي صامت مثله مثل أفلام ديزني لاند التي تلقي الكثير من الجدل، ويُعتقد أنها تختلف عن الحكايات الأصلية) وكذلك (البحار سندباد) وأيضًا (علي بابا والأربعين حرامي)، وقد وضعت هذه الحكايات في إطار حكايات ليلية تحكيها شهرزاد للملك الذي تزوجته والذي كان يقوم بإعدام زوجة كل يوم في يوم زفافها وذلك بسبب غضبه من زوجته الأولى التي لم

تكن مخلصة له، وقد نجحت شهرزاد في النجاة من الإعدام عن طريق التوقف كل ليلة عند نقطة مثيرة في الحكاية بحيث يتلهف الملك على سماع باقي أحداثها في الليلة التالية وهكذا، ولم يُعرف من هذه القصص سوى القليل، وهذا يُعزى - في جزء منه - للطبيعة الحسية لبعض هذه القصص بما يجعلها غير مناسبة للأطفال، والذين هم - على أية حال - ليسوا هم الجمهور المستهدف أصلًا منها.

وتضم القصص في كثير من الثقافات شخصية المحتال أو المخادع، والذي غالبًا ما يُصوَّر على أنه «أحمق حكيم»! وقد تأخذ تلك الشخصية شكلًا بشريًّا كشخصية التركي نصر الدين حجة وهو معروف أيضًا بدول أخرى بالشرق الأوسط، ويُدعى (جحا) باللغة العربية، أو الألماني تيل إيولنسبيجيل، وقد تأخذ تلك الشخصية هيئة حيوان كالذئب أو الغراب أو الأرنب، فكل هذه الحيوانات تظهر في صورة المحتال في الحكايات الشعبية لأهالى أمريكا الأصليين، بينما ظهرت السلحفاة والأرنب الوحشي في القصص الخاصة ببعض البلدان الأفريقية، ومن أشهر تلك الشخصيات المخادعة شخصية نصفها رجل ونصفها عنكبوت وتسمى «أنانسي - Anancy» والذي سافر من أفريقيا إلى أمريكا وجزر الكاريبي هربًا من العبودية، والأرنب أيضًا له مكانه في الفلكلور الأفريقي الأمريكي، وقد ظهرت شخصية المخادع في كثير من المجموعات القصصية وهناك بعض القصص التي تشتمل عليها كتب مصورة. ومن بين رواة القصص الشفهية جحا وأنانسي.

الرسوم التوضيحية

اتخذ برونو بيتيل هيم في دراسته الناجحة عن التحليل النفسي لمعنى حكايات الجن وأهميتها «استخدام السحر - The uses of Enchantment (1991)» موقفًا مناهضًا لاستخدام الرسوم التوضيحية في الحكايات الموروثة قائلًا بأن: «حكايات السحر والجن تفقد كثيرًا من معناها «الشخصي» عندما تتجسد أحداثها وشخصياتها بصور أو رسوم دون إطلاق خيال الطفل لتصور تلك الأحداث، وعلى الرغم من ذلك فقد زاد الاتجاه نحو طبع مجموعات من الحكايات الموروثة التي تحفل بالرسوم التوضيحية وكذلك الكتب المصورة لحكايات بعض الأفراد، وعلى حين أن هذا قد يؤدي إلى البعد عن الأصل الشفهي لتلك

الحكايات التي تناقلها الناس بناءً على ما رسموه في عقولهم من صور تجسدها إلا أن ثمة جوانب إيجابية أيضًا تتجلى أثناء المرحلة البصرية للأطفال والتي يتعرفون فيها على الأشياء من خلال الصور.

وبعض الرسوم تشتمل على معان أساسية قد يغفل عنها القارئ، ولقد وضعت أنجيلا باريت رسومًا توضيحية لعدد من القصص الشهيرة بما في ذلك «ملابس الإمبراطور الجديدة - Emperor's New Clothes» و«الجميلة والوحش - Beauty and the beast» إن تفسيرها لقصة «الثلج الأبيض - Snow White» على وجه الخصوص يعد بمثابة فحص دقيق لها، وفي قصة «Hansel and Gretel» للكاتب أنتوني براون نجد أن التشابه بين الساحرة وزوجة الأب يتضمن بعض الإيحاءات.

وغالبًا ما كان يقع الاختيار على بعض القصص دون غيرها لوضعها في شكل كتب مصورة، وربما كان البحث في أسباب ذلك أمرًا شيقًا، ومع ذلك فإن هذا يتيح الفرصة أيضًا للمقارنة بين أشكال مختلفة للقصة الواحدة فيما يتعلق بالنص والرسوم المصاحبة له على حدٍّ سواء. وهناك العديد من طبعات الكتاب المصورة لقصة «سندريلا» والتي تضع لها خلفيات مختلفة. والكتب المصورة تلك تشتمل أيضًا على الرواية الصينية «عظام الترقوة - Wishbones» والتي وضع رسومها «ميلوسو» وقصة «سندريلا» التي وضع رسومها الصينى الأمريكي «إيد يانج»، بالإضافة إلى المجموعة القصصية الآيرلندية المتنوعة «البني الأشقر المرتجف - Fair Brown and Trembling» والتي وضع رسومها الجنوب أفريقي جود دالي. وليس هناك طبعات كثيرة بالإنجليزية مدعمة بالرسوم لقصة «Little Red Riding Hood» أو القبعة الحمراء الصغيرة إلا أن هذا قد يتيح الفرصة لإصدار كتب مصورة بلغات أخرى حتى إذا لم يكن النص المكتوب مفهومًا بالكامل نظرًا لأن كثيرًا من الرسامين من كل من فرنسا وإيطاليا وبلجيكا قد قاموا بإصدار طبعات شيقة من هذه القصة.

ظهور الحكايات الموروثة في العصر الحديث

إن معرفة الحكايات الموروثة تلعب دورًا هامًّا في الاستمتاع بالأدب الحديث، فهناك الكثير من القصص الموجهة للأطفال والكبار على حدٍّ سواء والتي تشتمل بشكل أو بآخر على

حكايات الجن والسحر. وغالبًا ما تمثل الحكايات الموروثة حجر الأساس بالنسبة للروايات الحديثة، وأحيانًا ما يظهر ذلك بشكل صريح مثلما نجد في روايتي روبين ماك كاينلي «Beauty» و«Spindle's End» أو «نهاية سبيندل» (مطابع كورجي) واللتين اعتمدتا على روايتي «الجميلة والوحش ـ Beauty and the Beast» و«الجمال النائم ـ Sleeping Beauty» على التوالي. وهذه القصص تُبقي على الشعور الدائم بالخيال، وفي ثلاثيتها «Happy Ever After» والتي تدور أحداثها في مدرسة داخلية للبنات، استعانت آديلي جيراس بحكايات «Rapunzel» عن الجن، وكذلك روايتي «الجمال النائم» و«الجليد الأبيض»، وفي القصة الثالثة «صور في الليل ـ Pictures in the Night» نجد هناك مجموعة من سبعة أشخاص يمثلون الأقزام السبعة وهم متنكرين، وهي نفس الفكرة التي استخدمتها أيضًا فيونا فرينسن في كتابها المصور «Snow White in New York» والذي يتميز بأسلوبه الفني الساحر (مطبعة جامعة أكسفورد).

وخلال السبعينيات كان هناك اتجاه لإعادة اكتشاف القصص التي تتضمن بطلات نسائية حيث كان يُعتقد أن مثل هذه القصص على سبيل المثال (Snow White) و«Sleeping Beauty» لها أثر إيجابي لا يستهان به، وفي بعض الأحيان تعاد رواية تلك الحكايات لإضفاء نظرة المساواة ـ بين الجنسين ـ عليها، كما كان يُعتقد أن الكثير من القصص تشتمل بالفعل على شخصيات نسائية أكثر إمتاعًا، إلا أنه تم تجنب هذه القصص، بينما جُمع عدد من المقتطفات الأدبية المختارة التي تتحلى فيها تلك الروايات مثل ما كتبه أليسون لوري «Clever Gretchen» و«Other Forgotten Folk Tales» أو «حكايات شعبية أخرى طواها النسيان».

ولقد تحول الكثير من الكُتَّاب الناجحين إلى القصص الأصلية المكتوبة بنفس أسلوب حكايات السحر والجن، ومن أمثلة ذلك «حكايات الجن ـ Fairy Tales» للكاتبة تيري جونز (مطابع بوفين Puffin) والتي وضع رسومها ميشيل فورمان، وقصة «الطفولة المسروقة» وغيرها من حكايات السحر الغامضة ـ The Stolen Childhood and Other Dark Fairy Tales» والتي وضعت رسومها جين راي (مطابع Puffin).

ومن ناحية أخرى زاد الاتجاه نحو المحاكاة الساخرة والروابط بين مختلف النصوص، ولكن

تحقيق المتعة القصوى من خلال مثل هذه النصوص الهدامة يعتمد بالطبع على معرفة الروايات الأصلية، وهناك بعض الأمثلة الاستثنائية منها قصة «Revolting Rhymes» أو (النغم الثائر) للكاتبين روولد داهل وكونتين بليك (Puffin)، و«القصة الحقيقية للخنازير الثلاثة الصغيرة» «The True Story of the Little 3 Pigs» للكاتب أ. وولف (Puffin)، وقصة «The Stinky Cheese Man (Puffin)» (الرجل المهم ذو الرائحة الكريهة) للكاتبين جون سيسكا ولين سميث، وقصة «The Jolly Postman» أو (رجل البريد المرح) للكاتبين جانيت وآلان ألبيرج (Puffin) والأجزاء المكملة لها، هذا بالإضافة إلى كتابي الأطفال المصوَّرين الحديثين «Beware of the Storybook Wolves» (احذر ذئاب القصص) «Who's afraid of the big bad book?» (من الخائف من الكتاب الكبير الرديء؟) (Hodder)، إلى جانب بعض الأفلام مثل (Shrek).

إن وضع مجموعة من القصص الموروثة لقراءتها للأطفال أو لمتعتك الشخصية أو كليهما ربما يكون أمرًا ممتعًا ومثمرًا. إن تجميع عدد من القصص التي تنتمي لثقافات مختلفة اعتمادًا على إنتاج أشهر الناشرين بالمملكة المتحدة هو أمر غير متاح دائمًا، وثمة مصادر أخرى تتضمن عناوين مستمدة من ثقافات مغايرة، وهذه يمكن الحصول عليها من محال بيع الكتب المستقلة التي تبيع الكتب متعددة الثقافات، وكذلك من خلال الإنترنت، وهناك الكثير من المجموعات القصصية الشيقة التي لم تعد تُطبع حاليًا ولكن يمكن الحصول عليها مستعملة.

وفيما يلي قائمة ببعض الكتب تبدأ بمجموعة قصصية تشتمل على حكايات بسيطة مثل «The Gingerbread man» (الرجل ذو الحلية) و«The Three Little Pigs» أو (الخنازير الثلاثة الصغيرة) و«Goldilocks and the Three Bears» أو (جولدي لوكس والدببة الثلاث) و«The Three Billy Goats Gruff» (النعجات الثلاث الرفيقات) وغيرها من القصص التي تساعد الأطفال على تعلم القراءة نظرًا لما تحويه من بعض العبارات المتكررة في الأناشيد والأغنيات إلى جانب الأسلوب الجيد في الكتابة، ومن ثم فإنني أقترح بعض المجموعات القصصية التي تمثل الأساطير والخرافات والحكايات الشعبية وحكايات السحر والجن المذكورة في هذا الفصل.

وأخيرًا فالحكايات الموروثة هي حكايات ذات أصول شفهية، ولقد ظهرت حركة إحياء رواية القصص شفهيًّا لكل من الأطفال والكبار خلال السنوات العشرين الماضية أو نحو ذلك. إن جمهور المستمعين والذي يضم الصغار والكبار يمكنه أن يسمع حكايات من جميع أنحاء العالم بينما يعيد روايتها بطرق أخرى، وهناك مهرجانان معروفان لرواية القصص يتم إقامتهما سنويًّا وهما «ما وراء الحدود» بجنوب ويلز (www.beyondtheborder.com) و«مهرجان الحدود» في شربشاير (www.festivalalattheedge.org).

مراجع أخرى

مجموعات قصصية نوصي بها عن الحكايات الموروثة:

Orchard Book of Nursery Stories by Sophie Windham (Orchard Books).
Includes the well-known tales that are particularly suitable to read to very young children.

The Story Tree by Hugh Lupton, illustrated by Sophie Fatus (Barefoot Books). A culturally diverse collection for young children which includes familiar European tales as well as African, American, Indian and Jewish stories. Also see this storyteller's collection for older children *Tales of Wisdom and Wonder* illustrated by Niamh Sharkey (Barefoot Books). Both books are accompanied by audio CDs.

Tales of Hans Christian Andersen, translated and introduced by Naomi Lewis, illustrated by Joel Stewart (Walker Books).

Rumpelstiltskin and other Grimm Tales by Carol Ann Duffy and illustrated by Marketa Prachatika (Faber and Faber). Spare prose retellings including 'Hansel and Gretel', 'Ashputtel' (Cinderella), 'Snow White' and 'Little Red Cap' which originated in the adaptations Duffy developed for the Young Vic Theatre's two productions of *Grimm Tales*.

Golden Myths and Legends of the World and *Silver Myths and Legends of the World* by Geraldine McCaughrean (Orion). Two terrific compendia of myths and legends from all around the world. These dramatic retellings are in versions short enough to read aloud in one sitting.

The Thousand Nights and One Night by David Walser and illustrated by Jan Pienkowski (Puffin). The best known stories form the basis of this stunningly illustrated volume.

Greek Myths by Marcia Williams (Walker Books). Comic strip style pictures illustrate some of the best known Greek myths. Other stories retold in this format and published by Walker Books include *The Adventures of Robin Hood* and *King Arthur and the Knights of the Round Table.*

The Names Upon the Harp by Marie Heaney and illustrated by P.J. Lynch (Faber and Faber). Stories from the traditional Irish storytelling cycles.

The Orchard Book of Stories from Ancient Egypt by Robert Swindells and illustrated by

Stephen Lambert (Orchard Books). The author uses an accessible colloquial style accompanied by modern illustrations which still manage to suggest that the people are from ancient times. Robert Swindells has also explored Norse myths in *The Orchard Book of Viking Stories.*

The King Arthur Trilogy by Rosemary Sutcliff (Red Fox). Magical retellings of the legends.

The Magic Lands: Folk Tales of Britain and Ireland by Kevin Crossley-Holland (Orion). Spirited retellings of a variety of tales, written in a manner which reflects the oral tradition. Kevin Crossley-Holland is an expert translator of stories from Northern Europe.

Tales Told in Tents by Sally Pomme Clayton and illustrated by Sophie Herxheimer (Frances Lincoln). Sally Pomme Clayton travelled through the countries of Central Asia collecting stories from local people.

South and North, East and West edited by Michael Rosen (Walker Books). A compilation of stories from around the world, many collected from London schoolchildren.

Sing me a Story by Grace Hallworth and illustrated by John Clementson (Frances Lincoln). Stories from the Caribbean, illustrated with bright pictures and incorporating songs with words and music provided.

Hidden Tales from Eastern Europe by Antonia Barber and illustrated by Paul Hess (Frances Lincoln).

Fairy Tales by Berlie Doherty and illustrated by Jane Ray (Walker Books). Stories mostly taken from Western European tradition, Jane Ray's sumptuous illustrations portray the characters with a variety of skin hues.

A Bag of Moonshine by Alan Garner and illustrated by Patrick Lynch (CollinsVoyager). Alan Garner mines the rich seam of British folk tales for this collection.

Seasons of Splendour: Tales, Myths and Legends of India by Madhur Jaffrey and illustrated by Michael Foreman (Puffin). The author recalls the rich storytelling traditions of her own childhood in Delhi.

Unwitting Wisdom. An Anthology of Aesop's Animal Fables by Helen Ward (Templar). A beautifully illustrated selection of Aesop's fables.

Favorite Folktales from Around the World by Jane Yolen published in New York by Pantheon. Not for children, this book is for anyone seeking an international collection of stories suitable for retelling.

مواقع مفيدة

Society for Storytelling (www.sfs.org.uk) formed in 1993 to bring together all those interested in the oral tradition. An invaluable source of information about many aspects of fairy tales is the website www.surlalunefairytales.com.

Centre for Literacy in Primary Education, Webber Street, London SE1 8QW (www.clpe.co.uk). The library has a collection of folk and fairy tales, myths and legends from all over the world. There is also an array of folk tale collections arranged according to their country of origin and compilations with stories from a variety of countries.

الفصل السادس الخيال للصغار والشباب: أحدث صيحة في عالم الأدب

كاتريونا نيكلسون

يتناول هذا الفصل ما يلي:

- كيفية تطور أدب الأطفال على مر القرون.
- أدب الأطفال المعاصر.



إنها حقيقة معترف بها دوليًا وهي أن القصص الخيالية للأطفال تحظى بإقبال منقطع النظير على مدى التاريخ، وقد احتل رولد داهل مكانة مرموقة منذ عشرين عامًا باعتباره كاتبًا للأطفال. وقد أدى النجاح الذي حققته كتبه - أثناء حياته - إلى اعتلائه عرش الكتابة واعتباره أكثر الكُتَّاب الأحياء نجاحًا، بحيث أصبح اسمه يمثل ظاهرة في مجال النشر والطباعة. إن المزج بين الفكاهة والعنف الذي يميز قصصه ما زال يستحوذ على خيال الأطفال حتى يومنا هذا، وعلى الرغم من ذلك فمنذ بداية هذا القرن زادت شعبية سلسلة «هاري بوتر» للكاتبة ج. ك. رولينج والتي حققت نجاحًا مذهلًا، وهي تتضمن سبع قصص ولقد ساعدت هذه السلسلة على إنشاء نادٍ عالمي لعشاق القراءة من الصغار والكبار من بكين إلى برايتون، وقد حطم كتابها الأخير الرقم القياسي للمبيعات في المملكة المتحدة، وفي خلال ثلاثة شهور من الطبع كان قد بلغ حجم مبيعاته حوالى أربعة ملايين نسخة.

وما من شك في أن رولينج ستحتل مكانًا بين كبار الكُتَّاب الذين ألَّفوا كتبًا خيالية للأطفال. وترى أماندا كريج (2007) والتي تكتب بجريدة التايمز أن خيال رولينج قد أدى إلى تغيير مفاهيم جيل بأكمله. ومع تأييدنا لهذا المدح فإنه يمكننا أن نضيف إلى ذلك أن كتب رولينج

قد ساعدت على تغيير مفاهيم الكبار عن كتب الأطفال، إن الإعجاب العالمي بسلسلة هاري بوتر قد أدى إلى تلاشي الحدود الفاصلة بين قراء كتب الكبار وقصص الأطفال الخيالية. ومن الشائع حاليًّا أن نرى قراءً من جميع الأعمار يغوصون في قصة هاري بوتر ويجدون فيها ضالتهم، فهناك إقبال عام على هذه الكتب، كما أن كثيرًا من القراء الكبار يستمتعون بشعور الإثارة والبهجة التي يوفرها لهم اشتراكهم في الإعجاب بتلك الكتب.

وعلى الرغم من أنني لا أحب أن نعتبر تلك السلسلة علامة على تقييم جودة الكتابة المعاصرة للأطفال فمما لا شك فيه أن تلك السلسلة قد ارتقت بمستوى أدب الأطفال، وأثمرت عن وسيلة إعلامية جديدة وجادة تحظى بالإقبال الجماهيري، إن الإعلان عن الاهتمام (الأكاديمي) بأدب الأطفال في يومنا هذا يثير بعض التعليقات مثل: «أوه مثل هارى بوتر.. لقد قرأت السلسلة بأكملها. وأنا من أشد المعجبين بها». وعندما يشير البعض إلى أن الكتب التي يؤلفها كُتَّاب آخرون معاصرون من المتخصصين في أدب الأطفال تحظى بالإعجاب من جوانب مختلفة أو متشابهة فغالبًا ما تُطلب التعليقات الشخصية في هذا الشأن. ونتيجة لتزايد الاهتمام حاليًا بكتب الأطفال فإن القراء المحنكين (أو المتحمسين) لهذا النوع من الأدب يحتلون موقعًا فريدًا يستحثهم على تعزيز بعض الآراء في هذا الصدد والتعليق عليها بحيث تكون مصدر إلهام لهم، كما أن الدليل الحالي الذي يتضمن أسماء كُتَّاب الأطفال وعناوين كتبهم هو دليل مُطَّول. إن الكبار والصغار الذين أُعجبوا بظاهرة بوتر يمكن تشجيعهم على تجاوز حدود «القراءة السطحية» كما وصفتها إيدن تشامبرز (2001 – 13)، وأن يتعرفوا على ما تقدمه الكتب من تحديات ومنح بحيث تعكس بعمق التعقيدات التي يشهدها عصرنا الحالي، كما تستعرض بعض الجوانب البشرية، إن القراء سواء كانوا كبارًا أو صغارًا فهم متشابهون، فبمجرد معايشتهم لتجربة ممتعة بقراءة كتاب ما في هذا المجال فإنهم ما يلبثون أن ينقلوا خبراتهم لقراء آخرين مستغلين حماسهم حتى يشاركهم الآخرون بهجة معايشة تلك النصوص التي يرشحونها لهم.

نظرة تاريخية موجزة

لقد شهد القرن الثامن عشر بداية كتابة نوع من الأدب موجه خصيصًا للأطفال، وقد شملت مطبوعات الأطفال وقتئذٍ قصصًا شعبية ودينية وكتيبات تعليمية، وكانت تهدف جميعها إلى تقديم

الإرشادات والتعليمات اللازمة، ولم تقتصر على تسلية الأطفال وإمتاعهم. وعندما ظهرت الحركة الرومانسية في القرن التاسع عشر والتي أضفت على الطفولة صفات مثالية أصبح الطفل «شخصية هامة في مخيلة الكُتّاب الإنجليز» (كاربنتر 1987: 10) وبالتالي يشير الباحثون إلى أن التغير الحقيقي الذي يتمثل في الاتجاه للكتابة للأطفال (هانت 1994: 10) هو بداية العصر الذهبي لأدب الأطفال. وقد طبعت العديد من الكتب ذات العناوين الشهيرة والتي حظيت بمديح النقاد، ومن هذه الكتب: «أطفال الماء ـ The Water Babies» للكاتب تشارلز كينجسلي (1863) و«رحلات أليس في بلاد العجائب ـ Alice's Adventures in Wonder Land» للكاتب لويس كارول (1866) و«نساء صغيرات ـ Little Women» للكاتبة لويزا الكوت (1868) و«جزيرة الكنوز ـ Treasure Island» للكاتب ر. ل. ستيفنسون (1883) و«ساحر أُوز ـ The Wizard of Oz» للكاتب ت. م. بوم (1900) و«بيتر بان ـ Peter ban» ج. م. باري (1904) و«رياح الصفصاف ـ The Wind in the Willows» للكاتب كينيث جراهام (1908). وهذه القصص الخيالية وقصص المغامرات والحكايات المدرسية (للأولاد) والحكايات المنزلية (للبنات) تتخلى عن صيغة التعليمات وتقدم للأطفال المتعة والتسلية. وفي بداية القرن العشرين قامت بعض المكتبات بتخصيص حجرات معينة لكتب الأطفال حيث تشمل القصص الخيالية تنوعًا كبيرًا في موضوعاتها وأساليبها، وإلى جانب نشأة الاهتمام بالعلوم الطبيعية وعلم النفس أخذ بعض الكُتاب أمثال إديت نسبيت، وفرانسيس هود جسون بيرنيث يقدمون بعض الحالات الإنسانية من خلال أبطال قصصهم الشباب. وبدأت تظهر السمات الأدبية في كتب الأطفال، وفي عام 1936 قامت رابطة المكتبات ـ إحياءً لذكرى الكاتب الخيِّر الأسكتلندي المولد ونصير العلم أندرو كارنيجي ـ بوضع جائزة كارنيجي لأدب الأطفال، وكان أول من حصل على هذه الجائزة هو الكاتب آرثر رانسام عن قصته «برج الحمام ـ Pigeon Post» والتي تتحدث عن أطفال الطبقة الوسطى. وقد مُنحت الجائزة الثانية لإيف جارنيت والتي ركزت اهتمامها على طبقة الفقراء بلندن وكتبت قصة «The Family from one End Street» وذلك من واقع خبرتها في العمل هناك.

وعلى مدى الستين عامًا الماضية كان لطباعة كتب الأطفال أثرًا تجاريًّا كبيرًا، وازدادت شهرة الكتاب الكلاسيكيين المذكورين آنفًا إلى جانب التيار «الجديد» من كتاب الأطفال الجدد (مثل لوسي بوسطن وماري نورتن وليون جارفيلد وآلان كارنر ووليام ماين وفيليب بيرس وكاترين

ستور وروز ماري ستكليف) ممن ظهروا خلال سنوات الحرب في أواخر الخمسينات وأوائل الستينات وهو ما يعد بزوغًا لفجر جديد لأدب الأطفال، ولقد كان الخيال هو العامل المشترك لرواية القصص، ويرى كيمبرلي رينولدس (1994: 41) أن استخدام عالم الخيال على هذا النحو يمكن الكاتب من «التعليق على الحالة الراهنة لحضارة الدول»، علاوةً على ذلك فمن خلال هؤلاء الكُتَّاب يمكن الكشف عن إمكانات الخيال، والقدرة على التعامل مع المشكلات التي يواجهها الأطفال كجزء من عملية النمو كالخوف من الانفصال أو الضياع أو الموت أو الغضب أو الممارسات الجنسية.

وعلى الرغم من أن عنصر الخيال يعد أحد جوانب أدب الأطفال الذي ظل سائدًا خلال السبعينات والثمانينات من خلال كُتَّاب مثل سوزان كوبر وبيني لوب لايفلي وجيل باتون وولسن وهيلين كريسويل إلا أن الواقعية الاجتماعية كانت هي الموضوع المهيمن على الكتابة في ذلك الوقت، وكان بعض الكُتَّاب أمثال برنارد أشلي وجان مارك وروبرت وستول وروبرت سويندلز يتناولون في قصصهم قضايا شخصية وأخرى عامة تتضمن الشئون الجنسية والعرقية والحرب والموت والإعاقة الجسدية والثورات الداخلية والقلق النفسي المصاحب لمرحلة المراهقة وكذلك الاضطرابات النفسية.. إلخ وذلك بشكل أكثر انفتاحًا من كُتَّاب الخيال، وبصورة موجزة فإن الكُتَّاب كانوا يكشفون عن قضايا هامة معاصرة قد يعتبرها البعض أن من الأنسب أن تكون موضوعات لقصص الكبار. إلا أن قصص الأطفال دائما ما كانت تعكس سمة من سمات العصر الذي كُتبت فيه، والأطفال ـ شأنهم شأن الكبار ـ لا يقرأون بغرض التعرف على سمات مجتمعهم فحسب ولكن ليفهموا أسلوب حياة الآخرين بشكل أفضل، وقد علق ميشيل موربرجو (1997) ـ الحائز على جائزة أدب الأطفال خلال الفترة من 2003 إلى 2005 ـ منذ عقد مضى بأن الأطفال بحاجة إلى خبرات صعبة، فإذا «ما شعرت ـ أثناء كتابتي أن النهاية لابد وأن تكون تراجيدية فإنني لا أتوانى عن ذلك حيث إن الحياة لا تستمر على وتيرة واحدة»، ويقول جان مارك (1993 – xix) في كلمته الحكيمة «إن الحدود بين الطفولة والمراهقة والنضج تتغير بصورة مستمرة»، ويمكن القول بأن الخيال في أدب الأطفال يعد من بداية ظهوره وسيلة لرصد ما يطرأ من تغيرات ثقافية واجتماعية من خلال عوالم الشخصيات الخيالية من كافة الجوانب الجسدية والنفسية والثقافية بالإضافة إلى الاهتمامات والمعتقدات والقيم الخاصة بعصر معين.

والآن ومع قرب نهاية العقد الأول من الألفية الجديدة يبدو أن كُتَّاب الأطفال ـ على الأقل أولئك الذين تحظى كتبهم بإعجاب القراء خلال مراحل العمر المتوسطة وما بعدها ـ ينصب اهتمامهم على موضوعات طموحة للغاية، ومن ثَمَّ فهناك سؤال يطرح نفسه بشأن تعريف (أدب الأطفال)، وهو السؤال الذي غالبًا ما يكون موضوعًا للمناقشة بالجامعات ووسائل الإعلام. وعلينا أن نُسلِّم بأن أدب الأطفال لم يعد مقتصرًا على المجالات المحددة الخاصة بالصغار، وقد أعيد تصنيف هذا النوع من الأدب، كما تخطى حدوده القديمة باعتباره «مخصصًا للصغار» بخلاف أنماط أدبية أخرى «مخصصة للأكبر سنًّا». إن الكتب التي تصلح (للصغار والكبار) تمثل ركنًا هامًّا بالسوق، وهي تشكل ما يطلق عليه البعض (تجاوز الحدود الفاصلة بين خيال الأطفال والكبار) نظرًا لمحتواه (الناضج) وأساليب روايتها الراقية، ويتركز اهتمام هذه الكتب على رحلة الفرد (الداخلية) التي يخوضها نحو فهم ذاته بشكل أفضل وعلاقته بما يسود العالم من تعقيدات، ويُعرِّف نورثروب فراي (1957) القصة الأدبية العظيمة على أنها تلك التي يتجسد فيها «افتقاد الهوية واستعادتها». وفي واقع الأمر فإذا ما نظرنا إلى قائمة المؤلفين الذين فازوا حديثًا بجائزة كارينجي لأدب الأطفال يتبين لنا أن الاهتمام بتلك الموضوعات يعد سمة من سمات الأدب المعاصر بالنسبة لصغار البالغين والأطفال الأكبر سنًّا.

أدب الأطفال المعاصر

لم يكن نجاح ظاهرة رولينج هو السبب الوحيد للاهتمام المتزايد بكتب الأطفال في العصر الحالي، إن حصول فيليب بولمان على جائزة (وايت بريد) «White bread» المرموقة لكتاب العام في 2001 وذلك عن كتابه «المنظار الكهرماني» أو «The Amber Spyglass» (وهو الكتاب الثالث من ثلاثيته المسماة بـ «أدواته السرية ـ His Dark Materials»، لم تكن هذه المناسبة في نظر المهتمين بكتب الأطفال مجرد سبب للاحتفال والتهنئة، ولكنها جاءت اعترافًا من المؤسسات الأدبية ـ في الوقت المناسب ـ بأن الامتياز في تأليف الكتب للصغار يستحق شهرة أوسع وتقديرًا أعم. ويرى بولمان وهو مدرس سابق أن القصص ذات تأثير قوي على قارئيها، كما أنها يمكن أن تُعلِّمهم أشياء عن العالم الذي يخلقه لهم المؤلف، إلى جانب القيم الأخلاقية التي يحيون في ظلها، وهو يعتقد أن القصص العظيمة يمكن الاستعانة بها في إرساء الشعور بالثقة

وتحرير إمكانات القارئ سواء كان طفلًا أو بالغًا، وقد استعان في موضوعات ثلاثيته (التي تشمل «الأضواء الشمالية ـ Northern Lights» و«السكين الحاد ـ The Subtle Knife» و«المنظار الكهرماني ـ The Amber Spyglass»، برواية ميلتون «الفردوس المفقود ـ Paradise Lost». وفي هذه الثلاثية ضرب أمثلة على أن القصة الواحدة يمكن أن تشمل موضوعات تتجاوز حدود الزمان والمكان، وقد بيع من هذه الكتب أكثر من 15 مليون نسخة في جميع أنحاء العالم. إن الموضوعات والقضايا التي تناولتها الثلاثية أثارت كثيرًا من المناقشات الحماسية في الحلقات الأدبية ومجموعات القراءة وقاعات الدرس وأماكن الندوات بالجامعات على مستوى العالم. وفي إيجاز فإنه سيتم طبع جزء مكمل للثلاثية باسم (كتاب الرماد) «The Book of Dust» والذي سيكون «كتابًا عظيمًا عن موضوع عظيم» على حد قول بولمان (2007).

وثمة مؤشر آخر على أن القصص الخيالية للأطفال تحظى بمكانة كبيرة ألا وهو الوسائل الكثيرة والمتعددة التي استخدمت في تجسيد تلك القصص عن طريق الأفلام والمسرحيات. واعتبارًا من الستينات وصاعدًا ظهرت القصص الكلاسيكية والكلاسيكية «الحديثة» على هيئة مسلسلات تليفزيونية أو أفلام طويلة، ومن أمثلة ذلك (أليس في بلاد العجائب) للكاتب لويس كارول، و(البستان الغامض) للكاتب فرنسيس هودجسون بيرنيت، و(المقترضون) للكاتبة ماري نورتون، و(أطفال السكة الحديد) للكاتب إ. نسبيت و(بيتر بان) للكاتب ج.م. باري. وسلسلة (نارينا) للكاتب سى. إس. لويس و(رياح الصفصاف) للكاتب كينيث جراهام، و(شبكة تشارلوت) للكاتب إي. بى. وايت. و«Swallows[1] and Amazons[2]» و(حرب كاري) للكاتبة نينا بادوين و ب. ف. ج و«داني» بطل العالم للكاتب رولد داهل.

وقد تحولت مؤخرًا بعض النسخ المعدلة من كتب عديدة إلى أفلام سينمائية حققت نجاحًا مذهلًا مثال ذلك (صاحب الخواتم) للكاتب ج. ر.ر. توكين. و(مصنع الشيكولاتة) للكاتب داهل تشارلي و(ماتيلدا) لنفس الكاتب، و(مدام داوت فاير) للكاتبة آن فاين و(شبكة تشارلوت) للكاتب إي. بي. وايت إلى جانب العديد من قصص هاري بوتر. ومن ناحية أخرى

(1) السوالو: هو طائر صغير له ذيل مجزأ يهاجر إلى البلدان الشمالية وقت الصيف ـ المترجمة.

(2) الأمازونية: هي امرأة من عرق خرافي من المحاربات زعمت الأساطير الإغريقية أنهن كن يقمن قرب البحر الأسود ـ المترجمة.

فإن الفيلم الناجح المأخوذ عن ثلاثية بولمان الملحمية والذي عرض باسم (النطاق الذهبي) من المؤكد أنه يدعم الأفلام الخيالية للأطفال بشكل كبير.

والآن ـ أكثر من أي وقت مضى ـ نجد أن طبيعة كثير من الكتب المطبوعة للصغار والشباب وإقبال الكثيرين عليها أدى إلى استغلالها بطرق إيجابية من خلال الإنتاج المسرحي، إن نظرة سريعة لهذه الكتب تبين على وجه الخصوص تبني المسرح القومي لمسرحية «أدواته الغامضة ـ His Dark Materials» للكاتب بولمان، والتي امتلأ فيها المسرح عن آخره خلال موسمين متتاليين لعيد الميلاد المجيد، وعلاوةً على ذلك فهناك أيضًا المسرحية التي عرضت أيضًا على المسرح القومي بعد تعديلها وهي (طفل كورام) للكاتبة جميلة جافين، والتي عرضت أيضًا على مدى موسمين متتالين، بالإضافة إلى المسرحية التي عرضت مؤخرًا وهي (خيل الحرب) للكاتب ميشيل مور بورجو والتي مثلت الإنتاج الأساسي لمواسم الكريسماس لعدة سنوات. وفي مسرح سترادفورد أبون إيفون قامت شركة شكسبير الملكية بتقديم مسرحية «محن ومهالك ـ Noughts and Crosses» للكاتب مالوري بلاك مان. كما قدمت مسرحيتي الكاتب موربورجو «مملكة كينسيول» «المسالم السري ـ Private Peaceful» على مسارح لندن، وعرضتا فيما بعد بجميع مسارح بريطانيا، وهناك مسرحيات أخرى أدخلت البهجة بالمثل على جماهير لندن ومنها (بستان توم في منتصف الليل) للكاتب فيليبا بيرس و(جانك) للكاتب ميلفين بيرجيس و(طفل الحقيبة) للكاتبة جاكلين ولسون و(يومان مع الملكة) للكاتب موريس جليتسمان و(سكينج) لديفيد ألموند، و(أحلام مريم) لكاترين ستور و(البحث عن ج. ج) لآن كاسيدي.

والكتب التي وضعها فيليب بولمان ومجموعة من الكُتاب المعاصرين الآخرين تؤيد الحكمة المطبوعة على حقائب المشتريات التي كانت توزع بمحل الكتب المحلي الخاص بي. وهذه الحكمة تقول: (إن الكتاب الذي يجب أن تقرأه ليس هو الكتاب الذي يفكر لك ولكنه الكتاب الذي يجعلك تفكر) وقائل هذه الحكمة هو جيمس ماك كوسن. وفي الحقيقة فإنك إذا قمت بزيارة لأية مكتبة بشارع رئيسي أو محل خاص ببيع الكتب فإنك ستفاجأ بمجموعة من النصوص الجذابة والمتنوعة التي «تجعلك تفكر»، إن تأملك للأرفف العديدة ـ مع الوضع في الاعتبار الكُتاب الكلاسيكيين الذين سبق وأن ذكرناهم ـ سيتيح لك الحصول على كتب ألفها كبار

الكُتَّاب الذين أدخلت أعمالهم البهجة على القراء من الصغار والكبار على حدٍّ سواء وذلك على مدى أربعة عقود من الزمان، ومن أمثال هؤلاء: ديفيد ألموند ولاين ريد بانكس ونينا بودين ومالوري بلاك مان وجودي بلام وميلفين بيرجيس وبيستي بايرس وإيدان تشامبرز، وإيون كولفر وسوزان كوبر وشارون جريس وجريليان جروس وكيفين كروسلي هولاند ورولد داهل وبيرلي دوهيرتي وآن فاين وبولا فوكس وآلان جارنر، وجميلة جافين وموريس كليتسمان وسونيا هارتنيت وجاني هوكر وتيد هوجز وإليزابيث ليرد ولويس لوري وجيرالدين ماك كوفريان وميشيل ماجوريان ومارجريت ماهي وجان مارك وميشيل موربورجو وبيفرلي نيدوو وليندا نيوبري وكاترين بيترسون وفيليبا بيرس وتيري براتشيت وفيليب بولمان وسيليا ريس وكاترين ستور وروبرت سويندلز وكينثيا فواجيت، وجيل باتون وولسن وروبرت ويستول وجاكلين ولسون. وعلاوةً على ذلك فهناك بعض الأسماء الأقل شهرة والذين حظيت كتبهم مؤخرًا بثناء النقاد وإشادتهم، مثل آن كاسيدي وجنيفر دونيلي وأنتوني هوروتيز وهيلاري ماك كاي وماك بيت وميج روزوف وفيليب ريف.

وهناك مؤلفون آخرون مشهورون ممن تجد كتبهم السوق الملائمة لها، وتحظى بإعجاب القراء لجودة أسلوبها، ومن بين هؤلاء الكتاب ميج كابوت وكورنيليا فانك وكارولين لورانس وروبين جارفيز وآندي ماك ناب وج. ك رولينج ولويس ساشار وفرانسيسكا سيمون وليموني سنيكيت.

ما هي سمات الكتاب الجيد؟

ومع وجود هذه الثروة من النصوص المعروضة كيف يتسنى لنا كطلبة ومدرسين أو حتى قراء متحمسين أن نحسن اختيار الكتب؟ كيف يمكن أن نختار أفضل الكتب في مجال الخيال والواقعية المعاصرة والخيال العلمي والتاريخي والرحلات الزمنية والثلاثيات والروايات والقصص القصيرة؟ كيف يمكن أن نختار تلك الكتب التي تجعلنا نفكر فيها وراء الكلمات، وأن نعمق مفاهيمنا عن العالم الذي نعيش فيه؟ ولماذا تؤثر بعض الكتب على خيالنا وحواسنا إلى درجة تجعل تجربة القراءة ذات أصداء ممتدة، وتستأثر بتفكيرنا بعد انتهاء القصة؟ لماذا يجد كثير منا السلوى والإشباع الشخصي في كتب تخاطب الأطفال؟

إن كُتّاب الأطفال لديهم الكثير الذي يمكن أن يقولوه لنا فيما يتعلق بأهدافهم وعملهم، وحتى يتسنى لنا الإجابة على تلك الأسئلة المطروحة فمن المفيد الاتصال بثلاثة أشخاص يؤمنون جميعًا بأن القصة الجيدة يمكن أن تساعد القراء على فهم أنفسهم وكذلك الطبيعة البشرية بشكل أفضل، ومن ثم فمن خلال تعاطفهم مع بعض الشخصيات والظروف في عالم الخيال يمكن أن يشعر القراء بارتباطهم بالعالم الذي يعيشون فيه ارتباطًا وثيقًا. وهذه الشخصيات هي:

1. كاترين بيترسون (1989: 44) والتي تشير إلى مهمة القصّاص بأنه يشكل الخبرات الإنسانية حتى يتمكن القارئ من إيجاد معنى للقصة وليس مجرد ترتيب لكلمات منمقة.
2. نينا بودين (1980) والتي تعلق قائلة بأن الكتب التي قرأتها في طفولتها ساعدتها على فهم ذاتها المتنامية، وتقول: (إنها لم تكن أساطير أو خيال، ولكنها كانت كتبًا تبدو وكأنها تحكي قصصًا لأناس حقيقيين .. أناس يمكنني أن أدرك وجودهم وكأنهم موجودين في عالم الواقع حتى خاضوا أحيانًا بعض المغامرات الفاشلة .. لقد كانت كتبًا استطعت أن أعيش بداخلها لسبب ما. (في نفس الكتاب ص 27)
3. وبودين التي لديها اعتقاد راسخ بأن صغار القراء بحاجة إلى الواقعية ضمن ما يقرأونه من قصص، كما ترى أن «الواقعية الأكثر أهمية التي يحتاجها الأطفال ... هو عالم المشاعر الذي كُتب في ظله الكتاب .. عالم محيط بالطفل يمكن له أن يدركه سواءً كان غنيًّا أو فقيرًا، سواءً كان يعيش في قصرٍ أو في شقة صغيرة» (صـ 28 – 9 في نفس الكتاب).

وتوضح فيليبا بيرس (1969) شروط قصة الأطفال الجيدة، وهي تشير إلى أن صغار القراء جميعهم يتجهون نحو النضج ويتخذون بعض الخطر وصولًا إليه وبناءً على هذه الحقيقة فهي تقدم معيارًا هامًّا لقياس قيمة كتاب ما فتقول: «في قصص الأطفال نجد أن الشخصيات الطفولية لا تنمو نموًّا فعليًّا، وعلى الرغم من ذلك فهي تبدو قادرة على النمو دائمًا». وتشرح وجهة نظرها قائلة: «عند الإقدام على كتابة قصص للأطفال يتعين على الكاتب أن يحقق الربط بين الطفولة الماضية والنضج الحالي»، وتكمل قائلة: «إنه يفعل نفس الشيء بالنسبة لشخصياته من الأطفال .. فهو يربط بين طفولتهم الحالية ونضجهم المستقبلي ... ومن المؤكد أن شخصية

الطفل ستنمو بعد الانتهاء من قراءة الكتاب». ومثل هذه الشخصية تعد رفيقًا مناسبًا لخيال طفل حقيقي ينمو بالفعل (صـ 53 في نفس الكتاب).

وتعلق بودين مشيرةً إلى الجانب «المظلم» للقصص المعاصرة قائلة: «إذا قام الكاتب بتقديم شخصياته بأمانة فإنه يتيح لقرائه « وسيلة للسيطرة على الأقدار»، عن طريق تعريفهم بإمكانية أن يضعوا ثقتهم في أفكارهم ومشاعرهم بحيث يكونون أكثر ثقة في أنفسهم (33 – 1980) وهي تعتقد أن كاتب الأطفال الجيد يمكنه أن يُطلع القراء على جزء من العالم.. على بداية الطريق الذي سيسلكونه، إلا أن أهم ما يمكن أن يقدمه لهم هو بصيص من الأمل وقدرٌ من الشجاعة كزاد لرحلة حياتهم» (صـ 33 في نفس الكتاب).

وهذا المعيار الذي يتمثل في زاد «الرحلة» تتحدد على أساسه كثير من كتابات الأطفال والكبار المعاصرة، وهو يتشابه كثيرًا مع رأي الكاتب نورثروب فراي (1957: 2) الذي يذهب إلى أن الأدب الجاد يُعنى بالبحث عن الهوية: إن الأبطال في الخيال المعاصر يدخلون في صراعات – عديدة من أجل تحقيق النجاة لاتجاهاتهم الثقافية أو العاطفية أو الأسرية وفهم أنفسهم بصورة أعمق. وتتساءل أماندا كريج (2003) عن السبب وراء انجذاب القراء الكبار للشخصيات الموجودة بقصص الأطفال، وترى أن الإجابة تكمن في أن هذه الشخصيات «تقوم برحلة يكتشف فيها العامة إمكاناتهم الخاصة بالبطولية التي تمكنهم من مواجهة ما يصادفهم من صعوبات قد تصيبهم باليأس - إذا لم يكتشفوا تلك الإمكانات - في عالم فسيح حافل بالأحداث المرعبة».

إن فكرة «الرحلة» قد أدت إلى وجود حلقة وصل بين كتاب القصص الخيالية للأطفال اعتبارًا من قصة (السيف الفضي) للكاتب إيان سيراليرز (1956) ومرورًا بقصة «أنا ديفيد» الكلاسيكية (1963) للكاتبة آن هولمز، وكذلك قصة «HomeComing» للكاتبة سينثيا فواجيت (1981) وقصة «Stan» للكاتبة آن فيلينج (1988) و (مملكة عبر البحر) (1990) للكاتب روبرت ويستول وقصة (السير عبر قمرين) للكاتب شارون جريتسن (1994) ووصولًا إلى قصة (كيف أعيش الآن) للكاتب ميج روزوف (2004)، وخلال مرحلة تطور القصة نجد أن الأبطال الصغار الذين بدأت قصصهم في جو من الغموض أو اللبس أو الضياع أو الظروف القاسية قد اكتسبوا فهمًا جديدًا لأنفسهم وللآخرين على حدٍّ سواء.

ويقول الكاتب فيكتور واتسون (2003: 1) مؤيدًا لرأي بيرس: (معظم الشخصيات الرئيسية في أدب الخيال للأطفال أصبحوا في نهاية قصصهم أكثر حكمة مما كانوا عليه في بدايتها) ويرى أن (النضج يعد موضوعًا وليس نوعًا أدبيًا)، وأن (عملية التأليف لابد وأن تشبع احتياجات الطفل وتصبغ قصصه بكافة أنواع الأدب)..

وبغض النظر عن هذا الرأي فعلينا أن نلاحظ أن «بث روح الأمل والشجاعة خلال الرحلة» وهو المفهوم السائد في قصص الأطفال قد امتد إلى القصص التي صدرت حديثًا للأطفال. وأوضح مثال على ذلك قصة (الولد ذو البيجاما المخططة) (2006) للكاتب جون بوين. وعلى الرغم من أن غلاف الكتاب يخبر القارئ بأنه عندما يبدأ في قراءته فإنه سيذهب في رحلة مع ولد عمره تسع سنوات يُدعى «بورنو».. فهذه ليست قصة تتضمن مواساة أو تستمد منها حكمة إنها قصة تحكي أحداث المحرقة (الذبائح التي تُحرق تعبدًا لله). ومع استدعاء شيء من الظلام اللانهائي الذي يميز كتابات روبرت كورمير والتي تتخذ من العدم موضوعًا لها (كقصة) «I am the Cheese» و«After the First Death» نجد أن العنوان الماكر الذي وضعه بايون لقصته (الولد ذو البيجاما المخططة) وكذلك القصة بأكملها تنقل تمامًا مشاعر (السخرية من البراءة) (كيلاواي 2006).

جوائز الكتب والحائزون عليها

على الرغم مما وصفه كيفين كروسلي هولاند (2007) بنهضة جوائز كتب الأطفال في المملكة المتحدة (لاسيما جوائز سمارتيز ووايت بريد واللتان تعرفان الآن باسم «كوستا» ـ الجارديان). وتعتبر جائزة كارينجي (ميدالية ذهبية) هي أفضل الجوائز الخاصة بأدب الأطفال، وخلال العقدين الماضيين ثار التساؤل حول نوعية الكتابة التي يمكن أن تحظى بالتقدير والتكريم، إن القصص التي حصلت على جوائز هي قصص تخاطب عوالم الصغار والمشكلات الاجتماعية المؤلمة التي قد تواجههم، ومن بين هذه القصص (جانك) للكاتب ميلفين بيرجيس و (الحجر البارد) للكاتب روبرت سويندل، و(بطاقات بريدية من الأرض المهجورة) للكاتب إيدان تشامبرز وقصته (Dear Nobody) للكاتب بيرلي دوهيرتي، هذه العناوين كلها تعكس التغير في الزمن واتجاه الموضوعات والاهتمامات إلى بعض الكآبة، وعلى الرغم من ذلك فثمة حاجة

واضحة للاعتراف بأنه في ظل فترة المراهقة المتقلبة والحساسة يحتاج البالغون إلى شكل وسيط من الأدب يعالج شعورهم بالتخبط ويوجه طموحاتهم ويهذب مواقفهم العدائية» (كريج 2007)، وقد يتفق الكثيرون مع وجهة نظر كروسيلي هولاند بضرورة منح جائزتين متميزين: الأولى للكتب التي يحظى أسلوبها ومضمونها بإعجاب أطفال المرحلة الابتدائية، والثانية للكتب التي تتناول موضوعات أكثر صراحة بحيث تخاطب الكبار.

مراجع أخرى

عشر قصص يجب قراءتها للأطفال والشباب:

Alice's Adventures in Wonderland by Lewis Carroll (1866). Continuously in print since its first publication with various illustrators, this was one of the first books written for the amusement and delight of children rather than for their instruction and improvement.

The Secret Garden by Frances Hodgson Burnett (1911). Set in rural Yorkshire, this story of two lonely children whose physical and emotional lives are enriched through the transforming power of the natural world, has become well loved by children and adults.

Swallows and Amazons by Arthur Ransome (1930). Comprising 12 books of which this is the first, the series falls into the 'camping, tramping' genre of fiction for children. Strong on 'real' descriptions of land and seascapes and on children's impulses for make-believe the books clearly influenced writers like Enid Blyton.

Charlotte's Web by E.B. White (1952). Fifty years after publication White's tale of farmyard friendship remains a classic. Multi-layered, allusive and lyrical the text remains a source for scholarly comment and interpretation.

Tom's Midnight Garden by Philippa Pearce (1958). Winner of the Carnegie Medal, the book has been described as 'one of the tiny handful of masterpieces of English children's Literature'. A time-slip fantasy, it is threaded with a strong and celebratory sense of place. Connections between past and present and their reconciliation are central issues.

Dear Nobody by Berlie Doherty (1991). Probably Doherty's best-known novel and winner of the Carnegie Medal in 1992. The story of sixth-former Helen's pregnancy, told in a heartfelt way through letters to her unborn child, broke new ground in terms of what was considered suitable content for children's stories

Junk by Melvin Burgess (1996). Based on first-hand research and set in inner-city Bristol in the 1980s, this novel won the Carnegie Medal and the *Guardian* Award for Children's Fiction. Successive monologues sustain the narrative drive which documents the viewpoints of teenage characters caught up in the downward spiral of drug addiction.

His Dark Materials trilogy by Philip Pullman (1995–2000). The three books, in epic style, examine and address the great themes of good, evil, the nature of the human soul and the afterlife. This trilogy is regarded as one of the most distinguished literary achievements of the twentieth century.

Harry Potter and the Philosopher's Stone by J.K. Rowling (1997). First of the series of seven that chart the years the eponymous hero spends at Hogwart's School of

Witchcraft and Wizardry. Something of a landmark in children's publishing and therefore a must-read!

Noughts and Crosses by Malorie Blackman (2001). The first novel of a much acclaimed trilogy set in a racist dystopia. Described by the author as a modern day *Romeo and Juliet* story, the narrative makes for tragic and compelling reading.

توصيات شخصية

Carrie's War by Nina Bawden (1973). Set in rural Wales during the Second World war, Bawden's novel concerns Carrie's moral dilemmas and inner struggles. Quiet resolution of conflict pervades the conclusion making it one of the most memorable of children's books.

The Eighteenth Emergency by Betsy Byars (1973). Preoccupied with fears of all kinds, 'Mouse', who has offended the school bully, awaits the ultimate fear – that of his impending punishment. An outstanding novel in terms of exploring this dynamic and ever-present issue.

Thunder and Lightnings by Jan Mark (1976). Jan Mark's sensitive ear for dialogue, her acerbic wit, evocative descriptions of place and her gently sensitive portrayal of a child with particular learning difficulties, made this a worthy Carnegie Medal winner.

The Stone Book by Alan Garner (1976). First book of a quartet that has been described as 'one as the great originals of children's literature'.

Bridge to Terabithia by Katherine Paterson (1977). Paterson drew on real life in order to authenticate the events of this award-winning novel. Set in rural Virginia, her story documents the growing friendship between a young boy and girl from different social backgrounds.

Sarah Plain and Tall by Patricia MacLachlan (1985). McLachlan's small gem of a novel is set in the Midwest of America in the late nineteenth century. Its haunting themes articulate the grief of loss and the intensity of longing.

Kit's Wilderness by David Almond (1999). Set in the North East mining country of England, emotionally involving and told with economical brilliance, Almond's narrative skills balance the real with the magical.

The Other Side of Truth by Beverley Naidoo (2000). A Carnegie Medal winner, Naidoo's fourth novel, set in Lagos and London, challenges and informs the issue of racism.

How I Live Now by Meg Rosoff (2004). Told through the voice of her American protagonist, Daisy, Rosoff's novel conveys the pain and strength of adolescence in an unforgettable way, offsetting scenes of horror and brutality with those of tenderness and caring.

The Silver Donkey by Cynthia Hartnett (2006). Told with eloquent economy Hartnett's novel carries lightly its themes of great complexity. Set during the First World War, the overarching story provides a layered framework for four embedded tales.

الفصل السابع نحو عالم جديد: ترجمة كتب الأطفال

جيليان لاثي

يتناول هذا الفصل ما يلي:

- تاريخ ترجمة كتب الأطفال واتجاهاتها الجديدة.
- الاتجاهات المختلفة في الكتابة للصغار.
- طرق توصيل الكتب المترجمة للصغار.



ما عليك إلا أن تتخيل أدب الأطفال البريطاني بدون حكايات «إيسوب» الخرافية و«سندريلا» و«القلنسوة الحمراء الصغيرة» و«هانسيل وجريتل»، و«حكايات هانز كريستيان أندرسون» و«مومينز» و«هايدي» و«بابار» و«علاء الدين» و«مسز بيربوت» و«أستريكس» و«بينيسشيو»، كل هذه القصص والشخصيات نشأت في ألمانيا وفرنسا وإيطاليا والسويد والدنمارك واليونان والدول العربية وأصبحت فيها بعد مألوفة للأطفال المتحدثين بالإنجليزية وذلك بفضل رواة القصة غير المرئيين والذين غالبًا ما يفتقدون إلى التقدير والاعتراف بفضلهم ألا وهم المترجمون. لقد استفاد أدب الأطفال ـ حتى يومنا هذا ـ من الاتجاهات الجديدة التي تعبر عنها الترجمات المختلفة على الرغم من وجود بعض أوجه الخلل أو القصور على المدى الطويل في الترجمة من وإلى الإنجليزية.

وفي خلال السنوات الثلاثين الماضية نجد أن حوالى 40 ٪ من كتب الأطفال الألمانية والفرنسية هي كتب مترجمة بالمقارنة بكتب الأطفال الإنجليزية المترجمة والتي لا تتجاوز نسبتها

3 ٪ من مجموع الكتب، ولحسن الحظ فقد كان هناك تحول في جودة الكتب المترجمة وكمياتها خلال العقد الماضي، وهو التحول الذي لاقى ترحيبًا كبيرًا، ولقد استطاعت الكاتبة الألمانية كورنيليا فانك ـ على سبيل المثال ـ أن تتغلب على كافة العقبات حتى أصبحت كتبها من أكثر الكتب مبيعًا بالسوق الإنجليزية وذلك من خلال قصصها الخيالية الشيقة مثل «الملك اللص» «The Thief Lord (2002)» و«Inkheart (2003)»، وأصبح بإمكان الأطفال أن يقرأوا أعمال كبار الكتاب من جميع أنحاء العالم من خلال الأعمال المترجمة وبالتالي معرفة الاختلافات الثقافية وتمييز الأعمال الفريدة.

نظرة تاريخية

عندما ننظر إلى تاريخ أدب الأطفال المكتوب بالإنجليزية سرعان ما يتضح لنا أن بعض الحكايات المترجمة والتي كانت موجهة أصلًا للكبار كان لها أثر بالغ على تطور أدب الأطفال الإنجليزى الذي أصبح أكثر ثراءً وتغيرًا من خلال القصص المترجمة من أوروبا وغيرها بدءًا من ترجمات وليام كاكستون لحكايات «إيسوب» الخرافية و«تاريخ الثعلب رينارد» في أواخر القرن الخامس عشر وحتى «ألف ليلة وليلة ـ The Arabian Nights» في القرن الثامن عشر، وبدءًا من تدفق الحكايات الفرنسية عن السحر والجن في بداية القرن الثامن عشر وحتى ترجمة حكايات الأخوين جريم (1823) من ألمانيا، وكذلك هانز كريستيان أندرسون من الدنمارك (1846). ولقد لعبت حكايات الجن الأوروبية دورها في تعزيز الكتابة التخيلية وذلك في عصر القصص الأخلاقية الواقعية التي انتشرت قبل عام 1900م والتي مازال يتردد صداها حتى اليوم في شكل حكايات لا حصر لها والتي عرضت أيضًا من خلال وسائل الإعلام مع بعض التعديلات، إن الأفكار الرئيسية التي تضمنتها قصة «الليالي العربية» أيضًا ظهرت في أدب الأطفال من خلال قصة خمسة أطفال وهي «Five Children and It» للكاتب إي نسبيت 1902، كما ظهرت مؤخرًا في حكايات للكاتبة جيرالدين ماك كوفرين (1982) وقصة روبرت ليزون (أختي شهرزاد 2001) وكذلك في قصص ثيريزابريسلين (2004)، وقصة كارلو كولودي «بينوشيو» المترجمة من الإيطالية عام 1891 وقصة الكاتب يوحنا سبايري (هايدي) والمترجمة من الثقافة السويسرية الألمانية عام 1880 والتي ما لبثت أن أصبحت من كلاسيكيات أدب

الأطفال، وخلال نفس الفترة انتشرت بين الأطفال قصتا ألكسندر دوماس «جنود مسكيت الثلاثة المسلحون ـ The Three Musketeers» (1846)، و (مقاطعة مونت كريستو) (1846)، إلى جانب القصص الخيالية الأولى للكاتب جولزفيرن، وقد ترجمت جميعها إلى الفرنسية، وفي أوائل القرن الماضي أذهلت قصة (إميل والمفتشون) «Emil and the Detectives (2001)» والتي طبعت لأول مرة عام 1931 عالم أدب الأطفال البريطاني المتحفظ برواية حضرية حديثة عن مجموعة من المفتشين الأطفال والتي مهدت الطريق لكتابة مغامرات الأطفال والبوليس السري من جانب المؤلفين البريطانيين إينيد بلايتون ومالكولم سافي، كما أثرت على الكُتّاب الفرنسيين مثل بول بيرنا في قصته المترجمة (مائة مليون فرنك) (1957) والتي اجتذبت الكبار والصغار خلال الخمسينيات والستينيات، ومن القصص الشهيرة التي ظهرت خلال القرن العشرين قصة (Moomins) والتي تتسم بالفكاهة والغرابة، وقد كتبها الكاتب الفنلندي توف جانسون (2001) هذا إلى جانب أعمال الكاتبة السويدية أستريد ليندجرين والتي تتناول كلا من المواقف الممتعة والصعبة التي يمر بها الأطفال في حياتهم وذلك في أعمالهم التي تضم مزيجًا من حكايات الجن والخيال، وكذلك القصص الفكاهية المسلية للكاتب آلف برويسين (2000) والكاتبة بيبربوث من النرويج، ومنذ أن بدأ منح جائزة (مارش) لأدب الأطفال في مجال الترجمة 1996 فهي تعكس مزيجًا من الخيال والواقع الاجتماعي اللذين اتسمت بهما ترجمات الأطفال في أواخر القرن العشرين.

ما هي سمات الترجمة الجيدة؟

نجحت كل هذه الكتب المترجمة في الصمود على مر الزمن، وهذا يرجع إلى وجود عنصر التشويق بها أو انفرادها بعوالم الخيال التي تحفل بها، ولكن ما الذي يمكن أن يقدمه الكتاب المترجم للأطفال على وجه الخصوص؟ **أولًا**: هناك فرصة للاطلاع على أماكن جديدة وثقافات مختلفة، وعندما مُنحت جائزة (مارش) للمرة الأولى لترجمة أدب الأطفال عام 1997 أكدت بينيلوب لايفلي أنها دائمًا ما تتحول إلى الخيال إذا ما أرادت أن تعرف ثقافة بلدٍ ما؟ بينما ـ يتحدث كاتب الأطفال ميشيل موربورجو ـ والذي حصل على الجائزة عام 1999 ـ عن الضرورة السياسية للاطلاع على الأدب العالمي: «ترى ماذا يمكننا أن نفعل في هذا العالم

الذي يتقلص شيئًا فشيئًا والذي يتزايد اعتماد بعضه على بعض، علينا أن نستمر في التعلم وأن تظل قلوبنا مفتوحة، وأن تظل قدرتنا على التعاطف حية حتى يمكن أن يزيد التفاهم بين البشر والتقارب بين الثقافات». (1999: 61). ويعبر فيليب بولمان عن وجهة نظر الطفل بشأن مواجهة عوالم جديدة من خلال الأدب وذلك في كلمته التي ألقاها عند حصوله على الجائزة عام 2001 متذكرًا ما قرأه من كتب (مومن) «Moomin» وقصة (إميل والمفتشون)، لقد أصبحت الشخصيات الخيالية بهذه القصص كأنهم أصدقاء له، إذ يقول «شعرت في بيوتهم ومدنهم براحة كبيرة، وأصبحت أعرف ودياتهم وغاباتهم وشواطئهم، لقد كنت أوروبيًّا قبل أن أكتشف هل أنا إنجليزي أو بريطاني (2001: 6). هذه هي الإمكانات التي يمكن أن تقدمها كتب الأطفال والتي تتيح لهم التعرف على طرق جديدة في التفكير والتخيل سواء ظهر ذلك في خلفيات القصص الفنلندية أو القصص الألمانية (برلين) التي اتسمت بالحركة والديناميكية خلال العشرينات من القرن الماضي.

ثانيًا: أن الترجمات تعرفنا على ما هو غير مألوف لنا من خلال الاستخدام الفني للغة من جانب كل من المؤلف والمترجم على حدٍّ سواء، نظرًا لأن الترجمة للأطفال تعد مهنة خاصة جدًّا بحيث تتطلب فهم الإيقاعات الموسيقية بالقصة وأفضل الطرق المناسبة لمخاطبة القراء من الأطفال، ولابد وأن تكون الترجمة إلى الإنجليزية جيدة دون أن يكون التعبير ضعيفًا نتيجة للالتزام الشديد بالنص الأصلي، أو لعدم اعتياد المترجم على الكتابة للأطفال، ومع ذلك فلابد من وجود بعض الدلالات اللغوية عند نقل الكتاب للغة أخرى للمرة الأولى، وربما كان التغير في أسماء الشخصيات أو الأطعمة أو الأماكن حتى يأخذ الأطفال في اعتبارهم أنهم يقرأون نصًّا مترجمًا مستمتعين بنكهة النص الأصلي المنعكسة عليه.

إن إدخال تعديلات ثقافية على النص يحد من خبرة القراءة لكتاب ما صدر في دولة أخرى، كما أن تلك التعديلات لا داعي لها، وكما يقول الكاتب ديفيد ألموند الحائز على جائزة مارش عام 2003: «من بين الأشياء التي تعجبني في الكتابة للأطفال أنهم لا يعرفون تصنيف الكتب بعد، فهم لا يعرفون أنه من المفترض أن يقرأوا كتابًا (أجنبيًّا) .. كتابًا ربما يكون صعبًا (2003: 12). وكما يعلم كُتاب الأبيات الشعرية التافهة أو الكاتبة بياتريكس بوتر باستخدامها لكلمات غريبة على الأطفال كـ«الأحذية المطاطية» و «المنومات» فإن الأسماء الغريبة والأصوات غير

المعتادة والمزج بين الحروف بصورة غير تقليدية.. كل هذا يثير الأطفال بدلًا من أن يعيشوا في جزر منعزلة.

والترجمة أيضًا تساعد على إدخال أساليب مختلفة في الكتابة للأطفال فعلى سبيل المثال نجد في القصص الخيالية الأوروبية المعاصرة التي تخاطب الأطفال الأكبر سنًّا أن هناك درجة من التجربة فيما يتعلق بأسلوب الرواية الذي لا يمكن مقارنته سوى بأعمال إيرن تشامبرز أو جاني هوكر، وفي قصة «The Book of Every thing» للكاتب جاحي كويجر والذي تُرجم بنجاح مذهل من اللغة الهولندية وطبع عام 2006 نجد أن البطل يروي قصته في شكل نثر موجز يبعث على عدم الارتياح بافتتاحية تدفع بالقصة كلها نحو طرح بعض التساؤلات في جو من الفكاهة والمرح، إن بعض الكُتاب الأوربيين لا يستحيون من مواجهة القراء الذين يمثلون ـ بعقلياتهم المتفتحة ـ تحديًا لهم حيث تتسم كتاباتهم ببعض الاتجاهات الفلسفية والتي لانجدها في أدب الأطفال المكتوب بالإنجليزية، وليس من قبيل المصادفة أن نجد أن البحث القصصي الذي أجراه الكاتب النرويجي جوستين جاردر عن تاريخ الفلسفة بعنوان (عالم صوفي) (1995) والذي سجل أعلى نسبة مبيعات قد كُتب وبيع خصيصًا للأطفال في دول سكندنافيا (النرويج والدنمارك والسويد) وألمانيا إلا أنه عندما تُرجم إلى الإنجليزية وجهه الناشرون البريطانيون للكبار، وفي قصة «أين كنت ياروبرت؟» للكاتب هانز ماجناحي إنزينسبرجر (2001) نجد أن البطل يناقش أمورًا تتعلق بالرياضيات والفلك ونشأة الكون مع التفكير في الأحداث الماضية في سيناريوهات من غير المحتمل أن نجده بكتب الأطفال الإنجليزية.

وعلاوةً على ذلك فهناك بعض النصوص المرئية المختلفة الأنواع تقدم للقارئ البريطاني أيضًا أساليب فنية جديدة وترجمات مختلفة الأشكال والأنواع حيث يجب الحفاظ على التوازن بين النص والصورة وفقًا لرأي أنثيابيل في هذا الصدد، إن ترجمتها وكذلك ترجمة زميلها ديريك هوكريج للكتب Asterix، وترجمات ليسلي لونسدال كوبر لسلسلة «تن تن» حازت كلها على إعجاب الكثير من صغار القراء بالقصص الكوميدية المصورة على مدى حياتهم، وهو الشكل الذي بدأ يرسي دعائمه حاليًّا بفضل الكُتَّاب اليابانيين، وقد كتبت مارجين ساترابي قصتين مصورتين لسيرتها الذاتية أولها «قصة طفولة» (2003) وثانيها «قصة العودة» (2004)، وقد

ترجمت كلتا القصتين من الفرنسية وهي تصف طفولتها في إيران خلال عهد الثورة الإسلامية والحرب ضد العراق، والقصتان تقدمان للقراء من الصغار والكبار رؤى جديدة في حياة طفلة صغيرة تعيش في تلك الفترات المضطربة، وبالنسبة للكتب الحديثة المصورة فقد كانت «قصة بابار» التي كتبتها الكاتبة والرسامة الفرنسية جين بووف، في ظل الاتجاهات المعاصرة للرسوم في أوروبا خلال الثلاثينيات ـ مصدر إلهام للكاتبة كاثلين هيل في استخدام نفس التصميم الكبير لرسومها فيما ألفته من كتب عن (قصة مارمالاد) وفي نفس الوقت انتشرت كتب الفنان الهولندي ديك برونا التي استخدم فيها بجرأة الألوان الداكنة والخلفيات السوداء، وقد كانت هذه الكتب تمثل أسلوبًا جديدًا ومميزًا خلال منتصف القرن العشرين، وفيما يتعلق بالمضمون أيضًا فقد تخطت الكتب الأوروبية المصورة آفاقًا جديدة حيث ترجمت القصة الشهيرة : «The Story of the Little Mole who Knew it was None of His Business (1994)» للكاتبين ويرنر هولزوورث وودلف إيرل براش من اللغة الألمانية حاملة معها لمسات من ثقافة أوروبا الشمالية التي تتسم بالتعامل المباشر مع الوظائف الجسدية، تلك اللمسات دخلت عالم الكتب المصورة خلال فترة التسعينيات.

وأخيرًا فالأطفال يمكن أن يقرأوا عن الأحداث التاريخية أو التطورات الاجتماعية من خلال الترجمات التي تتضمن وجهات نظر مختلفة وأحيانًا غير متوقعة، إن المدرسين يدركون أن قراءة الأطفال لقصة «مذكرات فتاة صغيرة» (1997) للكاتبة آن فرانك، وقصة « فريدريتش » للكاتب هانزبيتر ريتشر (1987)، والقصة الشبيهة التي تحكي قصة حياة صبي ألماني وصديقه اليهودي خلال الحرب العالمية الثانية .. مثل هذه القصص تُعرِّف الأطفال بالجوانب الأخرى المحيطة بها، ولقد ظلت الحرب من أكثر الموضوعات شهرة وانتشارًا في الأعمال المترجمة إلى الإنجليزية، ولذلك فهناك الكثير من عناوين الكتب التي يمكن الاختيار من بينها قصة «الخائن ـ Traitor» للكاتب الألماني جودرن بوسوانج (2004) وهي تحكي عن فتاة ألمانية تقوم بتخبئة أحد الجنود الروس الهاربين، والقصة المجازية (أنا ديفيد) للكاتبة آن هولم والمترجمة من اللغة الدنماركية وأعادت مطبعة إيجمونت إصدارها عام 2000، وهناك رؤى أخرى مماثلة تُنقل من ثقافة لأخرى فيما يتعلق بقضايا اجتماعية أكثر حداثة، إلا أن هذه الرؤى تعد أكثر تعقيدًا، وهناك الكاتب هيننج مانكيل والذي يتمتع بشهرة واسعة ككاتب للقصص الإجرامية الخيالية موجهة

للكبار، والذي عاش جزءًا من حياته في مسقط رأسه السويد والجزء «الآخر في موزمبيق حيث يدير هناك مسرحًا للعروض المحلية، وقد أَلَّف قصصًا عن فتاة موزمبيقية صغيرة تواجه الكثير من الأحداث التي تحطم حياتها بينما تسير بخطوات وئيدة في منطقة (لاندماين) والقصة بعنوان (أسرار في النار) (2000)، وتصاب بالإيدز في سلسلة (اللعب بالنار) (2002) والتي تعتبر تكملةً لها، هذه القصص جاءت نتيجة احتكاكه ـ على مدى سنوات طويلة ـ بهذه البلاد وتلك الثقافة، بينما نجد أن قصته الحديثة التي تتضمن سيرته الذاتية (جسر النجوم) (2005) والجزء المكمل لها بعنوان (ظلال وقت الغروب) (2007) والتي تأخذ القارئ نحو صداقات ممتعة وغريبة الأطوار لولد يبلغ من العمر ثماني سنوات ويعيش في السويد خلال فترة الخمسينات بدون والدته.

والكتاب المترجم للأطفال يجب أن تتوافر فيه على الأقل بعض الشروط التالية:

- أن يقدم قصة جيدة تُحكى بلغة إنجليزية طليقة.
- أن يقدم أنماطًا ونماذج مختلفة من الحياة.
- الاستخدام الشيق للغة الأصلية فيما يتعلق بالأسماء أو غيرها من العلامات الثقافية الأخرى.
- أن يقدم طرقًا جديدة في الكتابة للأطفال إلى جانب أساليب توضيحية جديدة.
- أن يقدم رؤى بديلة فيما يتعلق بالأحداث التاريخية أو القضايا الاجتماعية.

إتاحة الكتب المترجمة لصغار القراء

لحسن الحظ أن المعلومات التي تتضمنها كتب الأطفال أصبحت الآن متاحة أكثر من ذي قبل وذلك بفضل موسوعة «Outside In: Children's Books in Translation» والتي راجعها وأشرف على إعدادها كل من ديبوراه هولفورد وإيد زاغيني، وطبعت عام 2005 بمطابع ميليت بدعم من مجلس الفنون، وقائمة الكتب ذات المعلومات هذه والمقالات المرفقة بها مقسمة إلى أجزاء طبقًا للمراحل العمرية المختلفة بدءًا من كتب الأطفال تحت سن خمس سنوات، ثم من خمس إلى ثماني سنوات، ثم من تسع إلى إحدى عشرة سنة،

واثني عشر عامًا، وأربعة عشر عامًا، مع أقسام إضافية للقصة المصورة والنصوص غير الخيالية والنصوص المكتوبة بلغتين، وهناك أيضًا بعض الحواشي التفسيرية والموضحة بصور من أغلفة الكتب بألوانها الكاملة، وهذه الحواشي تقدم موجزًا وإشارة إلى سمات كل كتاب وجمهوره المستهدف، وعلاوة على ذلك فهذا الدليل يتضمن سيرًا ذاتية للمشاركين فيه والمؤلفين والرسامين والمترجمين، كما يشمل قائمة بالمصادر المختلفة، ومن ثم فهذا الدليل لاغنى عنه لأي شخص يرغب في إصدار كتب مترجمة للاستعانة بها في المدارس سواء كان ذلك في المكتبة أو داخل الفصول.

ومن المهم النظر إلى الكتب المترجمة بالأجزاء التي تستعرض تلك الكتب بالملحق التعليمي لجريدة التايمز أو الصحافة القومية ومكتبات المدارس، إلى جانب طباعة النشرات الدورية للكتب المترجمة، وكذلك النسخ التي يعاد طبعها من النصوص الكاملة لكلمات التقديم لجائزة مارش لكتب الأطفال والتي تمنح كل عامين وموجزًا لها، إن إلقاء نظرة على المواقع الإليكترونية أو أدلة الناشرين المتخصصين في كتب الأطفال ممن يقومون بصفة منتظمة بطبع كتب مترجمة لهو أمر هام للحصول على معلومات بشأن المطبوعات الحديثة.

وتقوم مؤسسة (نورث ـ ساوث بوكس) بإصدار سلسلة ثابتة من الطبعات ذات الرسوم التوضيحية والأغلفة السميكة، وهذه السلسلة تتضمن قصصًا مترجمة تناسب الأطفال من سبع إلى ثماني سنوات، بينما تقوم مؤسسة (أندرسون بريس) و(ووكر بوكس) و(بلومسبري) و(إيجمونت) و(The chicken House) و (هورد) و(دولفين) (كتب أوريون للأطفال) و (ماك ميلان) و(هاربر كولينز) و(بوفين) و(فرنسيس لينكولن) كل هذه المؤسسات قامت بطبع عدد من الكتب المترجمة أو توزيعها خلال السنوات الأخيرة.

وثمة نصيحة أيضًا عند إدخال الكتب المترجمة إلى حجرات الدراسة ضمن مشروع «اختلافات القراءة» التابع لإدارة المناهج والمؤهلات (QCA)، والذي يستهدف تلبية متطلبات المناهج القومية المتعلقة بالقراءة عبر الثقافات المختلفة، إن المواد التعليمية التي يشترك في نشرها كل من إدارة المناهج والمؤهلات ومركز تعليم القراءة بالتعليم الأساسي (CLPE) تشتمل على سلسلة تعليمية للأطفال في الخامسة وحتى السادسة من العمر عن حكايات الجن النرويجية «شرق الشمس وغرب القمر ـ East o' the Sun and west o' the

Moon» (داسنت وليس 2004) وكذلك «عين الذئب ـ Eye of the Wolf» للكاتب دانيال بيناك (2002) و (ألف وليلة وليلة العربية) للكاتب جيرالدين ماك كوفرين (1982) إلى جانب مجموعة من القصائد الشرق أوروبية مثل «الخراف لا تذهب إلى المدرسة ـ Sheep Don't Go to School»، والتي كتبها أندرو فيوسيك بيترز (1999). والنصيحة التي أود ذكرها هي أنه يمكن تحميل كافة المواد التعليمية من خلال موقع إدارة المناهج والمؤهلات QCA. وبالنسبة للمدرسين الذين يرغبون في تعريف الأطفال بنطاق أوسع من الكتب المصورة يتجاوز تلك الكتب التي تحفل بها السوق البريطانية فإن موقع المشروع الأوروبي للكتاب المصور (www.ncrcl.ac.uk/epbc) تتوافر به معلومات عن كيفية الحصول على مجموعات من الكتب المصورة من جميع أنحاء أوروبا مع بعض المواد التعليمية المصاحبة لها في شكل ترجمات وأسطوانات مدمجة وأسماء مدرسين وملاحظات وبيان للمجموعة المستخدمة في المدارس من تلك الكتب.

وثمة نقطة انطلاق هامة وواضحة عند إدخال الكتب المترجمة إلى المدارس ألا وهي الوقوف على ما يعرفه الطفل بالفعل عن بلد الكتاب الأصلي ولغته وثقافته، وبمجرد أن ينجذب الأطفال للقصة فإن بإمكانهم المشاركة في مجموعة مماثلة من المشروعات من خلال اكتشاف المعاني الخاصة بأسماء الشخصيات وأصولها لتأمل أمثلة للحياة الأسرية في مختلف البلدان، ومن ناحية أخرى فيمكن ـ على الأقل ـ إجراء مقارنة بين الطبعات المختلفة لنص معين أو حادثة بذاتها تتضمنها إحدى قصص الأطفال الكلاسيكية والتي أعيدت ترجمتها عدة مرات، مثل هذه المقارنة تتيح فرصة التعامل مع مقتطفات من النصوص وتجعل لها غرضًا حقيقيًّا بما يتماشى مع البندين السابع والثامن من الإستراتيجية القومية للتعليم الأساسي. إن قراءة (الإيبيزود) وهي دراما إغريقية قديمة ومخيفة عندما ترجمها للمرة الأولى إدجار تايلور عن قصة (سندريلا) للإخوة (جريم) (طبعة بوفين الحالية) تعد صدمة كبيرة بالنسبة للقراء الذين اعتادوا على الترجمات النقدية، وعندما تقارن بطبعة أو طبعتين أخريين لنفس النص فإنها تثير عدة أسئلة بشأن كيفية تغير القصص وتطورها سواء من خلال الترجمة أو إعادة الرواية بنفس اللغة.

ويضع الكاتب إيدن تشامبرز مقترحات أخرى بشأن النهوض بالكتب المترجمة وذلك

في كلمته التي ألقاها عند حصوله على جائزة مارش لأدب الأطفال حيث قال: «يجب على المعلمين وأمناء المكتبات العامة والمكتبات المدرسية أن يتشجعوا على عرض الكتب المترجمة وأن يتعرفوا على لغة الأصل أو الموضوعات المرتبطة ببعضها البعض وكذلك المؤلف ... إلخ، ويجب دعوة المترجمين للتحدث إلى التلاميذ أكثر من ذي قبل، ويمكن الاتصال بين اثنتى عشر مترجمًا من خلال ناشر الكتاب، على أن يكون كثير منهم على استعداد للتحدث إلى الأطفال عن مهنتهم أو قراءة بعض المقتطفات من أعمالهم المترجمة، فلقد قامت سارة آدمس مثلا - والتي ترجمت قصة (عين الذئب) للكاتب بيناك (2002) بالتحدث إلى الطلبة بالمدارس الثانوية عن حواراتها مع الصغار في (بريكستون) في محاولة لإيجاد بديل للغة الشارع المستخدمة في مشروعات الإسكان الجارى تنفيذها مثلًا بالمناطق الحضرية بفرنسا بغرض إعداد سلسلة جوليم التي ترجمتها من الفرنسية (انظر مقالتها في (Outside In). وكثير من الأطفال الذين يتحدثون لغتين والذين يدرسون بالمدارس البريطانية يفهمون العملية التي يصفها المترجمون بنقل المعنى من لغة لأخرى ومحاولة مضاهاة الكلمات والمفاهيم بين اللغتين بينما يتعلم الأطفال ذوي اللغة الواحدة دروسًا قيمة عن كيفية توصيل اللغة للمفاهيم المختلفة.

مراجع أخرى

عشرة كتب لابد من قراءتها:

In compiling a list of currently available books that are great reads and reflect the variety translations can offer, I have not included Perrault's tales ('Cinderella', 'Little Red Riding Hood', 'Puss in Boots' and 'Sleeping Beauty') or editions of Grimms' tales because they are already recognized as essential reading for children, and because there are so many anthologies and editions of individual tales on the market. It is, however, important to have a collected edition of Grimms' tales by a reputable translator. Edgar Taylor's 1823 translation, still published by Puffin, is a lively, close rendering of the original German, although Ralph Manheim, Jack Zipes and Maria Tatar have all issued new translations in the last 30 years. Picturebook editions of single tales should be chosen with care, both for the quality of the illustrations and because some retellings are heavily abridged.

Starting with books for younger children, Alf Prøysen's Mrs. Pepperpot stories are a delight to read aloud in Marianne Helweg's translation, both for their humour and humanity, and for the representation of life in rural Scandinavia in the mid-twentieth century. Mrs. Pepperpot (Mrs. Teaspoon in Norwegian) has the habit of shrinking at the most inopportune moments, much to the irritation of her husband and amusement of

young readers or listeners. There's a forest setting with spruce, pine and larch, as well as a midsummer bonfire to celebrate 24 hours of daylight. Prøysen's linguistic humour enlivens every tale: the toddler who finds a 'talkin' tato' after Mrs. Pepperpot falls into a pail of potatoes is a memorable moment. Astrid Lindgren's *Pippi Longstocking* (2002), a twentieth-century classic, has the same joyful and creative treatment of language, with Pippi inventing or mispronouncing words at the drop of a hat, from 'turnupstuffer' as a name for someone who always finds things, to 'pluttification' for multiplication. The anarchic Pippi, who upset many Scandinavian educators when she first appeared on the scene in 1945, spends half a day at school but finds it sorely wanting. She debunks both phonics and mathematics lessons before returning to her daredevil ways, enjoyed vicariously by the conformist children living next door. A second twentieth-century landmark, Erich Kästner's *Emil and the Detectives* (2001), still engages children because, like Lindgren, Kästner understood young readers' underlying anxieties and could integrate them into an entertaining and well-paced adventure where children gain autonomy and outwit adults at every turn.

Two recently reissued picturebooks by Tove Jansson, *The Book about Moomin, Mymble and Little My* (2001) and *Who Will Comfort Toffle?* (2003) draw younger children into her quirky neck of the Scandinavian woods as expressed through handwritten text, striking graphic techniques and unusual colour combinations. Jansson, a great artist and writer, transforms the landscape of the Gulf of Finland into an imagined world that, once encountered, is never forgotten. Children of all ages should also get to know the stories of another great Nordic writer, Hans Christian Andersen, particularly 'The Emperor's New Clothes', 'The Snow Queen', 'The Little Match Girl' and 'The Steadfast Tin Soldier'. Several handsome new editions and translations were published on the occasion of the bicentenary of Andersen's birth in 2005, so now is the time to acquire one. Without a knowledge of these stories or Perrault's and Grimms' tales many an intertextual reference will be lost to young readers.

For older children, two books set in the era of the Second World War remain essential reading, the already mentioned *Friedrich* (Richter, 1987) and Roberto Innocenti's picturebook *Rose Blanche* (1985). Rose is a young German girl who discovers a concentration camp on the edge of her town towards the end of the war. Innocenti's stark photo-realism provokes questions, reflection and an emotional response that requires careful handling and guidance on the part of the teacher, but promotes an understanding of the human toll of that terrible era. With the exception of novels set in the war and Henning Mankell's autobiographical novels, fantasy – often in the form of quartets or trilogies – is the dominant mode in recent translations, probably in the wake of the Harry Potter effect. Two books that stand out from the rest in the integration of magical or supernatural elements into a realistic setting are Daniel Pennac's *Eye of the Wolf* (2002) and Cornelia Funke's *Inkheart* (2003), translated from French and German respectively. Pennac's tale of telepathic communication between an African child and an Alaskan wolf, both of them driven from their homes, is told with delicacy and simplicity. *Inkheart* is reminiscent of Michael Ende's *The Neverending Story* in that the boundary between real and imaginary worlds is that of the book. Meggie reads voraciously, but her bookbinder father is cautious about reading aloud because he has the ability to bring fictional characters to life. This is, of course, exactly what happens, giving rise to a sequence of frightening and challenging adventures as Meggie searches for her lost mother.

Two novels to challenge experienced readers of 11 and over are Bjarne Reuter's *The Ring of the Slave Prince* (2004) and Enzensberger's *Where Were You Robert?* (2001). Reuter is Danish, but his is not a book that displays Scandinavian culture; it is, rather, a rollicking tale of Caribbean piracy in the seventeenth century that will delight fans of the recent films on this theme. Spirited, half-Irish Tom O'Connor embarks on a series of wild adventures in a novel of high adventure that verges on parody at times, but also conveys a strong anti-slavery message. Enzensberger, an intellectual colossus in his native Germany, has written a time-slip novel that compels its readers to think about ideological, artistic and ethical issues in a cleverly constructed series of historical scenarios as Robert travels back through European history. This is a book from which British readers can learn a great deal about the intellectual and artistic history of their European neighbours.

While it is marvellous for English-speaking children to have access to the work of a wealth of authors from a variety of cultural backgrounds who write in English, the increasing domination of the global market by English-language children's books leads to a paucity of books that require publishers to undertake the effort and expense of commissioning a translation. It is therefore all the more important that teachers and children should be on the lookout for translated books that add a different dimension to their discussions of literature. Without translations, how are British children to gain access to new, different voices and pioneering children's writers who don't happen to write in English?

الفصل الثامن مزيد من المعلومات: اجتذاب القلوب والعقول للقصص غير الخيالية

نيكي جامبل

يتناول هذا الفصل ما يلي:

- الكتب غير الخيالية التي يمكن أن يكون لها أثر بالغ على صغار القراء.
- التأكيد على أن القراءة من أجل المتعة يعد جزءًا من الخطة.
- أوجه التطوير في إنتاج وتصميم كتب الأطفال غير الخيالية.



«والآن كل ما أريده هو الحقائق .. أن نعلم هؤلاء الأولاد والبنات الحقيقة فقط دون غيرها، إن الحياة لا تحتاج سوى الحقائق، لا تزرع سوى الحقيقة واستبعد كل ما سواها، إن كل ما تستطيعه هو أن تشكل العقول وتوجهها نحو الحقائق فليس ثمة شيء آخر يمكن أن يكون ذا جدوى بالنسبة لهم»
(تشارلز ديكنز 2007 ـ أوقات عصيبة **Hard Times**).

قبل أن تقرأ هذا الفصل قد يكون من المفيد الرجوع إلى هذه الأسئلة والتي ستتناولها خلال المناقشة التالية، ويمكنك أن تناقش أفكارك مع أحد زملائك:

- قم بتحديد كتاب غير خيالي كان له أثر كبير عليك سواء في طفولتك أو ما بعدها، ما هو الشيء الذي تضمنه الكتاب وتأثرت به كثيرًا؟
- هل هناك أية اختلافات في أسلوب كتابة الكتب غير الخيالية الموجهة للكبار والأطفال على حدٍّ سواء، وكذلك في طرق إنتاجها ودعمها وقراءتها؟

- كيف لاحظت إدخال الكتب غير الخيالية للأطفال داخل المدارس؟

أولًا: التعريف: ما هو الأدب غير الخيالي؟ حسنًا إن هذه العبارة تعني كل شيء لا ينتمي إلى الخيال بصلة. وربما أدهشك تصنيف الكتب وفقًا لما لا تحتويه، وهذه المعلومة تحتاج إلى أن نأخذها في الاعتبار. وقد اقتُرح مؤخرًا مصطلح «كتب المعرفة» كلفظ بديل بحيث يتفادى الصفة المنفية (الكتب غير الخيالية) وهي الصفة التي تفرض علينا أن نُعرِّف تلك الكتب بناءً على علاقتها بالخيال، وفي الواقع فإن مقارنة الكتب الخيالية بغيرها والتفكير في كيفية ربطها ببعضها البعض تكشف عن الفارق بينهما.

إن البحث عن تعريف لها يثير بعض الأمور الشيقة، على سبيل المثال يوضح أحد المصادر على الإنترنت أن الخيال شيء غير حقيقي بينما العمل غير الخيالي هو العمل الواقعي، أو هو ذلك الذي يتعلق بالحقيقة، هل هذا ببساطة هو الفارق بينهما، إنك لست بحاجة إلى أن تتعمق في عدد النصوص المصنفة باعتبارها إما خيالية أو غير خيالية حتى تعثر على أي عيب أو خلل بهذه التعريفات المبسطة للغاية، إنها محاولة لتعريف الكتب غير الخيالية بصورة غير محددة وعدم الاقتصار على توضيح معنى هذه الكتب بالفعل فيما يتعلق بشخصيات الأعمال غير الخيالية التي يثار حولها الجدل، ومع ذلك فإننا قد نفضل التعريف العملي بأن الأعمال غير الخيالية تعد وصفًا لموضوعات تُقدم باعتبارها حقائق.

إن الأعمال غير الخيالية تشتمل على كافة النصوص باستثناء الخيال والشعر، ومن غير المستغرب أن نجد أن نطاق التعريف متسع من حيث الشكل والمضمون، وهو يشمل السيرة الذاتية للكاتب أو للآخرين والمذكرات والمقالات والرحلات وكتب الطهي والقواميس والموسوعات والصور والرسوم البيانية والتقارير العلمية وسائر أنواع النصوص الأخرى بما في ذلك النصوص المدرسية التي تشتمل على معلومات، إنني لا أنوي وضع تصنيف مبتذل أو مناقشة أمثلة عن كل نوع.

إن اهتمامي يتركز على الكتب غير الخيالية التي تستهدف القراءة الممتعة وليس البحث والدراسة على الرغم من إمكانية تحقيق كلا الغرضين في نفس الوقت.

انظر مارجريت ماليت (1999) للحصول على بيان ممتاز لصغار الباحثين.

ولقد اتجه الاهتمام مؤخرًا إلى «الأنماط الأدبية المهجنة» والتي تشتمل على أكثر من نموذج لنص معلوماتي، وهذا الاعتراف بأن النصوص غير الخيالية تنطوي على بعض التعقيدات هو اعتراف هام، على الرغم من أن لفظ (المهجنة) ليس هو اللفظ المفضل لديَّ نظرًا لأنه ينم عن مزيج من الأنماط النصية التي تنتمي لأصول مختلفة، فعلى حين نجد كتبًا كأعمال دوجالد ستير التي تعبر عن الأساطير بصورة خيالية (2007) وكذلك الآثار المصرية القديمة (2004) التي تحتوي عمدًا على مجموعة من القصص غير الخيالية نجد أعمالًا أخرى تشتمل على عدد كبير من المحادثات أو المقالات، وهذا يرجع ببساطة إلى أن ما تمثله الكتب غير الخيالية أكثر تعقيدًا مما يمثله التصنيف المبسط.

إن قصة «الحقيقة غير المواتية» للكاتب ألجور (2007) (طبعة الأطفال) تتضمن مجموعة من المعلومات وشرحها في شكل تقارير من خلال الوصف، وفي نفس الوقت فإن هذه المعلومات لها هدف إيجابي. ومع التحقق ـ بشكل مطول ـ من مكونات أنماط تلك المحادثات أو المقالات (الإقناع، الأسلوب التقريرى ... إلخ) فإن هذا عادة ما يساعد الصغار على اكتساب المزيد من الخبرة في التعرف على تلك الأساليب واستخدامها، وهذا يختلف عن قراءة الكتب غير الخيالية على الرغم من أن البعض قد يخلط بين النوعين من الكتب.

إن المنهاج الدراسي الذي يخضع لأهداف تتطلب من الأطفال إجادة القراءة والكتابة بناء على «الأنماط الستة للمعلومات» (كالمقالة والمسرحية والمحادثة والتقرير وغيرها) هذا المنهاج يؤدي إلى تحول النصوص التعليمية المكتوبة إلى صيغة معينة ينبغي العمل على اتساقها حتى يمكن التحقق من السمات التنظيمية وتلك الخاصة بقواعد اللغة.

وعلى الرغم من أن هذه الكتب قد تنطوي على بعض المزايا، كما يمكن كتابتها وإجراء أبحاث بشأنها فإن هدفها يتمثل في تحقيق الغرض المنشود من المنهج ذاته، ومن ناحية أخرى فإن الأعمال الأدبية أو الأعمال الإبداعية غير الخيالية تنبع من رغبة الكاتب في (اختبار) العالم ـ حتى يتسنى له أن يفهمه بشكل أفضل.

إن الأعمال الإبداعية غير الخيالية المكتوبة جيدًا تتضمن معلومات دقيقة يمكن إعادة بحثها والتحقق منها جيدًا، ولكن يجب استخدام عدة نصوص لعرض تلك المقتطفات من المعلومات.

إن القصص الإبداعية غير الخيالية تجتذب القارئ باستخدام عناصر مألوفة أي مشابهة لتلك التي تعرضها النصوص الخيالية والتي تضم أيضًا المسرحيات والروايات والحوارات وتطور الشخصيات والوصف وربما الشعر الخيالي أيضًا، وعندما تحدثنا في أحد المؤتمرات عن القصص غير الخيالية عام 2005 قام الكاتب فيليب أرداغ ـ أحد المؤيدين للقصص الإبداعية غير الخيالية ـ بعرض تلك الخصائص التي أوجزها في ثلاث نقاط: الشخصيات، والسياق والخاتمة.

وعلى النقيض من الكتب الخيالية الجيدة فإن الأعمال غير الخيالية تكشف سريعًا عن عصرها، كما أن معظمها ينتمي لفترات انتقالية، إن الأعمال غير الخيالية التي تتجاوز عصرها الحقيقي قد يُنظر إليها باعتبارها عملًا استثنائيًّا رائعًا، أو أنها تجسد الأفكار بشكل ممتاز إلى جانب المواقف والسلوكيات الخاصة بالعصر الذي أُنتجت فيه، ومن بين الأمثلة الحديثة على ذلك هو إعادة إصدار «صورة من تاريخ بريطانيا» للكاتب كلارك هاتون (2007)، وقد طبع للمرة الأولى عام 1945 وهو يتضمن تاريخ بريطانيا منذ البداية وحتى نهاية الحرب العالمية الثانية، وقد لاقى الكتاب إعجابًا كبيرًا لجودة وجمال الرسوم التوضيحية التي تحفل بها الصفحات. وهو يعد ذخيرة للكبار يتوقون به إلى الماضي ويسترجعون به أيام طفولتهم، وكما تقول نيكوليت جونز في بحثها لجريدة «صنداي تايمز»: أن «النص يحمي الأطفال من الشخصيات المرعبة بتسمية نيل جوين تشارلز الثاني «صديق حميم» عن طريق إغفال ذكر مدام سيمبسون عند مناقشة تنازل إدوارد الثامن عن العرش، وكذلك الحديث عن «مشاعر الكراهية الخاصة» التي يكنها نازيس لليهود دون أية إشارة لمعسكرات الموت» (3 يونيو 2007)، إن وجود جماهير مستمعة من الأطفال وعلاقة الكاتب بقرائه يعدان من أهم العلاقات المميزة للتغيرات الجذرية التي طرأت على الأعمال غير الخيالية منذ أن طبع كتاب (هاتون) خلال الأربعينيات.

الأسلوب في الأعمال غير الخيالية

وحتى يتجه اهتمامنا لأحد تلك الأسئلة الافتتاحية هل بمقدورك أن تحدد كتابًا غير خيالي تكون قد تأثرت به في طفولتك أو بعد بلوغك؟ عندما سألت طلابي هذا السؤال تركزت معظم الإجابات الحالية على قصة «A Short History of Nearly Everything» للكاتب بيل برايسون (والتي طبعت فيما بعد طبعة موجهة للأطفال في نهاية 2008، «Young Stalin» للكاتب سيمون

سيباج مونت فيور وقصة «الحقيقة غير المواتية ـ The Inconvenient Truth (2007)» المتاحة كطبعة للأطفال، وبعد أن ناقشنا الأسباب التي جعلت هذه العناوين بالذات تحظى بالإعجاب أكثر من غيرها توصلنا إلى أن ما يربط بينها هو أسلوب الكاتب، ويصف الطلاب ذلك بأنهم يشعرون كما لو أن الكاتب يتحدث إليهم مباشرة، والأطفال أيضًا يستجيبون للأسلوب بالنصوص غير الخيالية إلا أنه غالبًا ما يُتغاضى عن أهمية ذلك فيما يتعلق بمعايير الاختيار والتي عادةً ما تقدم بعض الإشادات عن الدقة وكيفية بناء الجُمل وكذلك الأساليب اللغوية مع حذف التعليق على الأسلوب الأدبي، إن الكتب غير الخيالية التي تهدف إلى نقل المعرفة ولكنها تغفل عن أهمية أسلوب المؤلف فإنها تفتقر إلى السياق الذي يدعم الأطفال الصغار ويساعدهم على اقتحام هذه العوالم التي تكمن وراء خبراتهم المباشرة. (أرنولد – 1992، ميك – 1996).

تخيل أن بين يديك سيرة ذاتية لموزارت، فما هو موضوع الفصل الأول، وما هي المعلومات التي تتضمنها الفقرة الأولى؟ وماذا تتوقع أن تكون الجملة الأولى؟ إن معظم السير الذاتية المكتوبة للأطفال تعرض موضوعاتها وفقًا للترتيب الزمني لها، لذلك فمن المحتمل أن يتناول الفصل الأول الظروف المحيطة بميلاد الشخصية، وتكون الجملة الافتتاحية عادةً كالتالي: وولف جانج أما دوس موزارت قام بتعميده جونز كريستوماسي وولف جانجس ثيوفيلاس موزارت، وقد ولد موزارت في ساليزبرج في 27 يونيو 1756، قارن هذه المقدمة وافتتاحية قصة «وولف جانج أمادوس موزارت: الصبى الذي كان يؤلف الموسيقى» للكاتبة جيل هورنبي: «في صباح يوم من أيام الشتاء الهادئة الصافية حدث زلزال مروع محدثًا فجوة هائلة بمدينة ليسبون، وبينما كان الناس يهرعون للنجاة بحياتهم حدث فيضان كبير على الساحل بحيث غطاهم جميعًا وقتل مائة ألف شخص بينما اختفى الكثيرون وتلاشت معظم معالم المدينة التي دُمرت بالكامل، ومع بزوغ فجر العالم الجديد 1756 كانت معظم دول أوروبا تعيش حالة من الصدمة .. لقد كان هناك إحساس بالتغير، وشعور بالخطر يلوح في الأفق» (7: 2006).

في تلك الفترة التي شهدت فيها المعرفة تقلبًا واضطرابًا ولد موزارت .. الموسيقار الذي أخذ بالموسيقى نحو عصر التنوير، إن المقدمة الرائعة التي كتبها هورنبي تعكس عدة أشياء في مقدمتها أنها تدرك جيدًا أن عليها أن تجتذب قراءها منذ بداية القصة. إلا أن إستراتيجيها لا تنصب على مجرد جذب انتباه القراء، نظرًا لأن تحليلها للدور الهام الذي لعبه موزارت في التاريخ

يرتبط بروح العصر (الطابع العقلي والأخلاقي والثقافي) بحيث يتحدد مجرى الأحداث ـ إلى حدٍّ ما ـ بناءً على الصدفة بحيث تتم في المكان الملائم والزمان المناسب.

وعادةً ما تربط بين السيرة الذاتية وقصة حياة شخص ما، إلا أن الاتجاه الحديث في القصص غير الخيالية الموجهة للكبار ينصب على السيرة الخاصة ببعض الأشياء أو الأماكن مثال ذلك كتاب «لندن .. السيرة الذاتية» للكاتب بيتر أكرويد (2001)، كما روت فيفيان فرينش قصة الشيكولاتة في كتابها الجميل «الشيكولاتة .. الحلوى التي قهرت العالم» (2007). ولقد حظي هذا الكتاب باهتمام بالغ. إن جودة أسلوبه هي التي جعلته جديرًا بالذكر هنا، لقد كان الكتاب تتويجًا للبحث في مراجع كثيرة، ولكن ما يبعث على السرور بصفة خاصة هي الطريقة التي عرضت بها فرينش عملية الاكتشاف هذه، فقد استشهدت بمقتطفات من المصادر الرئيسية، وشرحت بعض الاكتشافات الأثرية، وأوضحت كيف أن الأدلة الدافعة تمهد الطريق للتأمل والتفكير.. كل ذلك دون التضحية بالوضوح والإيقاع السريع بحيث ينتج عن ذلك نص لا يقدم معلومات للقارئ الصغير فحسب ولكن يدفعه أيضًا إلى العالم المثير .. عالم الأبحاث التاريخية ذاته.

والأسلوب المستخدم حاليًا ـ في معظم الحالات ـ بقصص الأطفال غير الخيالية هو رواية الأحداث على لسان الكاتب في الزمن المضارع ربما على شكل مذكرات يسترشد القارئ فيها بفترة تاريخية معينة أو مكان جغرافي بذاته، وهذا المنهاج يعد أحد الملامح التي تتسم بها كتب الأطفال غير الخيالية بدون وجود خاصية نظيرة في الكتابة للكبار، وقد استخدم الكاتب أديل جيراس هذه الوسيلة في قصته (كليوباترا) (2007). فقد كانت الراوية هي نيفريت والتي تحكي عن أحداث تقع بين عامى 41 و40 قبل الميلاد، ويرجع تاريخها إلى عدة أعوام ماضية. وبالطبع فهذه التواريخ القديمة لم تكن معروفة لدى نيفريت وكما يقول المؤلف: «شأنها شأن معظم أفراد الشعب المصري لم تكن نيفريت تستخدم تقويمًا أو تسمي الشهور بأسماء معينة، لذلك تحتوي المذكرات على عناوين مثل «قبل غروب شمس الشهر الثالث» أو «قبل اكتمال القمر بخمسة أيام»، إن الكتابة عن التاريخ على لسان الراوي في الزمن المضارع تنطوي على بعض التحديات، ولذا فعندما يقتضي الأمر تتحول رواية نيفريت إلى الزمن الماضي لإتاحة الفرصة للحديث عن الأحداث الجارية في سياق آخر. ولمزيد من الفهم يتناغم تعليق القراء الكبار مع

روايتها نفسها: «هذا هو كل ما أعرفه، إن أسرة الملكة من مقدونيا، ولكنها ولدت في مصر وأرادت لنا أن نتمتع بالسلطة التي يتمتع بها الرومان، وتقول أمي: إنها كافحت كثيرًا حتى أصبحت ملكة، وفي سبيلها لتحقيق ذلك انتصرت على كثير من الأعداء» وتنتهي المذكرات باستعداد نيفريت للزواج. ويستكمل جيراس الكتابة عن موت كليوباترا كطرف ثالث.

إن المذكرات التخيلية كوسيلة لنقل المعلومات الحقيقية ما هي إلا وسيلة تتداخل فيها الحقيقة والخيال، وفي سلسلة «اقرأ وتأمل» التي أصدرتها مؤسسة «ووكربوكس» والموجهة للأطفال من سن 4 سنوات فأكثر نجد أن النص الشعري للراوي يصاحبه رسوم توضيحية ضمن سجل النص المعلوماتي، ويحضرني هنا مثال قصة نيكولا ديفيز «دب الثلج» أو «Ice Bear (2006)» والذي استعان فيه برسوم زيتية من تصميم جاري بلايث، وتفتتح القصة بعبارة: «أيها الناس إن «إنوية» أو «نانوك» قد يكون دبًّا أبيض اللون أودب جليد أو دب بحر كما يقول الآخرون، ولكنه دب على أية حال ولكنه لا يشبه أي دب آخر! إنه الدب القطبي المخلوق لعالمنا المتجمد» (2005 n. p.). والرسوم التوضيحية التي وضعها بلايث والتي تحمل كثيرًا من الانطباعات تستحوذ على الشعور بواقع الحال، مع وجود صفحة مخصصة مطبوع عليها قدم ذلك الحيوان الجليدي بالإضافة إلى صورة لأنف الحيوان وفكيه البارزين وهما ملوثان بالدماء وهو ما يعبر عن صورة حقيقية وليست حذرة ـ عن عالم الواقع، ويُطلق بعض المعلقين على هذه الكتب اسم النصوص الانتقالية مؤكدين على الدور الهام الذي تلعبه القصة في حياة الأطفال كجسر للتواصل مع العالم من حولهم حتى يكتسبوا الثقة التي تمكنهم من فهم أنماط أدبية أخرى غير خيالية قد لا تكون مألوفة لهم، فمن الواضح أنها تدعم ثقافة الطفل، ولكن هل يمكن اعتبار تلك القصص «انتقالية» عندما نجد أن النماذج الأكثر شعبية من القصص غير الخيالية المكتوبة للكبار تستخدم أسلوب الرواية للتواصل مع القارئ؟ هذا هو الحال في مجال العلوم وكذلك الموضوعات التي عادةً ما تكون مرتبة بأساليب الرواية. والموقف الأكثر إيجابية يتمثل في اعتبارها شكلًا من أشكال تعزيز ذخيرة القارئ الصغير من المعلومات نظرًا لاشتمالها على نطاق أوسع من الأنماط الأدبية، ومن المؤكد أن كلا من الرواية والقصص غير الخيالية يعملان (كشريكين) في الكتب التي يقرأها الأطفال الأكبر سنًّا بغرض المتعة، وتعتبر قصة «مفتاح جورج السري نحو الجامعة» للكاتبين ستيفن ولويس هوكينج

(2007) بمثابة الميكانيكي بالنسبة لسيارة كتابة القصص، وقصة «Hocus Pocus» للكاتب بول كييف (2007) تستخدم أسلوب الرواية كوسيلة للكتابة عن تاريخ السحر وأشهر السحرة في القرن التاسع عشر، كما أن سلسلة «متحف المغامرات» للكاتب توماس بريزينا (2005 أ، 2005 ب، 2006) تجذب الأطفال نحو عالم تاريخ الفن من خلال رواية غامضة تنطوي على بعض الألغاز.

مخاطبة الجماهير

تحتل الجماهير مكانة هامة في أي عمل فني، ومن ثم فمن المهم أن نفهم ما يمثله الكاتب بالنسبة للقارئ على جانب تقييم مستوى المعرفة التي يقدمها، إن الكتاب الذي يستخدم للبحث عن بعض الحقائق كالموسوعات يؤدي وظيفة مختلفة عن ذلك الذي يُقرأ أساسًا لغرض المتعة. وفي عام 1975 قام بيتر يوسبورن بتأسيس مؤسسة «يوسبورن بوكس» بغرض المتعة والتسلية إذ يقول: «إن النجاح الباهر الذي حققته المؤسسة مستمد من الفكرة البسيطة القائلة بأنه من الممكن إنتاج كتب غير خيالية تحمل قدرًا من المتعة والتشويق يماثل ذلك القدر الذي تجده الجماهير على شاشة التلفاز وبالمجلات والأعمال الكوميدية وغيرها من الوسائل الإعلامية التي يفضلها الأطفال بطبيعتهم وذلك دون التضحية بالجودة، إن أي نقاش يدور حول الأعمال غير الخيالية المسلية والتي تهدف إلى إمتاع الجماهير لابد وأن تذكر فيه قصة «حكايات تاريخية مخيفة» للكاتبة تيري ديري والتي كانت تمثل ظاهرة، فقد بيع ما يقرب من عشرة ملايين نسخة بالمملكة المتحدة وحدها وتُرجمت إلى واحد وثلاثين لغة، ومما لاشك فيه أن تلك الحكايات حظيت بإعجاب الأطفال وانتشرت بينهم إلا أنها لم تحظ بقبول فئات أخرى كحراس المباني السكنية ممن يخشون تشوه التاريخ الحقيقي، على الرغم من أنه من الواضح أن هذه القصة تستهدف الأطفال في سن التاسعة الذي عاشته المؤلفة في يوم من الأيام، وهذه الحكايات التاريخية مزودة بأبحاث جيدة، كما أن أسلوب الكاتبة مميز وتوقيت المواقف الفكاهية ملائم وعلى الرغم من ذلك فلايهم أسلوب كتابة تلك الكتب، إلا أن التأكيد على الفكاهة لا يتيح سوى منظور محدود وثمة مسالك كثيرة نحو العلم والتاريخ في كتب الأطفال ممن ليسوا بحاجة دائمًا إلى أن ينجذبوا إلى الأعمال الكوميدية أو الأعمال التي تتسم بالعنف.

ما هي الحقيقة؟

إن الواقع والحقيقة من المفاهيم التي يجب أن نفكر بشأنها عند مناقشة موضوع الكتب غير الخيالية (الواقعية). وقد يكون هناك ميل للاعتقاد بأن ما يقدم على أنه حقيقة لابد وأن يبنى على أساس من الصحة والصدق. إن مفهومي «الحقيقة» و«الواقع» يتسمان بالدقة ويجب توخي الحذر عند التعبير عنهما، إن النصوص غير الخيالية ليست بالضرورة حقيقية، على سبيل المثال فإن النصوص الدينية يمكن اعتبارها حقيقية ولكنها قد لا تكون واقعية بالنسبة لبعض القراء. وعلى الرغم من ذلك فقد تكون الحقيقة في نظرهم مثار جدل ونزاع بينهم وبين الآخرين، لقد نشأت الأساطير اعتمادًا على المعتقدات الدينية، إن العهد الجديد ما هو إلا أسطورة لدين يهوذا والمسيح، كما أن رامايانا هي عبارة عن أساطير هندية، وهذه الأساطير تُكتب في بعض الأحيان على أنها غير خيالية ونجدها مرتبطة بالأديان السماوية أو اللاهوت، ولكنها قد تصطبغ بالخيال في حالات أخرى، إن درجة حكمنا على كتابٍ ما بأنه «حقيقي» تخضع لقيم متغيرة وكذلك للمعرفة المتزايدة، إن تاريخ المنادين بالتغيير يهدف إلى معالجة الخلل في وصف الأحداث التاريخية التي كتبها ـ على نطاق واسع ـ ممثلون عن الثقافة السائدة، ولقد ظهرت قصص تاريخية جديدة تتناول حياة أناس من عامة البشر أو أولئك المهمشين، وفيما يتعلق بالعلوم فمن الواضح أن الحقيقة مؤقتة حيث تظهر نظريات جديدة تدحض سابقتها، وعادةً ما يتجلى ذلك عند الاطلاع على كتب من الماضي. إن الفارق بين الخيال وعدم الخيال هو أننا نحكم على الأخير بأنه حقيقي في ضوء المعرفة المعاصرة.

إن عنصري الصحة والدقة لهما ـ بالطبع ـ أهمية كبيرة في الأعمال غير الخيالية، وثمة بعض الأمور الشيقة في هذا المجال وذلك عند التفكير في العلاقة بين الكتاب والنشر عبر الإنترنت إذ يرى البعض أن الكتاب يعد مصدر معلومات موثوق فيه بشكل يفوق مصادر البحث عبر الإنترنت، وهذه الفكرة منشؤها الاعتقاد بأن الكتاب يحتوى على معلومات صحيحة ومؤكدة بحيث تتضمن عملية المراجعة جودة تلك المعلومات، وهذا في رأيي تفكير متفائل لا يعبر بالضرورة عن الواقع، ومن المؤكد أن المواد التي يتم الحصول عليها عبر الإنترنت يشوبها الكثير من الشكوك، إلا أن هناك أيضًا ثروة من المواد العلمية الناتجة عن مصادر أولية وثانوية

موثوق بها إلى حدٍّ كبير. وعلى الجانب الآخر فلم تعد دقة المعلومات الموجودة بالكتب مضمونة أكثر من مثيلتها التي تستمد من الإنترنت. إن العلاقة بين الإنترنت والمادة المطبوعة هي علاقة تبادلية حيث يتزايد استخدام الكتاب للمراجع عبر الإنترنت بينما تمثل الكتب مصدرًا للمعلومات بالنسبة للناشرين عبر الشبكة الإلكترونية. ومن بين التطورات التي دخلت على طباعة ونشر الكتب غير الخيالية هو استخدام الإنترنت على نطاق واسع لدعم الكتاب بمزيد من المعلومات كما هو الحال بالنسبة لسلسلة موقع (جوجل) الذي صممه دورلينج كيندرسلي، وموقع «ويب لينكسي» الذي صممه وايلاند، والمهم هو أن يتعلم الأطفال ـ في مجال الأبحاث ومهارات الاستذكار ـ كيف يصدرون أحكامهم بشأن مدى مصداقية النصوص سواء كانت إليكترونية أم مطبوعة، كما يجري تعليمهم ـ بشكل موسع ـ كيفية التحقق من تلك المعلومات وذلك باستخدام مصادر مختلفة، وعلى الرغم من ذلك فمن بين مزايا الكتاب ما يمت بصلة للمناقشة السابقة بشأن طريقة التعبير أو الأسلوب، إن كثيرًا من المواد المستمدة من الإنترنت لن تجتذب صغار القراء أو توفر المناخ الذي يوفره كتاب موجه خصيصًا لصغار القراء.

إن مفهوم «الحقيقة» ينشأ عنه التساؤل حول موضوعية النصوص غير الخيالية، والمعلومة الشهيرة القائلة بأن الكتاب المثالي غير الخيالي يقدم موضوعه بصورة موضوعية هو معلومة خاطئة. إن السِّيَر التي تناولت حياة الشخصيات كُتبت لتعظيم بعض القادة والزعماء وتمجيدهم، وتركزت على أحداث بطولية وأعمال جليلة، وبحلول الثمانينات مع تزايد الوعي «بالذاتية» بدأ كُتاب السِّيَر في تناول نقاط الضعف جنبًا إلى جنب مع نقاط القوة لهؤلاء الزعماء. ومع ذلك فحتى هذه الكتب ـ والتي يدَّعي أصحابها أنها كُتبت بصورة موضوعية ـ تدل بطريقة ذكية على القيم التي يتبناها هؤلاء المؤلفون سواء كان ذلك من خلال اختيار الموضوع أو حذف بعض نقاطه والمساحة المخصصة لموضوع بعينه، وشكل الموضوع وتنظيمه أو النبرة المستخدمة فيه أو اختيار ألفاظه.

لذلك فعندما يتجه المؤلفون إلى تقديم موضوعاتهم بصورة متوازنة فهذا لا يعني أن كتبهم محايدة أو موضوعية تمامًا، والأطفال في المدارس يتعلمون التمييز بين الحقيقة والرأي وأن يكشفوا عن جانب التميز فيما يقرأونه من نصوص، وعلى الرغم من أن قدرتهم على ذلك لها أهميتها فثمة درس آخر يتمثل في أن الطريقة الذاتية لعرض الموضوع ليست دائمًا سلبية، إن

قصة «الحقيقة غير المواتية» للكاتب آل جور تتضمن وجهة نظر ذاتية يُقر بها في مقدمته، ولكن هذا المنظور الشخصي ذاته هو الذي يجتذب القارئ ويستحثه على مواصلة القراءة.

إن أحد اختبارات جودة الأعمال غير الخيالية يتمثل في مدى رفضها للهبوط إلى مستوى صغار القراء عارضةً موضوعاتها بشكل معقد إلى حدٍّ ما دون اللجوء إلى أنصاف الحلول. وهذا الاحترام للأطفال قد نصادفه في كُتب مثل: «البستانى الصغير» (2006) للكاتبين ستيفان وبيفرلي بالكزاكي، والذي يؤكد على أن الأطفال يمكن أن يعملوا عمل البستاني بمهارة فائقة.

إن أفضل الكُتَّاب يضفون عنصر الإثارة على كتاباتهم بحيث تخاطب القارئ بشكل مباشر، وهم يدركون أن لغة الأعمال غير الخيالية قد ينجم عنها بعض الصعوبات التي تعوق الفهم. وغالبًا ما يتم التعبير عن الأفكار المعقدة باستخدام لغة معقدة أيضًا، إلا أن كُتَّاب الأطفال الناجحين ممن تخصصوا في الكتب غير الخيالية لديهم القدرة على نقل الأفكار المعقدة بطرق بسيطة، فمثلًا نجد كتاب «ماذا لو كان العالم قرية صغيرة» للكاتب ديفيد ج. سميث (2004) يعبر عن حقائق بشأن سكان العالم بصورة مبسطة وجذابة، فبدلًا من مليارات البشر التي لا يمكن تخيلها فهو يصور العالم كقرية تعدادها مائة نسمة، ونكتشف أن من بين هؤلاء المائة هناك اثنين وعشرين شخصًا يتحدثون اللهجة الصينية وتسعة أشخاص يتحدثون الإنجليزية، وثمانية يتحدثون الهندية وسبعة يتحدثون الأسبانية، إن استخدام هذا الكتاب بالمدارس يجعل من المثير التساؤل عما حدث للأقليات في ظل توزيع السكان على هذا النحو، وتستخدم روشيل ستروس فكرة مشابهة ولكنها أكثر بساطة وذلك في كتابها «بئر واحدة ـ One Well» والتي تدعو القارئ إلى أن «يتخيل للحظة أن كل المياه الموجودة على سطح الأرض جاءت من بئر واحدة»، إنها ليست فكرة غريبة كما تبدو فكل المياه على سطح الأرض مرتبطة ببعضها البعض وهو ما يشير في الواقع إلى وجود مصدرٍ واحدٍ للمياه ـ بئر واحدة للعالم بأسره ـ نستمد منها جميعًا مياهنا (2007: 3).

الإنتاج والتصميم

إن من بين التغيرات الكبيرة التي حدثت خلال العشرين عامًا الماضية هي تلك التي تركزت على التصميم والتنظيم، ومن ثم يتنوع نظام النصوص غير الخيالية وبالتالي تختلف وسائلها

في جذب القارئ. وبعض الكتب قد تكون مألوفة لصغار القراء نتيجة لما يصادفونه من معلومات على الإنترنت، وعلى الرغم من ذلك فهناك كتب أخرى تشتمل على قصة أو مجالات بحيث تتطور على شكل مراحل متعددة من بداية الكتاب وحتى نهايته وهو ما يتطلب قراءة تقليدية حتى يمكن فهم الكتاب فهمًا كاملًا، وربما ينطبق هذا أكثر على الموضوعات التاريخية وتلك التي تتناول السير الذاتية والتي تتعلق بفترات زمنية معينة أكثر مما تهتم بالمفاهيم العلمية.

إن التغيرات التي نتجت عن التكنولوجيا الحديثة وتصميم البرامج والنشر عن طريق الإنترنت وانخفاض تكلفة الطباعة دوليًّا .. كل هذا أدى إلى عديد من الابتكارات في مجال إنتاج الكتب، وقد كان دورلنيج كيندرسلي رائدًا من رواد ثورة الثمانينات التي انتشرت خلالها الكتب غير الخيالية. وقد ترتكز الاهتمام على الصور التي تجذب انتباه القارئ للوسيلة المرئية كأداة للتعرف على العالم من حولنا، ومن بين نقاط القوة لهذا النوع من الكتب هو نمط الحديث الذي يثار عندما يحاول الكبار أن يجذبوا انتباه الصغار نحو الملامح البارزة لتلك الصور. ومع ذلك فكما يقول النقاد: إن المعلومات الجزئية الموجزة التي تتضمنها التعليقات المرفقة الخاصة بالصور تعني الافتقار إلى عمق التعلم الذي يمكن اكتسابه من خلال نصوص أو قطع نثرية أكثر إسهابًا، إن التأكيد على التصميم على حساب المحتوى هي قضية أثارها ستيورات روس مؤلف قصة «القراصنة والمكائد والسارقون» إذ يقول:

«إن كثيرًا من الكتب غير الخيالية ينصب الاهتمام بها على جانب التصميم بشكل مبالغ فيه بحيث إنها تناقش وسائل الإعلام المرئية في مظهرها، وهي تشتمل على كثير من المعلومات التي يمكن للأطفال التبحر فيها، وهناك قوائم لانهائية من تلك الكتب التي يمكن تصفحها. وهناك الكثير من الكتب غير الخيالية والتي تضم نصوصًا جيدة تستحوذ على إعجاب الأطفال إلى حدٍّ كبير، ولذلك فمن الصعب عليهم أن يتعلموا كتابة قطع نثرية متصلة غير خيالية .. ويتوصلوا إلى النموذج السادس غير قادرين على قراءة الكتب الصعبة أو كتابة المقالات.

وعلى الرغم من هذه التحفظات بشأن التصميم على حساب المضمون، إن المادة المرئية عالية الجودة تتسم بأنها جذابة وتشتمل على كثير من المعلومات، إن الاختيار الجيد للصورة يجعلها

تنقل معلومة قد يحتاج شرحها إلى عدة مئات من الكلمات، إن الصور يمكنها أن تلعب دورًا كبيرًا في توصيل الأفكار التي قد يصعب التعبير عنها بالكلمات وحدها، وتقدم قصة «مستقبل الأرض ـ The Future of the Earth» (2004) للكاتب يان آرثاز بيرتراند مجموعة من الآراء المثيرة التي تهدف إلى تمكين الأطفال من رؤية العالم من زاوية جديدة، وبشكل عام فالكاميرا يمكنها أن تقدم صورة للحياة عن قرب، إن الكتاب الوثائقي المصور والمدهش (الأفيال) (2007) الذي أعده سيتف بلوم، والذي تخصص في تصوير الحياة البرية يتيح للقراء معرفة كل شيء عن الأفيال بدءًا بخرطومها وأنيابها وانتهاءً بأخمص القدمين، والصور لها أهميتها على وجه الخصوص في إحياء بعض الأماكن وكأنها شاهد عيان على الحياة اليومية، إلا أن الصورة الجيدة ليست مجرد تسجيل كما توضح «صور عن السلسلة الهجائية الدولية» للكاتب بروديتبا داس (باكستان 2007). إن الصور الإنسانية التي أعدها داس تشجع على التأمل، كما أنها تثير لدى من يتصفحها أسئلة عما تقدمه من موضوعات.

وعلى الجانب الآخر نجد أن الرسوم التي وضعها درون تميل إلى التحليل، كما توجه الاهتمام نحو الأجزاء البارزة من الصورة، إن الكتب المعمارية التفصيلية التي كتبها ديفيد ماكولي وهي (الكاتدرائية) (1973) و(القلعة) (والذي لم يُطبع بعد للأسف ولكنه مصدر قيم) هما مثالان رائعان شأنهما شأن المقتطفات النموذجية المدهشة للكاتب ستيفن بيستى. ويعد كتاب «دليل موجز عن الزهور المتوحشة الضاحك» (2007) للكاتبين تشارلوت فوك وكيت بيتى تذكرة بكتاب إدوارد الذي يضم اسكتشات هزلية، ومن هذا الكتاب نرى الرسوم التوضيحية بالألوان المائية المرتبة وفقًا لكل لون لسهولة تحديدها. وهذه الرسوم لها ميزة إضافية هنا تتمثل في أن الأطفال يمكنهم أيضًا أن يقلدوا ما يشاهدونه من رسوم، وخلال هذه العملية يتحقق لهم مزيد من الفهم لهيكل الموضوع وطريقة صياغته، إن الصور المباشرة قد لا تتماشى مع الموضوع بنفس الطريقة.

وثمة مجموعة من الوسائل التي يمكن توظيفها في الكتب غير الخيالية. إن الرسم والتصوير الزيتي الذي ينطوي على بعض الانطباعات قد ينجح أيضًا في نقل حركة الرقص بما يتلاءم مع الكتاب. ونجد في كتاب جيني بيكر المصور ـ الذي لا يحتوي على أية كلمة ـ وهو بعنوان «النافذة ـ Window» (1993) سلسلة متتابعة من الصفحات المزدوجة المصنوعة من المواد الطبيعية

والصناعية وهو ما يوضح أن هذه الوسيلة يمكن استخدامها لإضافة المزيد من المعلومات للرسالة الموجهة للقارئ. ويوصي بكتاب «الانتماء ـ Belonging» (2004) لما يتضمنه من رسالة إيجابية عن التجديد من خلال العمل الاجتماعي.

إن جوانب التطور التي حدثت مؤخرًا في مجال إنتاج الكتب قد تمخضت عنها أساليب مبتكرة في عملية العرض. إن فن الرسم والتصوير عن طريق الكمبيوتر (graphics) والذي يستخدم في خلق مؤثرات معينة بالأفلام يستخدم أيضًا في مجال إنتاج الكتب، إن كتاب «البركان ـ Volcano» (2006) للكاتبة أن روني ـ والذي يعد ضمن سلسلة دورلينج كيندرسلي ـ تكلف تكاليف باهظة لبيان الآثار الداخلية الناجمة عن البركان وذلك باستخدام تلك التقنية. إن الاستعانة بالمؤثرات الواقعية عن طريق الصور يمكن القارئ من أن يجرب العيش في مكان من المستحيل أن يرتاده.

إن انخفاض تكاليف الطباعة في الأسواق الدولية قد أدى إلى انتشار النصوص الجديدة ذات الجوانب المعقدة وغيرها من الملامح التي تستخدم بطريقة خيالية في النصوص التي تنتمي لهذا النوع، إن كتابي تيمبلار «المصريات» و«الأساطير» تبعث الحياة في العالم القديم، كما أن «رحلات» كينجفيشر تعد سلسلة من الخيال العلمي، وأحد هذه العناوين «الفضاء ـ Space» (لجولد سميث 2005) مثلًا يستغل هذه التقنيات استغلالًا جيدًا لتوضيح كلا الوجهين من القمر، ويستعين بإلقاء أوراق الأشجار لتوضيح مراحل الرحلة المكوكية، واستعداد رواد الفضاء لتلك الرحلة الفضائية، إن هذا النص الجذاب المؤثر يشتمل على استشهادات من رائد الفضاء سالي رايد الذي تمت استشارته في هذا الشأن: «خارج النوافذ، ينطلق المكوك محدثًا وهجًا برتقالي اللون بينما ننطلق نحن في الآفاق». وهذه الملامح أكثر من مجرد تجديدات يتم اختيارها بعناية لدعم النص.

وتستمر الكتب غير الخيالية في التغير مع تطور سبل المعرفة ووسائل التكنولوجيا وابتكار وسائل إعلامية جديدة، ومن المهم أن هذه النصوص المبتكرة والنابضة بالحياة متاحة للقراء الصغار، وأن الأعمال غير الخيالية لا ينبغي أن ينظر إليها باعتبارها مجرد مصدر معلومات في خدمة الأبحاث والدارسات المختلفة ولكنها تعد أيضًا مصدرًا للمتعة، كما أنها تجربة جميلة.

مراجع أخرى

كتب غير خيالية للأطفال يمكن البدء بها:

Two examples of picturebook non-fiction at its best: Jeannie Baker's *Window* and *Belonging* (Walker Books).

If the World Were a Village by David J. Smith and Shelagh Armstrong (A. & C. Black) explains facts about the world's population in a simple but fascinating way.

The delightful *A Little Guide to Wild Flowers* by Charlottte Voake and Kate Petty (Random House) is reminiscent of an Edwardian sketchbook with delicate watercolour illustrations and drawings which may inspire young readers also to draw and in doing so achieve new understandings of plants.

Young Gardener by Stefan and Beverley Buczacki (Frances Lincoln) includes projects such as growing cress in an egg shell as well as guidance on real gardening tasks.

Chocolate: The Bean That Conquered the World by Vivian French (Walker Books) is shaped like a bar of chocolate complete with gold foil and looks good enough to eat.

الفصل التاسع الشِّعر للأطفال

ميشيل لوك وود

يتناول هذا الفصل ما يلي:

- ما هو الشعر «الجيد» للأطفال.
- كيفية تطور الشعر الموجه للأطفال.
- طرق مشاركة الأطفال في الشعر.



الآراء الحالية

يرى معظم الكبار أن الشعر مفيد للأطفال، وعلى الرغم من ذلك فليس ثمة اتفاق على ما يسمى الشعر الجيد أو المناسب للأطفال، ويتجلى الخلاف عن طريق تبادل وجهات النظر بالمجلة الدورية (كاراوسيل) «Carousel» عام 1988، وقد حاولت آن هارفي ـ والتي تقوم بجمع مقتطفات مختارة من الشعر الموجه للأطفال ـ أن تفصل بين ما يعد شعرًا «حقيقيًّا» وبين ما هو مجرد هراء. وهي ترى أن القصائد «الكلاسيكية» هي الشعر «الحقيقي» سواء كُتبت للأطفال أم للكبار، وهي تتذكر أنها عندما كانت في الثالثة كان يتلى عليها أبيات من شعر ألكسندر بوب. وهي ترى أن «الشعر الهراء هو شعر بذيء هابط ولا يتحدث سوى عن توافه الأشياء، وغالبًا ما يُكتب بلهجة لا أفهمها»، وتستشهد على ذلك بكلمات من إحدى القصائد (Harvey, 1988) وفي العدد الثاني من مجلة (كاراوسيل) قام شاعر الأطفال برايان

موسيس ـ والذي يختار أيضًا المقتطفات الأدبية المناسبة لهم بالرد على هذا الرأي في مقالة بعنوان «شعر الأطفال .. ليس مجرد نادٍ مقصور عليهم». ويروي موسيس تجربة مختلفة مع القراءة فيقول: «إن النصوص «المفيدة» كانت عديمة الجدوى بالنسبة لي، وعندما تركت المدرسة في الثامنة عشر من عمري لم يكن لدي سوى مشاعر سلبية تجاه الشعر» (1998: 19)، إلا أن الأبواب المغلقة فتحت من جديد من خلال القصائد العامية المرحة لبعض الشعراء مثل روجر ماكوف وبريان باتين وأدريان هنري والتي قرأها في شبابه. ويرى موسيس أن الشعر يجب أن يكون موجهًا «للجميع» بما في ذلك أولئك القراء .. الصبية الكارهين للشعر (موسيس 1998).

وغالبًا ما يتسم هذا النقاش بانقسام الفريقين بين مؤيد «لقصائد الأطفال» من جانب ومناصر «لقراءة بعض الأبيات البسيطة لصغار الأطفال» من جانب آخر، ولقد ساد هذا النقاش خلال العقود الماضية كما اجتذب بعضًا من المشاهير الذين أدلوا بدلوهم في هذا المجال على مر السنين. مثال ذلك ما علَّق به الشاعران روي فولر وفيرنون سكانيل قائلين: «إن أولئك الذين يكتبون الشعر للأطفال بدافع الحاجة أو الاضطرار فهم يدخلون مجال الشعر (الخفيف) أو البسيط» (فولر – سكانيل 1987: 205). «وأعتقد أن كثيرًا من الشعر المكتوب خصيصًا للأطفال يجب أن يستبعد لصالح القصائد ... الموجهة للقراء من جميع الأعمال» (سكانيل 1987: 207). ويتفق معه الناقد بيتر هانت والذي يرى أن «معظم الشعر الموجه أصلًا للأطفال والذي تجري طباعته حاليًّا نادرًا ما يتسم بالجودة حتى فيما يتعلق بألفاظه ومفرداته. (هانت – 1991: 198).

ومن ناحية أخرى يعتقد كلٌّ من بيتر وإيونا أوبي وهما باحثان في مجال الخلفيات الإيقاعية بكتب الأطفال أنه «كلما كان الشعر مجردًا كلما كان من الصعب قراءته للفئة المستهدفة به (أوبي وأوبي 1973: ix). وربما كان الرأي الأكثر فائدة في هذا النقاش هو رأي الشاعر W. H. Auden والذي كتب عبارته الشهيرة: «على حين أن هناك بعض القصائد الجيدة التي تخاطب الكبار فحسب ـ لأنها تضع فروضًا مسبقة لتجارب الكبار وقراءاتهم ـ فليس ثمة قصائد جيدة موجهة خصيصًا للأطفال» (أودين 1963: 18). وهذا يجعل الاهتمام يتحول من عمر الجمهور المستهدف إلى نوعية القصائد.

وإذا كانت القصيدة الموجهة للأطفال جيدة فهي تناسب كافة الأعمار، وهذا يرجع ـ جزئيًا ـ إلى طبيعة الشعر الذي يعتمد على الصور البلاغية والقوافي والأصوات والأفكار، ويمكن الاستمتاع به بطريقة حسية فعالة إلى جانب الاستمتاع الفكري به. ويمكن للقراء من جميع الأعمار أن يستمتعوا بنفس القصيدة بطرق مختلفة، وكما يشير تعليق أوبي أيضًا بأنه كلما كانت القصيدة بسيطة كلما زاد تاثيرها وفعاليتها».

نبذة موجزة عن تاريخ الشعر للأطفال

إن تاريخ الشعر البريطاني المكتوب للأطفال هو تاريخ قصير نسبيًا إذ أنه لا يزيد على ثلاثمائة عام، وقبل ذلك بالطبع كان هناك موروث من الأغاني والإيقاعات التي كانت تتناقل شفويًا بين الناس والتي كان الأطفال يستمتعون بها، وكانت هناك قصائد تُكتب عن الأطفال أو ليقرأها لهم الكبار، وعلى الرغم من ذلك فلم يبدأ الشعراء والناشرون في مخاطبة الأطفال القراء مباشرةً إلا في أواخر القرن السابع عشر وأوائل القرن الثامن عشر. مثال ذلك المصنف الأول لأناشيد الحضانة للأطفال البريطانيين «ككتاب تومي ثامنب ذو الأغاني الجميلة والذي لم ينشر حتى عام 1744». إن استعداد الناشرين لإنتاج مثل هذه المادة ينم عن وجود جمهور من الأطفال المتعلمين، وعدد لا بأس به من الآباء المهتمين بتثقيف أطفالهم وهو ما حدا بهؤلاء الناشرين إلى خوض مثل هذه المغامرة في ذلك الوقت، «ويمكن سماع ثلاثة أصوات شعرية رئيسية في الشعر الإنجليزي الموجه للأطفال بدءًا من تلك البدايات وحتى الخمسينيات وتتمثل في العظة أو الدرس المستفاد واللحن والصوت الثالث قد يكون غير ذي أهمية» (بينتون وفوكس 1985). لقد ألقيت نظرة سريعة على هذه الأصوات الثلاثة التي استخدمها الشعراء عبر التاريخ في كتابتهم للأطفال، وتساءلت عن أفكار الطفولة والأفكار الشعرية التي تكمن وراءها.

صوت العظة

وهو الصوت الأول الذي استخدمه الشعراء في الكتابة للأطفال، وهو بمثابة صوت تعليمي يدور حول التعاليم الدينية، وقد قام جون بانيان المعروف بكتابه «رحلة المهاجر ـ The Pilgrim

«Progress» (1678 – 84) بنشر «كتاب للأولاد والبنات ـ Country Rhimes for Children» عام 1686، وتبعه إسحاق واتس. الشهير بكتابة الترانيم ـ بتأليف كتاب «تراتيل سماوية بلغة بسيطة للأطفال» عام 1715. وقد كان شعرهما يدعو إلى التمسك بالفضيلة كاتجاه مناهض للقصص الشعبية والأغاني الموروثة التي كانوا يعتقدون أنها تؤثر سلبًا على الأطفال وتفسد أخلاقهم، ويستخدم الكاتبان بانيان وواتس ـ بشكل معتمد تمامًا ـ نبرة شخص شرير، وكذلك الأنماط الشهيرة للإيقاعات والأغاني لاكتساب قلوب الأطفال وعقولهم، ويرى بانيان نفسه وهو «يقوم بدور الأحمق» ولكن لغرض جاد:

قرائي الأعزاء الذين أنقذتهم،

هل لي أن ألعب معهم الآن لعبة دوتريل (سيمبلتون)،

وربما نفذ صبرهم من فرض رزانتي،

وها أنا ذا ألقي بالرمح من وراء الشجيرة (بانيان 1686: 3)

وما من شك في أن كلا من بانيان وواتس لو عاشا حتى يومنا هذا كانا سيستخدمان لعبة نط الحبل لتوصيل رسالتهما!

ويرى هؤلاء الخارجون على الأعراف أن الأطفال بطبيعتهم خطائين، وأن واجبهم يحتم عليهم الحفاظ على أرواح هؤلاء الأطفال، إذن فالشعر بالنسبة لهم كان وسيلة لتلقينهم دروس الدين والأخلاق بشكل محبب إليهم، وهو ما يعد شكلًا قديمًا من أشكال «التعليم»، ولقد ظل الدافع لتعليم الأطفال من خلال الشعر قويًا خلال القرون التي تلت كلاً من بانيان وواتس. إن الموروث التعليمي الذي بادر الكاتبان بإرساء دعائمه استمر تأثيره خلال القرن التاسع عشر من خلال قصائد تهدف إلى تثقيف الأطفال وتهذيب سلوكهم، وعندئذٍ ـ وعلى الرغم من ذلك ـ فقد تقلص اهتمام المدرسين بتلقين الأطفال دروسًا عن النجاة الأبدية والخلاص في حين زاد الاهتمام بتعليمهم آداب المائدة وتجنيبهم السلوكيات السيئة، وبحلول نهاية القرن التاسع عشر قلّت أهمية الشعر التعليمي المطول إلى حدٍّ أن الكاتب هيلير بيلوك استطاع أن يوجه انتقادات حادة للحكايات التي كانت سائدة من قبل، والتي كانت تحمل بعض المحاذير للأطفال وذلك ضمن كتاباته اللاذعة.

صوت الموسيقى (اللحن)

ومع ظهور الحركة الرومانسية في أواخر القرن الثامن عشر وما بعد ذلك نشأت رؤية مختلفة تمامًا فيما يتعلق بالطفولة، فالطفل في نظر الشعراء الرومانسيين هو كائن بريء وليس خطاءً وهو أقرب إلى الله من الكبار وكما يقول ووردس وورث «في طفولتنا يكون الله قريبًا منًّا». (ode جوهر الفسق 1807 – st 5)، وإذا كان الأطفال بحاجة لمن ينقذهم من الخطايا التي يرتكبونها بفطرتهم فإن الكبار بحاجة أكثر للرجوع إلى براءة الطفولة الكامنة بداخلهم. هل تعد قصيدة ويليام بليك «أناشيد البراءة» (1789) ضمن قصائد الأطفال؟ إن الشاعر بليك يكتب بالتأكيد مخاطبًا الطفل بداخلنا جميعًا، والمتغلغل في أعماقنا. ومن الناحية الشكلية فإن النص الأصلي يشبه كتب الأطفال بحجمه الصغير ورسومه الملونة اعتبارًا من القصيدة الافتتاحية وحتى آخر المصنف، ويبدو بليك وكأنه يخاطب الأطفال في كتابته:

وأكتب بقلمي الذي يذكرني بالريف،

وألوث المياه الصافية

وأكتب أغانيَّ السعيدة

التي يحبُّ كل الأطفال سماعها. (بليك 1789 ص 4).

وفي نفس الوقت التي ظهرت فيه رؤية للطفولة مختلفة تمامًا عن ذي قبل نشأ مفهوم جديد للشعر أو «الأغنية» التي يلعب الخيال دورًا كبيرًا فيها والتي تعد قليلة الجدوى إذا ما قورنت بالقصائد التعليمية التي سبقتها، إن ما تتميز به أناشيد بليك من بساطة الأسلوب واللغة يجعلنا نتذكر تعليق أوبي بأن «الشعر كلما زادت بساطته كلما كان من الصعب توصيله لجمهوره المستهدف»، وعلى النقيض من بانيان فإن بليك لا يشعر بالحاجة إلى أن يلعب دور الأحمق وأن «يكتب» للأطفال حتى إذا كان يعني أولئك «الأطفال الذين يعيشون بداخلنًا». إن الموروث الموسيقي الذي يبدأ بالترانيم استمر طوال القرن التاسع عشر من خلال بعض الشعراء مثل روبرت لويس ستيفنسون وكريستينا روزيتي، وكذلك القرن العشرين من خلال وولتر دي لامير وجيمس ريفز.

صوت «الهراء»

كان كتاب إدوارد لير «كتاب عن الهراء» (1846) بادرة لظهور صوت مختلف يُسمع في شعر الأطفال:

كان هناك عجوز ذو لحية

يقول: هذا هو كل ما أخافه!

بومتان ودجاجة

قُبَّرتين وصعو (1)

بنوا جميعًا أعشاشهم في لحيتي (لير 1846: 9)

إن قوة الشعر الرومانسي وجديته الأخلاقية وأغراضه التعليمية قد حل محلها رؤية مختلفة لشعر الأطفال تتسم باللعب بالكلمات والمعاني على وجه الخصوص، إلا أنها قد تكون فوضوية ومدمرة شأنها شأن أعمال الأطفال الأخرى، إن هذا النوع من الشعر ـ الذي لا يخدم غرضًا بعينه ـ يشيع جوًّا من الفوضى ولكنه عالم آمن يحكمه الكبار بعقولهم ولغتهم، والأطفال هم الجمهور الطبيعي لهذه الأعمال التي تكشف الزيف الكامن وراء نظام الأشياء، وهنا يأخذ الشاعر جانب الأطفال في مواجهة عالم الكبار الحسي الذي يحتدم فيه الصراع حول ملكية الأشياء.

وفي أعمال لويس كارول نجد أن تقويض ادعاءات الكبار واتجاهاتهم في شعره (الهرائي) يمتد إلى نقد وجهات نظرهم فيما يتعلق بشِعر الأطفال والأناشيد التي تهدف إلى تهذيب سلوكياتهم كتلك التي كان يكتبها إسحاق واتس، ولم يكن من قبيل المصادفة أن كلًّا من لير وكارول كانا يشعران بالارتياح في صحبتهم للأطفال بما يفوق صحبتهم للكبار، كما أنهما يكشفان أيضًا عن جانب مظلم وأكثر تشويشًا بعالمهم (الهرائي) وذلك من خلال قصائد قصصية أطول كقصيدة لير «The Pobble who has no Toes»، وقصيدة كارول: «The Hunting of the Snark».

---

(1) الصَّعو: طائر صغير جدًّا ـ المترجمة.

استخدام أصوات كثيرة: الاتجاه المعاصر

لقد أصبح الشعر الموجه للأطفال ـ منذ الخمسينات من هذا القرن ـ أكثر اختلافًا وتنوعًا. وكما يقول الشاعر ميشيل روزين: «يمكننا الآن أن نسمع أصواتًا كثيرة». (روزين 1992). إن الصوت التعليمي الأخلاقي أخذ يخفت (ويستثنى من ذلك بعض أشعار رولد داهل) على الرغم من أنه يمكن أن نحتج بأن تعليم الأطفال من خلال الشعر لم يتلاش ولكنه اتخذ شكلًا غير مباشر كما هو الحال مثلًا في القصائد التي تتناول القضايا البيئية وغيرها من الأناشيد المرحة. وكما يقول بيتر هانت فالشعر التعليمي ما يزال ينبض بالحياة في أدب الأطفال الحديث فهو يتنكر في صورة حكايات وتوجيهات (هانت 1991: 117). وصوت اللحن ما زال موجودًا ولكن بطرق مختلفة تجلت في أعمال تيد هوجز وتشارلز كوزلي واللذين لم يضعا حدًّا فاصلًا بين قصائدهم للأطفال وقصائدهم للكبار، ويستمر صوت الهراء بالتأكيد وبقوة في أعمال كثير من شعراء الأطفال ولاسيما سبايك ميلجان الذي يحظى بالتصويت دائمًا باعتباره أشهر شاعر للأطفال.

ومع ظهور قصيدة ميشيل روزين «اهتم بأمرك ـ Mind Your Own Business» 1974 ظهر في الأفق صوت جديد مختلف، لقد حاول روزين أن يقدم صوت الطفل المعاصر، التلميذ بالمدرسة المدنية والذي لم يكن موجودًا من قبل في شِعر الأطفال الإنجليزي. إن استخدام نماذج الحديث والتفكير الخاصة بهذا الطفل (الولد عادةً) هي وسيلة ينتهجها روزين لتجنب الكتابة للأطفال أو استخدام أسلوب شعري خاص بهم لذا فهو يحاول أن يستخدم لغتهم الخاصة في التعبير عن تجاربهم وذلك من خلال قصص قصيرة تتضمن تلك التجارب أو الخبرات. وفي أحسن الأحوال فهو انعكاس فني لصوت الطفل وليس نسخة منه:

في يوم ما جاء صديقي هاري بو

إلى المدرسة باكيًا.

تساءلنا:

ما الأمر، ما الأمر

قال:

لقد مات جده الحاني

ولم نعرف كيف نواسيه: (روزين 1988: 122 - 3).

إن نظرة روزين للشعر تتمثل في أنه «حديث جدير بالذكر وهو من أوائل الشعراء الذين كتبوا الشعر الحر للأطفال لتوصيل إيقاعات الحديث ونماذج التفكير بوسائل جديرة بالذكر. وهذا الشعر الذي يسمى «urchin verse» والذي يمثل الانتقال من الشعر إلى النص الشعبي (تاون سند 1990: 300) هو ما مهد الطريق لكثير من الأصوات الجديدة الأخرى التي دخلت الشعر الإنجليزي الموجه للأطفال، إلى جانب الأصوات الشعبية الأخرى المختلفة تمام الاختلاف والتي حاولت تمثيل لغة الأطفال وتجاربهم كتلك التي استخدمها شعراء (ميرسي) أمثال روجر ماكوف وبريان باتين وجاريث أوين وآلان ألبيرج، وخلال الثمانينات من هذا القرن نشأ مذهب «التعددية»[1] في شعر الأطفال صاحبه ظهور «أصوات سوداء» للمرة الأولى كتلك التي استخدمها جون أجارد وجريس نيكولز وجيمس بيري في حديثهما عن أطفال الكاريبي[2] باستخدام لهجات غير قياسية ولهجات تنتشر في غرب الهند والتي تسمى بلغة الكريبوليين[3]. وخلال التسعينيات قام الشعراء البريطانيون السود أمثال بنيامين زيفانيا وجاكي كاي بإضافة أصواتهم إلى المشاهد الشعرية التي تزداد اختلافًا وتنوعًا، كما قاموا بتطوير جانب الأداء في شعر الأطفال بطرق مثيرة.

ما هي السمات الواجب توافرها في المجموعات والمقتطفات الأدبية؟

إن الكلمتين الرئيسيتين اللتين يجب أن ترتبطا بكتب الشعر الموجهة للأطفال هي الجودة والتنوع، وحتى يستمتع القارئ بالمجموعة الكاملة لأشعار الكنيسة والتي أصبحت الآن هي الشعر البريطاني الموجه للأطفال فالقارئ بحاجة إلى أن يطلع على مجموعات جيدة من

---

(1) التعددية: مذهب يقول بأن هناك أكثر من حقيقة مطلقة واحدة ـ المترجمة.

(2) نسبة إلى البحر الكاريبي ـ المترجمة.

(3) الكريبوليون هم من مواليد جزر الهند الغربية أو أمريكا اللاتينية المنحدرين من أصل أوروبي (خاصة أسباني) ـ المترجمة.

القصائد التي كتبها شعراء مستقلون إلى جانب المقتطفات الأدبية الجيدة والتي تمثل أعمال كثير من الشعراء، وغالبًا ما يصادف الأطفال ـ عن قراءة الشعر ـ بعض المقتطفات الأدبية المختارة التي لا تشتمل سوى على نطاق محدود من القصائد والشعراء، ولا تشتمل على أعمال مؤلفين مستقلين، وكما هو الحال بالنسبة للخيال فهم بحاجة إلى القدرة على تنمية أذواقهم وميولهم من خلال القراءة على نطاق واسع. وعندئذٍ يكون من المحبط أن نقرأ عن وجود انخفاض حاد في عدد المجموعات الشعرية للشعراء المستقلين كانعكاس للانخفاض العام في طباعة ونشر كتب الشعر خلال السنوات الأخيرة (كارتر 2007: 14) إلا أن تعيين ميشيل روزين شاعرًا رسميًّا للأطفال بالبلاط الملكي لعامين اعتبارًا من 2007 قد يغير من هذا الوضع المتردي لاسيما وأنه قد وضع خطة لتطوير الشعر.

وتحتاج تلك المقتطفات الأدبية إلى أن تشتمل على مجموعة من القصائد التي تعكس ثراء شعر الأطفال مع تطورها على مر الزمان، وهذا يعني أن تشتمل على ما يلي:

- القصائد الكلاسيكية والمعاصرة.
- القصائد الفكاهية وتلك التي تدعو للتأمل.
- الشعر التعليمي والموسيقي والهرائي وما يسمى «urchin verse».
- الشعر الموروث شفويًّا كان أم مكتوبًا.
- قصائد لكتاب من ثقافات أخرى إلى جانب الكتاب البريطانيين.
- الشعر الذي يتحدث عن الرجال والنساء على حدٍّ سواء.
- الشعر الذي يتحدث عن الأولاد والبنات.
- الشعر الذي يتحدث عن الكبار والصغار على حدٍّ سواء.
- الشعر الذي يشتمل على الثقافة الشعبية وثقافة المتعلمين أيضًا.
- أن يشتمل أحيانًا على السجع والقافية وأحيانا أخرى لا يشتمل عليهما.

- أن يشمل الشعر المنشور وغير المنشور.
- أن يُكتب بالإنجليزية الفصيحة والعامية كذلك.

وكما يعلق W. H أو دين فإن قصيدة الأطفال الجيدة هي القصيدة الجيدة في نظر الجميع، إن ما يمثل شعرًا جيدًا (أو حتى الشعر نفسه) دائمًا ما يختلف من قارئ لآخر، إلا أن د. جونسون غالبًا ما يستشهد بالحكمة القائلة بأن الأدب الجيد هو ذلك الذي يساعدنا على التمتع بالحياة بشكل أكبر أو تحمل معاناتها بصورة أفضل، وهذا الرأي ما زال يمثل المعيار الملائم للأدب. إن القصائد الجيدة تدعونا إلى قراءتها مرة أخرى بمجرد الانتهاء منها ليس بسبب عدم فهمنا لها وإنما بسبب تأثيرها فينا، والقصائد الجيدة يمكنها من خلال الشكل أو المضمون ـ أو عادةً ما يكون كلاهما معًا ـ أن تشعرنا بالإثارة أو الارتياح وتبعث فينا أحاسيس الدهشة أو الهدوء وربما تضمنت كل أنماط العواطف والأفكار التي تقع بين هذا وذاك، إن القصيدة الجيدة تترك فينا أثرًا نتذكره ويمكننا أن نستحضره ثانيةً إلى أذهاننا بشكل مختلف قليلًا في كل مرة نقرؤها فيها، إن القصيدة الجيدة تقفز أبياتها إلى أذهاننا عندما نواجه ما تقذفنا به الحياة من مواقف على اختلاف أشكالها.

مشاركة صغار القراء في قراءة الشعر

نظرًا لأن القصائد الجيدة عادةً ما تمثل «نظرة جديدة» و«جلسة استماع جديدة» أيضًا طبقًا لرأي روبرت فروست فهي بحاجة إلى ان تُقرأ بصوتٍ عال لكافة القراء لاسيما الصغار. ويشير جيمس كارتر إلى أن كثيرًا من شعراء الأطفال المعاصرين مثله يتكسبون من خلال عملهم في الكتابة للمسرح وتأليف الكتب (كارتر 2007: 15)، ولكن معظم القصائد القديمة تحقق الفائدة من سماعها كما تتحقق من خلال عرضها ومشاهدتها، وهؤلاء الشعراء يذهبون إلى أبعد من ذلك ويشجعون الأطفال على حضور وأداء العروض الشعرية باستخدام تقنيات الدراما، وهو ما يسمح لهم بمعايشة تلك القصائد وسبر أغوارها بشكل مشترك وفعال، إن العروض الشعرية المنتظمة التي تخاطب مجموعة مختلفة من الجماهير تساعد على التأكيد على مقولة أن الشعر يحقق المتعة لكل من مؤدي العروض المسرحية والجماهير على حدٍّ سواء.

ولابد وأن يتوافر الوقت الكافي لقراءة الأفراد للقصائد على الصفحات على أن تتوافر أيضًا البيئة الصالحة لذلك، والأطفال بحاجة إلى أن تتاح لهم الفرصة لتصفح مجموعة من كتب الشعر في ظل مناخ يبعث على الارتياح، إن حقوق القارئ لكتب الشعر وفقًا لميثاق دانيال بيناك (2006) تتضمن ما يلي:

حقه في ألا يقرأ من البداية إلى النهاية ولكن أن ينغمس فيه، وحقه في أن يقرأ قصائده المفضلة عدة مرات، وحقه في قراءتها بصوت مرتفع، وحقه في أن يحفظها عن ظهر قلب، وحقه في قراءة أي شيء يعتبره شعرًا، وحقه في ألا ينهي كتاب شعر إذا لم يرُق له.

إن اختيار بعض المقتطفات الشعرية بناء على الآراء الشخصية، وبشكل موسع يعد وسيلة لامتلاك الأطفال للشعر وإدراك نموهم كقراء، ويمكن كتابة القصائد أو نسخها بالشكل والأسلوب الملائم وأن يصحبها الرسوم التوضيحية، ويمكن أن توضع المقتطفات الأدبية للأطفال إلى جانب تلك المطبوعة بالفعل لتكوين مكتبة شعرية أو التوسع فيها.

وتتحقق خبرات الأطفال اليوم من خلال وسائل التسلية المختلفة عن طريق تكنولوجيا المعلومات والاتصالات (ICT) سواء الوسائل السمعية أو البصرية على الكمبيوتر أو أجهزة التليفون المحمول أو أجهزة الـ MP3، وليس هناك ما يمنع من معايشة قصائد الشعر عن طريق هذه الوسائل أيضًا، إن أجهزة الـ ipod يمكنها أن تخزِّن بسهولة أعدادًا لا حصر لها من القصائد بالإضافة إلى إمكانية تحميل العروض الشعرية بالصوت والصورة، إن إحدى أفكار ميشيل روزين - الحائز على جائزة شاعر الأطفال بالبلاط الملكي - استمدها من ابنه وهي إنشاء موقع بنمط «YouTube» للعروض الشعرية.

ويمكن قراءة القصائد كل على حدة شأنها شأن أي عمل جيد، ولكن من المهم أن نتذكر أن نعيد تجميعها مرة أخرى بالشكل المناسب في آخر الأمر والتحقق من أنها ما زالت تحمل نفس الأثر، إن تأمل كيفية بناء الشاعر للنماذج الصحيحة من خلال اللحن والإيقاع والسجع والجناس واستعمال الكلمات التي يوحي لفظها بمعناها وغير ذلك من وسائل التعبير، أو كيفية بناء الصور البلاغية واللعب بالكلمات.. كل هذا قد يضيف نوعًا مختلفًا من المتعة إلى جانب مزيد من الفهم للقصائد، إلا أن القصائد الشعرية لا ينبغي أن تستخدم كذريعة للتركيز

على الصور البلاغية دون غيرها كتصيد الصور المجازية والاستعارة بغرض تسمية أجزاء القصيدة. وبعد أن نتأمل كل هذا نقوم بتقسيم القصائد إلى أجزاء حيث ينتقل الدرس المستفاد لننتفع به في سبر أغوار نص آخر مشابه في الملامح الأدبية أو الموضوع، ويجب أن تكون هناك قاعدة عامة تتمثل في قراءة القصيدة بصوت مرتفع مرة أخرى بعد أي نوع من التحليل الأدبي واللغوي بحيث نتذوق ما تحويه من أصوات وصور بشكل جديد بعد أن نرى كيفية التوافق فيما بينها.

وتشير الأبحاث إلى أن أولئك المدرسين وغيرهم من المتخصصين ممن يقرأون على نطاق واسع في مجال أدب الأطفال والذين يستمتعون بما يقرأون، والأهم من كل ذلك أن بإمكانهم أن ينقلوا هذا الشعور بالمتعة للأطفال .. هؤلاء هم أكفأ من يُعلِّم القراءة والكتابة، وهذا ينطبق أيضًا على الشِّعر الموجه للأطفال، إلا أن الانشغال بقصائد الأطفال يتيح فرصًا كثيرة تفوق مجرد اكتساب المهارات والمعرفة المهنية المفيدة، وبالنسبة لكثير من الكبار الذين يظل الشعر بالنسبة لهم مجرد كتاب مغلق أقول لهم: إن قراءة كتب الأطفال تتيح لهم الفرصة في العودة للاستمتاع بالشعر من جديد ربما للمرة الأولى منذ طفولتهم.

مراجع أخرى

Everyone should have their own 'top ten' list, including children, and this will change constantly as books are read or reread and new ones published. Sadly, poetry books tend not to stay in print for very long and therefore school and public libraries become important sources for out-of-print favourites. The following list reflects my tastes as a reader and teacher and is put forward in the spirit of 'try these and see if you'd add them to your list'. Many are inevitably old favourites, along with some newer arrivals:

قصائد مجمعة لشعراء مستقلين

Please Mrs Butler by Allan Ahlberg and illustrated by Fritz Wegner (Puffin, 1983). This favourite of teachers and pupils alike has to be on any list. Ahlberg uses songs, rhyming and non-rhyming poems to record the highs and lows of the primary school day. *Heard it in the Playground* (Puffin, 1989) continues the theme.

Collected Poems for Children by Charles Causley and illustrated by John Lawrence (Macmillan, 1996). Causley is the master of traditional rhyming forms, such as the ballad, and uses them to write about his own childhood and those of the children he

taught in Cornwall. Local folklore, nursery and playground rhymes inform many of his poems, but his range includes nonsense verse and non-rhyming forms too. He perfected the art of making language sing and dance, but asks difficult questions too.

Collected Poems for Children by Ted Hughes and illustrated by Raymond Briggs (Faber, 2005). Hughes wrote poetry for children throughout his career and the full range is collected here, from his early conventionally rhyming, humorous poetry to later free verse poems closer to his adult work, often dealing with the natural world, where close observation combines with use of myth and metaphor.

Mustard, Custard, Grumble Belly and Gravy by Michael Rosen and illustrated by Quentin Blake (Bloomsbury, 2006). This recent silver anniversary edition combines two previous favourite collections by Rosen along with new artwork by his long-time collaborator and predecessor as Children's Laureate, Blake. It also includes a CD of Rosen reading aloud all 45 poems in the book.

All the Best: Selected Poems by Roger McGough (Puffin, 2004). This selection of over 100 poems shows how McGough has perfected the art of being seriously flippant. His poems for children work through sharp wit, clever rhyme and wordplay, but the laughter they evoke often leads to moments of insight and reflection.

Plum by Tony Mitton and illustrated by Peter Bailey (Scholastic, 1998). A beautifully produced book of deceptively simple poems for primary age readers. Mitton has a real gift for using rhyme and rhythm, both in short lyrics and narrative ballads, which makes him Causley's natural heir. Read also *Pip* (Scholastic, 2001) and *Fluff and other stuff* (Orchard, 2001).

Songs and Verse by Roald Dahl (Cape, 2005). This selection, with pictures by no less than 26 leading illustrators, brings together poems from Dahl's novels with others from his themed collections such as *Dirty Beasts* and *Revolting Rhymes*. Dahl is the master of the comic rhyme, but his poems usually teach a lesson too, often a painful one!

Come on into my Tropical Garden by Grace Nichols and illustrated by Caroline Binch (A & C Black, 1988). This collection was one of the first to open a window onto a Caribbean childhood and many of the poems have become classics. Nichols uses the rhythms and language of Guyanese Creole to conjure up a tropical world at once exotic and familiar.

Let Me Touch the Sky by Valerie Bloom (Macmillan, 2000). This selection shows Bloom writing with gentle, ironic humour about life both in Jamaica and Britain in vigorous rhymes and rhythms. Bloom's poetry begs to be read aloud and performed.

Picture a Poem by Gina Douthwaite (Red Fox, 1999). Douthwaite has made the art of the shape or concrete poem her own in this and other collections. Not only is she wildly inventive in the design of her poems on the page, her poems also use rhyme and rhythm with great skill so that they work when read aloud as well as looked at.

مقتطفات أدبية مختارة

John Agard and Grace Nichols (eds), *Under the Moon and Over the Sea* (Walker, 2002). Over 30 poets, five different illustrators and 50 poems are included in this evocation of the land and sea, the food and folk tales of the Caribbean. The poems also deal with the experience of leaving as well as living there.

Brian Patten (ed.), *The Puffin Book of Utterly Brilliant Poetry* (Viking, 1998). Ten leading poets, each with his or her own illustrator, are included in this sampler of contemporary British poetry for children, along with brief interviews with each poet.

Gerard Benson, *This Poem Doesn't Rhyme* (Viking, 1990). A wide-ranging and influential anthology which demonstrates, using non-rhyming forms of all kinds from Shakespeare to Anon., that poems for children don't have to rhyme to be poetry.

John Foster, *101 Favourite Poems: Poets pick their favourite poem* (Collins, 2002). Foster, one of the most prolific and influential of anthologists, asked a hundred and one leading children's poets, including himself, to choose their favourite poem from their own work and to say why they chose it.

Roger McGough, *Sensational* (Macmillan, 2005). A well-chosen mixture of classic and contemporary poems, ranging from Wordsworth to Carol Ann Duffy, all inspired by at least one of the five senses.

إرشادات للكبار

Edgardo Zaghini and Deborah Hallford, *Universal Verse: Poetry for Children* (Barn Owl Books, 2006). An extensive guide for parents, teachers, librarians and other professionals to poetry books for children currently available.

Paul B. Janeczko, *A Kick in the Head: an Everyday Guide to Poetic Forms* illustrated by Paul Raschka (Walker, 2005). A lively and imaginative text that can be enjoyed in many ways: as a superbly illustrated anthology, a comprehensive reference guide and a stimulus for writing in a wide range of formats.

Morag Styles, *From the Garden to the Street: Three Hundred Years of Poetry for Children* (Cassell, 1998). An authoritative but very readable overview of poetry for children by an academic author who has done more than any other to promote the subject.

مواقع مفيدة

The Internet is a rich resource for children to use to find poems, post reviews or to share their own work. There are far too many sites to mention, but some particularly worth visiting by both children and adults are:

www.poetryzone.ndirect.co.uk

www.poetrylibrary.org.uk
www.childrenspoetrybookshelf.co.uk
www.poetryarchive.org
www.poetryclass.net

الفصل العاشر الكتب المصورة: نظرة فاحصة

جوديث جراهام

يتناول هذا الفصل:

- السبب وراء أهمية الكتب المصورة لصغار القراء.
- المصطلحات الفنية بصورة مرئية.
- مصادر مختلفة للكتب المصورة.



إن الرسوم التوضيحية هي فن ينتشر في كل مكان ليس في كتب الأطفال فحسب، ولكن في الكتب الموجهة لجميع الأعمار، وفي الأعمال الكوميدية والمجلات والإعلانات والملصقات وعبوات الأطعمة وشاشات الكمبيوتر والتليفزيون، وعلى الرغم من أن كثيرًا من هذه المنافذ تبدو من الوسائل العصرية الحديثة إلا إن تلك الرسوم قد أخذت في الانتشار على مدى أكثر من ثلاثة آلاف عام وذلك إذا ما أخذنا في الاعتبار ورق البردي الذي كان يستخدمه قدماء المصريين في الكتابة، وهذا الورق سبق الطباعة بحوالى 1500عام. إن الرسوم التوضيحية هي ببساطة مجموعة من الصور ترتبط بنص معين و«تلقي» عليه الضوء بكل ما تعنيه الكلمة من معنى، والرسوم التوضيحية في كتب الأطفال قد تتسم ببعض الزخارف البسيطة، إلا أنها غالبًا ما تهدف إلى شرح وتفسير معنى القصة الذي قد لا يكون متاحًا من خلال النص المكتوب وحده، وهناك تعريفان بليغان للكتب المصورة (بخلاف الكتب ذات الرسوم) ينبغي أخذهما في الاعتبار:

«إن الكتاب المصور يتضمن نصًّا ورسومًا وتصميمًا شاملًا وهو عبارة عن منتج صناعي وتجاري، ووثيقة تاريخية وثقافية واجتماعية، وهو يعد بمثابة الخبرة للأطفال، ومن الناحية الفنية يتسم بالعلاقة التبادلية بين الصور والكلمات، كما يتسم بالعرض المتزامن لصفحتين متقابلتين إلى جانب الأحداث الدرامية التي تشملها الصفحة التالية». (بادير 1976: 1)

«الكتب المصورة هي الكتب التي تستهدف الأطفال الصغار والتي تنقل لهم المعلومات أو تحكي لهم الحكايات من خلال سلسلة من الصور العديدة مصحوبة بنص صغير نسبيًّا وقد تخلو من النصوص تمامًا، وهذه الكتب فريدة من نوعها وتختلف عن كافة أشكال الفن المرئي أو الشفهي».

(نوديلمان – 1988: vii)

يُعرِّف كلٌّ من بادير ونوديلمان الكتاب المصور وفقًا لما سبق، إن الكتاب ذي الرسوم ـ على النقيض من الكتاب المصور ـ عادةً ما يشتمل على نص مكتوب تدعمه تلك الرسوم، ولكنه يمكن أن يؤدي دوره بدونها في الواقع لسنوات عديدة، والقليل جدًّا من الكتب المصورة يعاد طبعه بمجموعة مختلفة من الرسوم التوضيحية. إن النصوص ذات الرسوم غالبًا ما تظهر مرة أخرى برسوم جديدة، وتُعد قصة «مغامرات أليس في بلاد العجائب» هي التي حققت الرقم القياسي في إعادة الطبع برسوم مختلفة، وعلى الرغم من أن كلا من الكتب المصورة والكتب ذات الرسوم هما من الأشكال الفنية الصحيحة، وكلاهما يسهم بشكل كبير في أدب الأطفال إلا أن هذا الفصل يركز بصفة أساسية على الكتاب المصور، وليس على الكتاب ذى الرسوم.

ومن الخطأ أن نتخيل أن قراءة كتاب مصور هي عملية بسيطة، فعندما طبع كتاب جون بيرننجهام «come Away from the water, Shirley» أو «اخرج من الماء يا شيرلي» للمرة الأولى عام 1977 (انظر الجزء الإضافي للقراءة والمتعلق بكتب الأطفال المقترحة) بدا من الواضح أن كثيرًا من الكبار يتوقعون وجود صور تضاعف من حجم النص المكتوب، ومن ثم تنتابهم الدهشة إذا لم يتماش النص مع الصور المصاحبة له ويفشلون في رؤية التفاعل الأكثر ذكاءً بينهما، وهذا الكتاب ـ شأنه شأن الكثير من الكتب المصورة ـ يحتوي على عدد قليل من الكلمات ويمكن قراءته خلال فترة وجيزة، إلا أن الصور تحتاج إلى قدرٍ أكبر من الوقت والتمحيص حتى نفهم معانيها وتفاصيلها، إن الشرط الأول الذي يطالب به الطلاب عند تقييمهم للكتب

المصورة هو ترقبهم لكيفية تحفيز النص المكتوب للقارئ حتى يستمر في القراءة إذا ما استوقفته صورة ما وأبطأت من سرعة قراءته. وكما يقول نود لمان: «إن نوعية العلاقة الساخرة بين الحكايات المسلسلة، ومجموعة الوقفات اللحظية التي نمر بها في سلسلة من الصور هو جوهر رواية الكتاب المصور» (1988: 239).

ومن المهم أيضًا أن ندرك التفاوت والاختلاف الكبير بين الكتب المصورة وبعضها البعض. إن الصور ـ وفقًا لنظم القراءة ـ قد توضح ـ عن عمد ـ ما يوحي به النص المكتوب (هنا كلب، هنا كرة)، ولكن معظم الرسامين لهم طموحات تتعدى ذلك، فهم يأملون في تحقيق ما هو غير عادي أو غير متوقع في صورة قصة ثانوية، أو حيلة خداعية، وزخرفة سيريالية[1] تتسم أحيانًا بالتناقض والغموض والسخرية وذلك حتى في الكتب التي تخاطب أصغر الجماهير سنًّا. وعلاوةً على ذلك يرغب الكُتاب أيضًا في التركيز على اختيار أفضل الكلمات التي تخدم المعنى (كأسماء الأشياء والأشخاص، وما يقوله أبطال الحكايات وما يفكرون فيه، والتوقيتات الخاصة بالأحداث وترتيبها أو تسلسلها، والأحداث الجانبية أو الهامشية ـ إذا جاز القول) والتخلص من الكلمات الزائدة أو غير الضرورية والتي يظهر معناها من خلال الرسوم. والرسوم تهدف إلى خلق المناخ العام للقصة باستخدام الألوان بدرجاتها المتفاوتة ما بين الفاتح والداكن وبيان ما ترتديه الشخصيات من ملابس، وكذلك الوجوه وما يعلوها من تعبيرات عن شتى المشاعر، أو توضيح علاقتهم المكانية ببعضهم البعض، وطبيعة الأماكن التي تدور فيها أحداث القصة.

ويبدو أن الكتب المصورة تُنتج خصيصًا لأصغر الأطفال سنًّا إلا أننا يجب ألا ننسى عدد القراء الذين يعرفون ـ أو من هم بحاجة إلى أن يعرفوا ـ ما إذا كانوا يجدون متعة في الكتب أم لا. إن الأطفال الصغار عند بلوغهم ستة أشهر من عمرهم يميلون إلى مضغ كتبهم وهذا ما يفسر وجود الكتب «الممزقة». وقد يمسكون بالكتب بصورة عكسية «خاطئة»، وقد يُقلِّبون الصفحات من الخلف إلى الأمام وربما قلَّبوا عدة صفحات في نفس الوقت، إننا لا نتحدث هنا عن البراعة اليدوية فحسب، إن إدراك القراء أن القصة ذات تسلسل منطقي يتطلب منهم أن

(1) السيريالية: ما فوق الواقع، وهي مذهب فرنسي حديث في الفن والأدب يهدف إلى التعبير عن أنشطة العقل الباطن بصور يعوزها النظام أو الترابط ـ المترجمة.

يقرأوا القصة من بدايتها، وأن ينظروا من أعلى إلى أسفل، ومن اليسار إلى اليمين (على الرغم من أن هذا لا ينطبق على جميع النصوص) .. كل هذا يعد أحد الجوانب الهامة في تعليم الأطفال.

إن كثيرًا من كتب الأطفال تعتمد في سرد قصصها على الصفحات المزدوجة المتقابلة والتي قد لا تكون مرتبة بالضرورة من اليسار إلى اليمين، وبالتالي فإنه يجب تعلم قراءة تلك الصفحات، وقبل أن نتحدث بالتفصيل عن أنواع الكتب المصورة علينا أن نتعرف على بعض القواعد والعادات الخاصة بقراءة الكلمات والصور، وفيما يلي مسرد بالمصطلحات الفنية في هذا الصدد.

الطباعة على أساس تغطية الصورة لجانب أو أكثر من الصفحة:

الصورة في هذا النظام تمتد حتى حافة الصفحة دون أن يكون لها إطار ودون أن تترك أية هوامش، وتهدف إلى جذب انتباه القارئ بشكل أكبر إلى الصورة. «الإطار».

الإغلاق:

وهو يتعلق بصفة خاصة بالنصوص الكوميدية، وهذا يشير إلى الطريقة التي يجب على القارئ أن يفسر بها الفجوة من المعلومات بين إطار وآخر. (ماك كلاود – 1994، 60 – 93).

امتداد الصورة على صفحتين مزدوجتين:

في افتتاحية الكتاب المصور حيث تمتد الصورة على صفحتين متقابلتين «افتتاحية الصفحة».

الصفحات النهائية:

هي تلك الصفحات التي تلي الغلافين الأمامي والخلفي مباشرةً. وهذه الصفحات هي التي تحمل مقدمة القصة ونهايتها على الرغم من أن الرسام يمكن أن يستخدم الصفحات النهائية في أغراض زخرفية أو رمزية، والكتب المصورة ذات الغلاف الورقي أحيانًا ـ وللأسف ـ ما تتم طباعتها بدون الصفحات النهائية الأصلية.

الشكل:

وهو عبارة عن شكل الكتاب وحجمه المادي، ويتسم الشكل الذي يوضح صورة شخص

ما بالطول بينما يتسم الشكل الذي يوضح صورة منظر طبيعي بالعرض والاتساع. والاختيار يجب أن يخضع لطبيعة الرسوم حيث يستخدم البورتريه (صورة الشخص) بشكل عام عندما يتطلب الأمر التركيز على شخصية معينة بينما تستخدم صورة المناظر الطبيعية حينما تكون الخلفية المكانية أكثر أهمية.

الإطار:

هو عبارة عن الحدود المحيطة بالرسم التوضيحي والذي قد يكون ببساطة هو الهامش الأبيض للصفحة، وقد يكون خطًّا مطبوعًا أو خطًّا مرسومًا باليد أو على شكل شريط زينة. وغالبًا ما يُطلق على الرسومات المستقلة بصفحة ما أُطُرٌ مستقلة، وعندما تخرج الصورة عن الإطار يحتاج الأمر إلى مغزى إضافي وإلى زيادة التوسعة. (كما في كتاب «مفاجأة هاندا» للكاتبة إيلين براون حيث نجد مجموعة كبيرة من ثمار اليوسفي تخرج عن إطار الصورة لجذب انتباه القارئ للنهاية السعيدة للقصة).

ويستخدم «الإطار» أيضًا من حين لآخر لغرض مختلف تمامًا للدلالة على كافة المعلومات المتعلقة بالكتاب بخلاف النص ذاته أي تلك البيانات الخاصة باسم المؤلف والرسام وعنوان الكتاب ووصف محتوياته والجوانب المتعلقة بالطباعة وتفاصيل النشر وغير ذلك من البيانات الخاصة بالكتاب.

المساحة البيضاء بين الهامشين الداخليين:

وهي المساحة الموجودة في منتصف الكتاب بين الهامشين الداخليين لصفحتين متقابلتين. وهي أيضًا المساحة بين الأُطُر بالنصوص الكوميدية أو بين إطارين مختلفين بنفس الصفحة بالكتاب المصور.

افتتاحية الصفحة:

عندما تكون الصورة الموجودة على يمين الصفحة تختلف عن تلك الموجودة على يسارها.

قلب الصفحة:

إن قلب الصفحة بالكتاب المصور هي تجربة تختلف عن مثيلتها بالكتاب ذي الرسوم حيث

يتطلب من القارئ التوقف وتتبع الصورة، وفي نفس الوقت يتتبع النص المكتوب (إن وجد) لاسيما إذا استدعى الأمر تغيير الصفحة في منتصف الجملة كما هو الحال في قصة موريس سنداك «Where the wild Things are ?» أو «أين توجد المخلوقات المتوحشة؟». وأحيانًا ما يقوم النص بتنبيه القارئ إلى الصورة التالية، وبذلك يتوقع القارئ ما سوف يراه بينما يقلب الصفحة، وقد تكشف الصفحة التالية عن مفاجأة مدهشة أو شيء من هذا القبيل .. كل هذا يمثل إيقاعًا نمطيًا للكتاب المصور سواء قُرئ بصوت خافت أم مرتفع.

Peritext: أو «الإخراج»

هو كل ما يتضمنه الكتاب بخلاف النص ذاته (cf - «الإطار» أعلاه)، وفي الكتاب المصور حيث تتضافر كل من الرسوم والنص المكتوب في تكوين نص الكتاب. وهي لا تشمل الرسوم على الرغم من إمكانية اشتمالها على رسوم الغلاف، وهي تخرج عن سيطرة كل من الكاتب والرسام، وتقع ضمن مهام القائمين على التصميم والطباعة والنشر والدعاية والتسويق.

استخدام التصوير الزيتى والأيقونات بشكل متتابع:

ترتبط النصوص الكوميدية ارتباطًا وثيقًا بالأُطُر ذات التصوير الزيتي أو الأيقونات بشكل متتابع في القصة.

(على النقيض من الأطر التقليدية التي تجدها في الرسوم التوضيحية).

الريكتو Recto:

هي الصفحة اليمنى للكتاب.

الكلمات المحاطة بالدوائر:

غالبًا ما توجد بالنصوص الكوميدية والنصوص التصويرية، وهي تشير إلى حوار ذي أسلوب معين، وهي عادةً ما ترتبط بالصور الزيتية ويتم تركيبها عليها، وهذه الكلمات المحاطة بالدوائر غالبًا ما تتجاوز حدود الأُطُر (انظر الأصل) ويمكن استخدامها لتحديد المتحدث أو لنقل الصوت.

درجة اللون:

مستوى الألوان المستخدمة في الصور من حيث اللمعان والدرجات من الفاتح إلى الداكن.

فيرسو Verso:

هي الصفحة اليسرى للكتاب.

زاوية الرؤية:

الزاوية التي يستطيع القارئ مَن خلالها أن يرى الرسوم، وقد تكون زاوية ثابتة إذا كان القارئ يرى الصورة بأكملها من خلال نفس النقطة، ويمكن أن يقوم الرسام بتغيير زاوية الرؤية ربما من مكان مرتفع حيث يمكن رؤية المشهد بأكمله من أعلى إلى مكان منخفض حيث تغطي الصورة المكان بأسره.

وثمة تحديات أخرى فكرية وأخرى متعلقة بالإدراك الحسي والتي تواجه الأطفال الصغار. فإذا نظرت من النافذة فالمنظر الذي أراه يمكن أن نصنع منه صورة، إلا أنه يختلف اختلافًا تامًّا عن الصورة المطبوعة خاصة وأن كل شيء يتحرك، فكيف يتسنى لنا أن نقبل الصورة الثابتة؟ كيف لنا أن نعرف أن الأشياء الموضحة من خلال بُعدين ـ والتي أحيانا ما تبدو صغيرة جدًّا وأحيانًا أخرى تبدو كبيرة للغاية ـ تعكس الأشياء المشابهة لها في واقع الحياة؟ لماذا نقبل بوجود خطوط عريضة تحيط بالأشياء المرسومة، وعدم اكتمال بعض هذه الرسومات، وانعدام الخلفيات في بعض الأحيان حتى يبدو وكأن الشخصيات تسبح في الفضاء؟

وثمة تحدٍّ آخر يكمن في مطالبة الطفل بتصديق أشياء من المحال أن يواجهها في واقع حياته؟ ربما كان هناك أكثر من نصف الإنتاج من كتب الأطفال التي تصور الحيوانات والألعاب باعتبارها شخصيات وغالبًا ما ترتدي الملابس، وعادةً ما تتحدث، وتعيش في بيوت آدمية عادية وتتصرف مثلها مثل الآدميين. ثم إن هناك فريق كامل من الساحرات والأشباح والعفاريت والتنين وغير ذلك من الأشياء التي تصوَّر لنا والتي ليس لها مثيل سوى في خيالنا (إن وجد). وحتى إذا كان الأطفال هم الشخصيات الرئيسية فهم يظهرون في القصة بمفردهم، بمعزل

عن الكبار الذين يتولون أمورهم، وغالبًا ما يقومون بمغامرات مستحيلة، وبالطبع فإن مثل هذه الكتب تحظى بإعجاب الأطفال لعدة أسباب ترتبط بحياتهم الخاصة وسعادتهم لانقلاب الأشياء رأسًا على عقب وابتهاجهم بحياة الفوضى، وعلى الرغم من ذلك فيجب علينا أن نأخذ في اعتبارنا سمات الكتب المصورة ونعلمها لأطفالنا أيضًا.

وإذا كان المستجدون في هذا المجال يطمحون في أية فرصة لشق طريقهم من خلال الثروة المتاحة من الكتب المصورة والكتب ذات الرسوم فإنه يتعين عليهم أن يلزموا أنفسهم بنظام معين في هذا الشأن، وقد اخترت أن أقسم هذا المجال إلى أربع فئات نناقش من خلالها القليل من العناوين الممثلة لكل فئة.

الكتب المصورة

تضم هذه الفئة تلك الكتب التي تحتوي على أقل قدرٍ من النصوص المكتوبة، والمصممة خصيصًا للاستمتاع بتلك الصور والتأمل فيها، والنص المكتوب ليس محدودًا فحسب ولكنه غالبًا ما يكون محددًا أيضًا بمعنى أنه يفتقر إلى التنوع والتباين كما هو الحال بمعظم كتب تعليم الهجاء ومبادئ الحساب، إن مبدأ التنظيم فيما يتعلق بالحروف الهجائية ربما يكون مفقودًا لدى معظم الأطفال ممن يطالعون تلك الكتب على الرغم من أن تسمية الأشياء المصورة من المؤكد أن تكون بمثابة لعبة تهدف إلى تنمية عقول الأطفال،أما الكتب التي تتضمن بعض المفاهيم والتي تهدف إلى تعليم الأطفال الألوان والأشكال والمواد والحيوانات وأشياء أخرى كثيرة تندرج أيضًا تحت هذه الفئة، وعلى حين نجد أن هناك قيودًا واضحة بشأن ما يمكن عمله إزاء النص المكتوب بمثل هذه الكتب فإن العقبة الكؤود تتمثل في كيفية جذب الرسامين لها. وهناك كتب لتعليم الأبجدية يرجع تاريخها إلى منتصف القرن الثامن عشر (ويمكننا القول بأن كتب الأطفال قد بدأت حينئذٍ)، أما القرن التاسع عشر فقد شهد إنتاج الكثير من تلك الكتب (لكتاب مثل إدوارد لير وكيت جرين أواي على سبيل المثال) وهذه الكتب ما تزال موجودة حتى اليوم. أما في عصرنا الحالي فهناك آلاف من كتب تعليم الحروف الأبجدية وآلاف من كتب تعليم مبادئ الحساب وربما عشرات الألوف من الكتب التي تتضمن بعض المفاهيم. ويتسم كثير من هذه الكتب بقدرٍ كبير من الإبداع والابتكار باعتبارها أعمالًا فنية، وقد انجذب الكثير

من الرسامين الموهوبين لإنتاج كتب مصورة في فترة من فترات حياتهم، وكانت محاولاتهم الأولى رائعة.

وهيلين أوكسنبري هي إحدى الرسامات في مجال قصص الأطفال ولذا فإن كل صورة بسيطة في كتابها «أبجدية الأشياء ـ ABC of Things» تحمل أصل القصة.

لذلك فهي ترشد الأطفال إلى ملاحظة السبب والنتيجة: فهناك أربعة أنواع من المخلوقات في هذا الكتاب الطفل والدب والطائر وحيوان العزير يتسلقون مخبزًا قديمًا، وهذه المهارة المشار إليها لها أهميتها عند قراءة النصوص المكتوبة مستقبلًا، ومن وقت لآخر تغطي الصورة صفحتي الافتتاحية وهو ما يغير من إيقاع القصة بشكل متناغم. والقارئ الصغير غير مطالب بالربط بين الصفحات الافتتاحية، ولكن الكتاب يتجاوز حدود تعليم الهجائية وفقًا لما تتضمنه كل صورة من أحداث القصة، إلى جانب المزج بين الصور وأحداث القصة بصورة مدهشة إلى جانب الحس الفكاهي والرسم المتقن.

وربما كان العد الحسابي هو نشاط يقوم به الأطفال حتى قبل أن يتعلموا الحروف الهجائية. إن دعوة الأطفال إلى عالم الأرقام والعد الحسابي يثير شغف الرسامين، ونجد في «كتاب العد الحسابي» للكاتبة «أنو» أن ميتسو ماسو أنو يطلب من القراء أشياء معقدة، وكل صورة لها إطار وتُقرأ من زاوية ثابتة وهي توضح منظرًا طبيعيًا يشطره أحد الأنهار إلى نصفين، ولكن مع تزايد الأرقام تتزايد أيضًا أعداد الأطفال والكبار والطيور والمباني والأشجار والحيوانات وغيرها كثير. ويطلب من الأطفال المتابعين للقصة أن يُحضروا ما قاموا بعدِّه وأن يصنِّفوه ويقومون بمضاهاته من صورة لأخرى، لذلك يرى القارئ في الصفحة الأولى شمسًا واحدة وبيتًا واحدًا وولدًا واحدًا وبنتًا واحدة، ولكن بالنسبة للرقم (2) فالأمر يحتاج إلى تحفيز الذاكرة بشأن ما حدث في الصفحة السابقة، لذلك فعندما توضح الصورة أن كنيسة ما قد بُنيت فعندئذٍ يتعين علينا أن نتحدث عن مبنيين. وبالمثل يصبح هناك طفلان الولد والبنت، وقد قامت أنو بجمعهما معًا، وهكذا كلما زادت الأرقام كلما زاد عدد الشخوص أو المباني أو الحيوانات بالصور، فمثلًا نجد قطتين في مواجهة ثلاث قطط، لذا فهناك أيضًا فرصة لممارسة عملية الجمع وليس العد فقط.

وهناك كتاب مثير للاهتمام يتضمن بعض المفاهيم البسيطة والذي يمكن مناقشته هنا أيضًا ضمن فئة الكتب المصورة الخالية من الكلمات حيث يكون عنوان الكتاب هو العبارة الوحيدة المكتوبة. وهذا الكتاب هو «الألوان ـ The Colours» والذي وضعه الرسام السويسري موينك فيليكس، والقصة عبارة عن أن فأرًا قَرَضَ جزءًا من الكتاب (بحيث نجد أن الغلاف السميك للكتاب غير مكتمل وأن هناك علامات لأسنان الفأر) وأخذ يسير جنبًا إلى جنب بمحاذاة فتاة صغيرة نراها تغادر الحجرة، ويتم تعريف القارئ بالألوان الثلاثة الأولى من خلال الفأر الصغير الذي يضغط على أنابيب الألوان ثم يجري نحو الصفحة اليسرى الخالية بفرشاته المحملة بالألوان. وبعد جهد جهيد يضغط على أنبوبتين في نفس الوقت ليستخدم اللون الأخضر ثم البرتقالي ثم الأرجواني.

وبالإضافة إلى فهم ما تشير إليه الصور في مثل هذه الكتب وهو ما يحتاج إليه الأطفال حتى يتمكنوا من فهم الكتب النصية فيها بعد فهم بحاجة أيضًا إلى أن يدركوا أنه على الرغم من أن الفأر قد ظهر عدة مرات في صورة واحدة فهذا لا يعني أن هناك عدة فئران بالقصة. وعلاوةً على ذلك فهناك فجوات بين الصور وبعضها البعض، وخطوات العَدْو ليست موضحة بأكملها، ولذا فعلى الأطفال أن يضعوا الخطوط المناسبة للأحداث غير المصورة.

الكتب المبتكرة أو غير المألوفة:

تضم هذه الفئة تلك الكتب التي تتطلب من القارئ أن يشد مقابضًا أو يدير أقراصًا أو يكشف عن بانوراما ثلاثية الأبعاد عندما يقوم بتقليب الصفحة، وينتزع أشياء من الأظرف أو الجيوب، ويفرد صفحات مثناة، وينظر من خلال ثقوب أو فتحات، ويقلب أنصاف الصفحات ويتفاعل مع الكتاب بطرق أخرى كثيرة. ولفظ «المحمول» أو المنقول «Movable» هو اللفظ الأكثر دقة لوصف تلك الكتب التي يستخدم فيها القارئ إحدى الوسائل المادية في التعامل مع الكتاب. ومثل هذه الكتب تشبه اللعب أكثر من غيرها على الرغم من أنها أكثر رقة وهشاشة من اللُّعب. وأفضل هذه الكتب هي تلك التي يتسم تصميم صفحاتها بالمهارة وفي نفس الوقت ترتبط ارتباطًا وثيقًا بأحداث القصة.

ومن بين الكتب المبتكرة الأكثر نجاحًا هي تلك المصممة للأطفال الصغار، والتي تشتمل على

ثقوب أو أنصاف صفحات ... إلخ. ومن الأمثلة الرائعة على هذه الكتب كتاب «Dear Zoo» للكاتب رود كامبل وكتاب «Peek – a – boo» للكاتب جان أو رميرود، وكتاب «Where Does Maisy Live» أو «أين تسكن ميزي؟» للكاتبة لوسي كازينز نظرًا لأن الصفحات المثناة كانت جزءًا لا يتجزأ من القصة، لذا فإن كل حيوان يتم إرساله للراوي في قصة «Dear Zoo» يصل في السلة أو الصندوق أو القفص الخاص به، وعلى القارئ أن يخرجه من هذا القفص قبل إعادته ثانيةً.

أما في قصة جان أرميرور «Peek – a – boo!» نجد الأطفال يلعبون اللعبة اللانهائية والمسماة Peep – bo لرؤية وجوههم، وعلى القارئ أن يعيد المنشفة والثوب واللحاف والصدرية والأيدي ذات القفازات. والبحث عن ميزي يتطلب فتح عشة الدجاج وزريبة الخنازير ومكان تربية الكلاب وإسطبل الخيول قبل أن يتم العثور عليها في بيتها.

وثمة مشكلة واحدة فيما يتعلق بهذا النوع من الكتب وهو وجود عامل توتر بين الراوي الذي يريد أن يقلب الصفحات ويستكمل الأحداث وبين الطفل الذي يريد أن يكتشف ما يضمه الكتاب من ألعاب مثيرة كتلك التي ذكرناها آنفًا، ومن المؤكد أن كتابي «The Jolly Postman» للكاتبين جانيث وآلان ألبيرج و«Little Bo Peep's Library Book» للكاتبة كريسيدا كاول يتطلبان من القارئ أن يقاطع الراوي لقراءة الأحرف والكتيبات الصغيرة والتي تتضمنها النصوص ذاتها، ولكن كما هو الحال بالنسبة لجميع الكتب المصورة التي تتطلب بطبيعتها التوقف لتأمل الصور، فهذه الكتب غالبًا ما يطالعها القراء مرارًا وتكرارًا، لذا فإن الانزعاج الذي يشعر به الراوي أثناء روايته للقصة قد لا يعاني منه سوى في المرة الأولى. وبالإضافة إلى ذلك فمقاطعة الطفل للراوي من حين لآخر ـ بغرض تأمل الصور أو ممارسة الألعاب البسيطة بالكتاب ـ تعطي للراوي لحظات من الراحة قبل أن يلتقط الخيط من جديد مواصلًا القراءة. ولهذه الأسباب فإن قراءة مثل هذه الكتب تختلف عن قراءة سائر الكتب الأخرى، فالأشكال أو المجسمات الداخلة ضمن القصة يمكن قراءتها فيما بعد أو قبل الاندماج في رواية القصة، ونحن لا نعرف الكثير عن كيفية قراءة هذه الكتب من جانب جمهور الأطفال المستهدفين منها، وعن أثرها على عملية القراءة. إن ما نعلمه علم اليقين أن الكتب ذات قيمة عظيمة، وأن الأجزاء غير المحكمة منها لم تُفقد كما كان يُخشى من قبل، وهو ما يشير إلى الاهتمام بالكتب والاعتراف بأن تلك الأجزاء هي جزء لا يتجزأ من القصة.

الكتب الخالية من الكلمات

إن الكتب المصورة الخالية من الكلمات بخلاف عنوان الكتاب تمثل جزءًا صغيرًا من مجموع الكتب المصورة، إلا أنها تعد نوعًا فرعيًّا يستحق الاهتمام، وهذا النوع من الكتب يجذب الكثير من الرسامين ربما لأنها تمثل تحديًا من خلال استبدال الصور بالكلمات في رواية القصة، أو لأنهم يتنبأون بأن كتبهم ستحظى بإقبال أولئك الذين يحترمون أهمية الصور ويستمتعون بفحصها وتأملها عن قرب. ونظرًا لعدم إمكانية تنبيه القارئ ـ من خلال الكلمات ـ بشأن ما تحويه الصور من معانٍ مهمة وما تفتقده من تلك المعاني فإن قراءة الكتب الخالية من الكلمات ليست بالأمر الهين كما يعتقد البعض في غالب الأمر، وريثما يتعرف الأطفال على شكل القصة وكيفية بنائها فيمكنهم أن يدركوا كيفية سرد القصة الخالية من الكلمات بحيث يتعرفون على تفاصيل كل ما يحدث وكلاهما يدعو إلى اللبس والإرهاق، إن الأعمال التي قدمتها (جراهام – إيفان، 1998) مثل كتاب «المهرج» للكاتب كوينتين بليك توحي بأن الافتقار إلى الخبرة في مجال رواية القصص فضلًا عن التعليم المرئي هي المشكلة التي تواجه الأطفال عند محاولتهم إعادة بناء القصة في شكل كلمات بعد أن شاهدوها في شكل صور، إن القارئ المشاهد للصور والذي يفتقر إلى الخبرة لا يمكنه أن يدرك دائمًا مغزى الأحداث وتسلسلها، كما أنه لا يستطيع مثلًا عند قراءة قصة «المهرج» أن يُجمِّع مختلف الأنشطة المصورة التي توضح الأعمال المنزلية بحيث يقول «السيدة تنظف المنزل». ومع الخبرة تتحقق القدرة على إدراك كل من النقاط العامة وموقعها في القصة، بمعنى أن التعليم المرئي هو أمر مهم بالتأكيد والرسامون المختصون بتلك الكتب غالبًا ما يستخدمون لغة ذات علاقة وثيقة بالنصوص الكوميدية وأفلام الكارتون (الرسوم المتحركة) التي تستخدم تسلسلًا مصورًا، وبالتالي فالكتاب المصور الخالي من الكلمات قد يستخدم أُطُرًا أخرى كثيرة تفوق ما يستخدمه الكتاب العادي وذلك لسد ثغرات القصة. ويمكن أيضًا استخدام مجموعة من «اللقطات» الطويلة والمتوسطة والمقفلة لتركيز انتباه القارئ على المشهد العام والعناصر الهامة من ثم المشاعر الرئيسية أو التعاملات التي تدور بين شخوص القصة. وعلاوةً على ذلك فإن وجهة النظر غالبًا ما تختلف أيضًا وفقًا لما يحتاج إلى تأكيد، ويمكن استخدام الألوان بشكل متعمد بما يفوق استخدامها في الكتاب ذي الكلمات بغرض تمييز المناخ العام للقصة.

ويحتوى الكتاب المصور الخالي من الكلمات «شروق الشمس ـ Sun shine» للكاتب جان أور ميرود على سبعين صورة مختلفة، وهناك ثمانية عشر إطارًا صغيرًا توضح صورة فتاة صغيرة لم يستطع والداها أن يستيقظا، فارتدت ملابسها بنفسها في الصباح. مثل هذا التسلسل في الأحداث يجذب القارئ، ويحسب للمؤلف أيضًا الملاحظة الدقيقة والقرارات الحاسمة بشأن كيفية الحفاظ على حيوية الصور، على سبيل المثال نجد أن كثيرًا من ملابس الأطفال تدخل ضمن إطار مجاور، وللدلالة على الحركة توضح أورميرود شخصياتها بشكل مقابل للإطار وليس بداخله بحيث يبدو الموقف وكأنهم يدخلون المسرح أو يغادرونه إلى الأبد، وللحفاظ على التنوع في النص نجد أن هناك عدة صور تملأ الصفحات بأكملها، هذه الصور تدل على أشياء عادةً ما تكون ثابتة نسبيًا كصورة الأب والأم وهما نائمان. إن مصممى الكتب المصورة الآخرين يستخدمون كلًّا من الأطر الصغيرة المتعددة والمشاهد المتقطعة ذات المساحة الأكبر، كما لو كانت الكاميرا قد تراجعت. ومن هؤلاء بيتر كولينجتون وفيليب دوباسكوير وشيرلي هوجز وريموند بريجز، وقد استخدمت الكاتبة مونيك فليكس ـ في كتبها الخالية من الكلمات عند تصويرها للفأر الذي يقع في الشَرك ـ اسخدمت الصفحة بأكملها (وهي صفحة صغيرة) وليس الإطار فقط حتى تحكي القصة الخالية من الكلمات.

والرسام الأسترالي جينى بيكر يصمم أيضًا كتبًا خالية من الكلمات للقراء الأكبر سنًّا مثلما يفعل الأمريكي ديفيد ويسنر. وفي كتابه (Window) يجعل جيني بيكر القارئ ينظر إلى نفس النافذة ومن خلالها أيضًا، ولكن السنوات تمر وتسجل بعض التغييرات التدريجية، والأثر التراكمي يتسم بالاعتدال حيث إن الطبيعة تمهد الطريق للعالم الحضرى. وقد استخدم بيكر ـ في أعماله التصويرية عدة وسائل مرئية للدلالة على مرور الزمن بنمو الطفل (كروت عيد الميلاد على حافة النافذة، تقادم اللعب وتحطمها) هذا إلى جانب التغيرات التي تحدث فيما وراء النافذة من خلال بعض التغيرات البيئية الأخرى كقطع الأشجار ووضع لافتة بديلة تعلن عن مزاد لبيع حطب الوقود، ويعتبر كتاب «Tuesday» للكاتب ديفيد ويسنر نموذجًا لأعماله، وهو كتاب حظي بتقدير القراء الأكبر سنًّا. وتبدأ القصة قبل الصفحة المعنونة باسم الكتاب. (وغالبًا ما يحتاج الرسامون إلى استغلال كل صفحة من الصفحات الاثنتين والثلاثين التي يتضمنها الكتاب المصور بوجه عام)، وتبدأ الضفادع في الصعود من سطح البحيرة وقد جلست كل منها

على سجادتها السحرية الخاصة بها، ويبدأ عدد الضفادع في التزايد مكونةً أسطولًا صغيرًا طافيًا بينما يقضون ليلة عاصفة في البلدة، وهناك نهايتان مقترحتان، والكتاب يستحق الدراسة ليس لاستخدامه التقنيات السينمائية فحسب (المواجهة بين الضفدع والكلب تُحكى في ثلاثة صفوف أفقية وهو ما يعطي قوة دفع وحركة للأحداث) ولكن بسبب تفاصيله الفكاهية المصورة بشكل أضعف مما تقتضيه الحقيقة أيضًا (استخدم أحد الضفادع لسانه في تغيير القنوات بالريموت كنترول) هذا إلى جانب استخدام اللون الدال على الليل بطريقة سحرية وبعض الإشارات للخيال العلمي وكذلك الرسوم المتحركة والأفلام الصامتة والأدب المعتمد على البطل ذي القوى الخارقة (السوبر).

القصص المصورة

تعتبر قصة موريس سنداك: «Where the wild Things Are» والتي طبعت عام 1963 أول كتاب مصور له. وقد لاقت كتبه الأولى إعجابًا شديدًا كما كانت تضم رسومًا جميلة، ولكن ـ شأنها شأن كثير من الكتب ـ فهي تعتبر حتى يومنا هذا كتبًا شاملة للصور وليست كتبًا مصورة إن وصول هذه القصة إلى الولايات المتحدة الأمريكية ثم إلى المملكة المتحدة جعل النقاد يخشون من أن تصيب الأطفال بالرعب والفزع وطالبوا بحظرها، وعلى الرغم من ذلك فقد أُعجب الأطفال بالقصة وما زالت تلقى الإعجاب حتى اليوم، وهي تحكي عن ماكس الذي أُمر بالتوجه إلى الفراش دون تناول العشاء بسبب تصرفه بصورة همجية غير لائقة، والقصة تتحدث إلى الأطفال بشكل مباشر عن مشاعرهم القوية (كالغضب والرغبة في التسلط والتحكم في مجريات الأمور واشتياقهم إلى الحب) كما أنها تدرك أنهم يعيشون في عالم الخيال مثلما يعيشون في عالم الواقع تمامًا.

وهذه القصة تعتبر اليوم علامة بارزة حيث نجحت في الجمع بين أشياء كثيرة معًا، وهي قصة لا تُنسى حيث تشتمل على جمل إيقاعية تمتد إلى عدة صفحات، كما تضم رسومًا توضيحية تجذبنا نحو عالم «ماكس» بطل القصة سواء كان غرفة نومه أو «أرض الوحوش» التي سافر إليها.

وبعض كتب الأطفال المصورة قد تتضمن عنصر الإثارة والحركة، والبعض الآخر يهدف إلى الفكاهة والمرح، وبعض الكتب المصورة تترك القارئ يتأمل رسالة واقعية من خلالها،

وبعضها يخلو من أية رسائل على الإطلاق، وبعض الكتب المصورة يشكل نصًّا مركبًا يشترك فيه كل من النص والصور في رواية القصة على حين نجد أن البعض الآخر يكتفي بالنص في سرد أحداثه بينما تقوم الرسوم بإضافة مؤثرات أخرى.

وتشتمل بعض الكتب المصورة على رسوم زيتية يمكن عمل إطار لها وتعليقها على الحائط، وبعض الرسامين يستغلون بمهارة الوسائل الرقمية الحديثة لإضافة بعض الملامح التصويرية وغيرها إلى الرسم الخطي. وقد شهد الكتاب المصور تطورًا كبيرًا منذ عصر سنداك حتى بلغ مرحلة الكتاب ذي الحجم المتوسط متعدد الجوانب والذي يمكنه أن يروي القصة على مستويات مختلفة وبمؤثرات متباينة.

إن قصة «Beegu» تحكي عن كائن صغير غريب بائس أصفر اللون له ثلاثة عيون تهبط إلى الأرض، ولكنها تجد نفسها منبوذة ومُهملة من الجميع فيما عدا بعض الأطفال الذين يلهون في أحد الملاعب، وفي آخر الأمر يصل والداها من الفضاء لإنقاذها وعندئذٍ تقول بيج: إن أي أمل في المخلوقات الأرضية يكمن في الأطفال الصغار فحسب، والقصة لا يتجاوز عدد كلماتها مائة وخمسين كلمة، وهي لا تتسم بالإفراط في العاطفة، ويستخدم الكاتب / الرسام أليكس ديكون رسوماته لتحقيق ثلاثة أغراض هامة (على الأقل)، أولًا أنه يثير قلق القارئ واهتمامه ببطلة القصة عن طريق تصويرها واقفة حائرة في كل صفحة بلونها الأصفر الزاهي، كما أن الخلفيات المظلمة الكئيبة تزيد من تعاطفنا معها. ثانيًا: أن ديكون يخلق الحالة النفسية المطلوبة من القارئ من خلال مجموعة من الألوان التي تتراوح بين التركواز الداكن والأزرق السماوي بالإضافة إلى خلفيات من البني والرمادي، كما يتسم رسم الخطوط بالسلاسة والتناغم، وهناك قدر كبير من الفراغ حول المخلوق الوحيد.

وإيقاع الأحداث يتسم بالهدوء، والصفحات الواحدة تلو الأخرى تؤكد على الأحداث المتكررة وعلى عناصر البحث ومشاعر اليأس، وأخيرًا يستخدم الكاتب/ الرسام رسوماته في مد أثر النص الكتابي المحدود.

وعندما يقول النص ببساطة: إن الأطفال يريدون توديعها توضح الصور رفقاءها وهم يتجهون صوب مدرستهم الواحد تلو الآخر وقد منحوها أطواقهم، ونجد أُذُني بيج (يقفان)

بشكلها المستقيم كما هو الحال في جميع الرسوم دلالة على شعورها بالسعادة في بعض المواقف، وعندما تُشرف القصة على الانتهاء نجد أن الطوق يثير إعجاب والد بيج الذي يعتلي سفينة الفضاء التي جاءت لتنقذها.

إن موضوع هذه القصة ليس غريبًا على أدب الأطفال، وهو الهجران والشعور بالوحدة والنبذ والعزلة، إن كون بطلة القصة طفلة تشعر بالوحدة في بيئة غريبة يُمكِّن الكاتب من إشاعة جو العزلة من منظور مألوف لصغار القراء ممن يعرفون المشاعر المتقلبة، وعلاوةً على ذلك يتخذ موضوع العزلة صورة أخرى تتمثل في عدم القدرة على التواصل مع الآخرين، نظرًا لأن اللغة التي تتحدث بها بيج لا تستطيع المخلوقات الأرضية أن تفهمها ـ حتى وإن كانوا كبارًا ـ والقصة موظفة على عدة مستويات بما في ذلك الكناية عن حالة الأطفال اللاجئين.

ويمثل كتاب «من الخائف من الكتاب الكبير الرديء» بداية للكتاب المصور بشكل مختلف تمامًا، إن من قرأوا أعمال لورين للأطفال يعرفون أنها تستخدم الفكاهة إلى حدٍّ كبير لتصطبغ بها الكلمات والصور والتصميمات وأشكال الخطوط (البونطات) وكافة الجوانب المادية للكتاب. ومن ناحية أخرى نجد أن الرسم التجريدي في صورها يُكمل أسلوب الرسوم الكارتونية نظرًا لوجود العديد من الملصقات بالإضافة إلى استخدام الصور الفوتوغرافية، وعلى الرغم من أن الصفحات قد تصيب القراء بالذهول لأول وهلة لامتلائها بالصور بشكل غير منظم يجعلها صعْبة القراءة بعض الشيء إلا أن الشعور بالألفة يجعلنا نقدر براعتها وحسها الفكاهي. وعلى أية حال فمن المحتمل أن يتفوق الصغار على الكبار هنا نظرًا لأن قراءتهم لمثل هذه الصفحات هي نتاج تآلفهم مع ما يشاهدونه على الشاشة من أفلام، ويناقش كريس ـ في نقاط مفيدة ـ النصوص المتعددة الأساليب و«دروب القراءة» المختلفة التي يمكن أن نسلكها من خلال نصٍّ كهذا، وما تتطلبه عروض الشاشة من القارئ والتي يعتقد أنها تحل محل النصوص المعتادة». إن الاعتماد على الرسوم البسيطة هو بالتأكيد وسيلة غير مجدية للقراء (بالنسبة لمثل هذه النصوص والأساليب) (بيرن Bearne، 2003: 146).

إن مخالفة لورين للقواعد والأعراف الأدبية بشكل هزلي تضع أعمالها بالفعل في مقدمة الأعمال الحديثة حيث تحقق الأثر المنشود من خلال تحدي الأشكال التقليدية لرواية القصة ومحاكاتها على نحو ساخر وكذلك إبراز الشكل الأدبي والفني للكتاب، وربما كان المثير للدهشة

أن النص المكتوب يعرض بشكل مستقل عن الصور إلا أن هذا لا يقلل من شأن قصة «من الخائف من الكتاب الكبير الرديء». وفي الواقع فالكتاب يتضمن أحداثًا كثيرة يتمخض عنها قرار حكيم.

وعلى الرغم من ذلك فإن كتب الأطفال تبدو معقدة، فهي تظل كتبًا مصورة لصغار الأطفال، ومنذ عهد سنداك ظهر كم هائل من القصص المصورة التي استهدفت كثيرًا ممن هم أكبر سنًّا من القراء، فقد قام الكاتب الأسترالي جاري كرو بتأليف النصوص الكتابية للعديد من الكتب المصورة الموجهة للمراهقين. وتعد قصة «The water tower» أو «برج المياه» والتي وضع رسومها ستيفن وولمان قصة رعب تثير خيال القارئ بشكل كبير، وهي تحكي عن صديقين يقومان برحلة في أحد أبراج الماء المحلية، شيء ما يحدث لبوبا الولد الأكثر عصبية والذي يبدو مبتهجًا في آخر القصة.

ونجد الخلفيات الداكنة المحيطة بالرسوم وشكل البرج المائي الذي يتكرر مرارًا في كل مكان إضافة إلى القبعات التي يضعها الكبار على رؤوسهم، وفي الماء نجد مذراةً مشئومة يسقط ظلها، ويقع في شَرَكها الطفل بوبا، إن انتهاء القصة بشكل يجعل وجهه يبدو في صورة ضخمة وقد تملكه الرعب بحيث تمتد هذه الصورة على صفحتين متقابلتين ... كل هذه الأشياء تسهم في إحداث الأثر المستهدف من هذا النص المركب، إن طفلًا ذكيًّا في الثانية عشرة من العمر استطاع أن يحل اللغز حتى يشعر بالرضا الذاتي بأن زعم أن الكبار ممن شوهدوا وهم يقتربون من برج الماء قد قاموا بقذف بوبا بعيدًا وبالتالي تمكن من التغلب على مخاوفه، ولقد أصبحت القصة ـ بالنسبة لهذا القارئ ـ نموذجًا لأدب الرحلات، وهو أمرٌ مبالغ فيه.

وهناك عشرات الآلاف من الكتب القصصية المصورة. والكتب التي ناقشناها فيما سبق تختلف اختلافًا شديدًا فيما بينها، وهي تشير إلى نوعية الكتب المتوافرة وتعقيدها. إذن كيف نختار الكتب؟ مما لاشك فيه أن العمر والذوق الشخصي يوجهان هذا الاختيار، إن طفل الثالثة الذي عرفني بقصة «بيج» انتابته الحيرة والارتباك أمام قصة «من الخائف من الكتاب الكبير الرديء؟» أما التوأمان اللذان بلغا السادسة من العمر فقد قضوا ساعة يضحكون على كتاب لورين للأطفال، وكانا يأملان في اقتناء جميع كتبها التي تتميز بنفس المستوى من الإبداع. وهؤلاء ـ بدورهم ـ سيشعرون بالحيرة والارتباك ـ ناهيك عن الفزع ـ إذا ما قرأوا «برج الماء».

إن قصة «where the wild Thing Are?» أو «أين هي المخلوقات المتوحشة؟» ـ بعد أن تجاوزنا صدمتها الأولى ـ تبدو ذات تأثير سحري على جميع الفئات العمرية.

إن الكتب المصورة هي أولى نوعيات الكتب التي يصادفها الأطفال في العالم المتقدم. وهي تشكل الذوق الجمالي، كما أنها تكشف عن المبادئ والأعراف التي يعتنقها المؤلف، إنها تعد جزءًا من الثقافة الأدبية والفنية ولكنها تشمل التسلية أيضًا على جانب الحركة وإثارة التفكير والفكاهة، إن الكبار الذين يدرسون الكتب المصورة للأطفال يجدون أنفسهم حذرين من بعض العناصر المصاحبة للقصص أو الكتب التقليدية ذات الرسوم، إن أفضل الكتب المصورة هي عبارة عن تصميمات كاملة وأغلفة مدمجة ويتضمن كل منهما ورقة مطوية يلصق جانب منها على باطن الغلاف ويلصق الجانب الآخر عند قاعدة الصفحة الأولى أو الأخيرة، وهو مادة مطبوعة لها شكل وحجم ولون بالطبع، وإيقاع الكلمات له أهمية كبيرة إلى جانب التوازن بين الكلمة والصورة وكذلك الأحداث الدرامية التي تنتقل إليها عبر الصفحات، إن أفضل الكتب المصورة هي تلك التي تجذبنا وتسحرنا، على حين تجعلنا بعضها في حالة من اللامبالاة، إلا أن كافة الكتب المصورة تحتاج إلى قدرٍ كاف من الوقت نظرًا لأن مزاياها تتضح من خلال القراءة المتكررة الصبورة، وإذا ما أمكننا أن نُشرِك الآخرين في قراءاتنا وردود أفعالنا وأن نحتفظ بعقل متفتح فإننا نستحق أن ندخل عالمًا حافلًا (بالمكافآت).

وهناك كثير من الكتب المصورة الممتازة المتاحة مما يجعل من المحال أن نقدم قائمة معقولة لها في هذا المجال، والأعمال الأخرى التي أبدعها كتّاب ورسامون والتي ناقشناها في هذا الفصل جديرة بالاكتشاف شأنها شأن تلك الأعمال التي تتضمنها قائمة العناوين الهامة التالية

مراجع أخرى

كتب الأطفال المذكورة في هذا الفصل:

Many high-quality picturebooks are mentioned throughout this book, especially those for the very young. Seek out the following small selection of fascinating and thought-provoking picturebooks to get a taste of the how authors and artists have taken the genre beyond the 'childish' concerns. These books, and many others, make profound meanings, and occasionally discomforting themes, accessible to young readers. (Editor)

Ahlberg, A. and Ahlberg, J. (1986)*The Jolly Postman, or Other People's Letters.* London: Heinemann.

Anno, M. (1977) *Anno's Counting Book*. London: Bodley Head.
Baker, J. (1991) *Window*. London: Julia MacCrae.
Blake, Q. (1995) *Clown*. London: Jonathan Cape.
Browne, E. (1994) *Handa's Surprise*. London: Walker Books.
Burningham, J. (1977) *Come Away from the Water, Shirley*. London: Jonathan Cape.
Campbell, R. (1982) *Dear Zoo*. London: Abelard-Schuman.
Carle, E. (1970) *The Very Hungry Caterpillar*. London: Hamish Hamilton.
Child, L. (2002) *Who's Afraid of the Big, Bad Book?* London: Hodder Children's Books.
Cousins, L. (2000) *Where Does Maisy Live?* London: Walker Books.
Cowell, C. (1999) *Little Bo Peep's Library Book*. London: Hodder Children's Books.
Crew, G. and Woolman, S. (1994) *The Watertower*. Flinders Park, Australia: Era Publications.
Deacon, A. (2003) *Beegu*. London: Hutchinson.
Felix, M. (1991) *The Colours*. New York: Stewart, Tabori and Chang.
Ormerod, J. (1981) *Sunshine*. London: Kestrel Books.
Ormerod, J. (1997) *Peek-a-boo!* London: Bodley Head.
Oxenbury, H. (1967) *ABC of Things*. London: Heinemann.
Sendak, M. (1963) *Where the Wild Things Are*. New York: Harper and Row.
Wiesner, D. (1991) *Tuesday*. New York: Clarion Books.

كتب مصورة أخرى للأكبر سنًا

Chris Van Allsburg, *The Mysteries of Harris Burdick*, Houghton Mifflin Company
Martin Auer and Simone Klages, *The Blue Boy*, Gollanz
Raymond Briggs, *When the Wind Blows*, Penguin
Anthony Browne, *Zoo*, Red Fox
Gary Crew and Jeremy Geddes, *The Mystery of Eilean Mor*, Lothian Books
Michael Foreman, *War Game*, Pavilion Children's Books
Neil Gaiman and Dave McKean, *The Wolves in the Walls*, Bloomsbury
John Marsden and Shaun Tan, *The Rabbits*, Lothian Books
Ntozake Shange and Kadir Nelson, *Ellington was Not a Street*, Simon and Schuster
Shaun Tan, *The Arrival*, Lothian Books

A version of this chapter was first published in *Modern Children's Literature – an Introduction*, edited by Kimberley Reynolds and published in 2005 by Palgrave Macmillan. We are grateful for their permission to reproduce much of the chapter here.

الفصل الحادي عشر

عالم النصوص التصويرية ذات الفعالية

ميل جيبسون

يتناول هذا الفصل ما يلي:

- الأنماط المختلفة للنصوص التصويرية.
- كيفية مشاركة صغار القراء فيها.
- كيفية تقييم النصوص التصويرية.



إن القصص الكوميدية والقصص التصويرية، وقصص (المانجا) (الكلمة اليابانية التي تعني الكوميديا) هي مجموعة رائعة من النصوص التي تقدم للقراء من جميع الأعمار الكثير مما يمكنهم اكتشافه، وهي تتراوح بين القصص الفكاهية القصيرة البسيطة للغاية وحتى الملاحم الطويلة متعددة الأجزاء، وهي تغطي العديد من الأنماط الأدبية، وتشتمل على نصوص متعمقة ولها تأثيرها في القارئ إلى جانب تلك القصص الفكاهية والتي تقدم على الإثارة، وبالإضافة إلى ذلك فهذه القصص قد تلعب دورًا في تشجيع القراءة والتحمس لها بين صفوف المرهقين (أو صغار البالغين) من القراء.

ما هي النصوص التصويرية؟

على الرغم من أن النصوص الكوميدية قد تمثلت في أغلب الأحوال في بريطانيا في صورة نصوص فكاهية للأطفال الصغار جدًّا، ومن المهم أن نأخذ في اعتبارنا أن معظم ما ينشر اليوم

والذي يتخذ شكل النص الكوميدي يستهدف القراء الأكبر سنًّا، وفي واقع الأمر فإن تاريخ الكوميديا في بريطانيا دائمًا ما كان يحفل بمواد مخصصة للكبار بدءًا من قصة «نصف أجازة ـ Half Holiday» للكاتب آلي سلوبر وحتى اليوم. إلا أن الاهتمام ـ خلال القرن العشرين ـ كان متركزًا على المواد المخصصة للأطفال في سوق يتزايد تقسيمها إلى شرائح وفقًا للمراحل العمرية حيث تتوافر كتب لكل مرحلة على حدة وكتب مخصصة للأولاد وأخرى للبنات، على سبيل المثال فيما يتعلق بالبنات كانت هناك كتب مثل «الوميض» أو «Twinkle» والتي كانت تصدر للبنات في مرحلة مبكرة من العمر؛ وقصة «Bunty» للأكبر سنًّا، و«Jackie» للمراهقات. وهناك بعض الأعمال الكوميدية مثل: «Beano and Dandy» ـ وهما قصتان من بين القصص الكوميدية البريطانية القليلة التي ما زالت تصدر أسبوعيًّا والتي تخاطب كافة القراء على اختلاف أعمارهم، بالإضافة إلى بعض العناوين المخصصة للأولاد بما في ذلك قصة «Victor». وهذا النموذج ظهر أيضًا في صناعة الكوميديا اليابانية (المانجا) والتي تتزايد شهرتها حاليًّا بين المراهقين في بريطانيا، وهذا يعني أن النصوص اليابانية المنتجة يمكن تقسيمها ـ كمثيلتها البريطانية ـ يمكن تصنيفها طبقًا للنوع والمرحلة العمرية.

وعلى النقيض من ذلك نجد أن القصص التصويرية بدأت بالفعل في الظهور خلال الثمانينيات. ومعظم هذه النصوص تستهدف كلا من المراهقين والبالغين على الرغم من أن بعضها يروق أيضًا لصغار القراء كقصة «Bone» أو «العظام» للكاتب جيف سميث (انظر قائمة المراجع الإضافية لمزيد من التفاصيل في هذا الشأن إلى جانب النصوص التصويرية التي تلتها». وعلى حين أن النصوص الكوميدية في بريطانيا تميل إلى الظهور في هيئة قصص تتراوح بين صفحة وثلاث صفحات بحيث تمثل قصصًا مستقلة أو تصدر بصورة دورية على مدى أربعة عشر أسبوعًا لتكوِّن قصة كاملة إلا أن القصة التصويرية بشكلها المعروف تسمح بتطور القصص على نحو أكثر تعقيدًا وتفصيلًا، وقد تصدر في جزء واحد أو في عدة أجزاء (فقصة «Bone» مثلًا صدرت في تسعة أجزاء) وتشتمل على قصة كاملة ويمكن أن تتناول أي موضوع أو نوع أدبي. وتتشابه النصوص الكوميدية اليابانية مع هذه النصوص وتتخذ شكل قصص مستقلة يتضمن كل منها عدة أجزاء وتُقدم في صيغة يألفها القراء البريطانيون كثيرًا بما في ذلك الكوميديا الشهيرة المخصصة للبنات (والتي يُطلق عليها «شوجو») بعنوان سلة

الفاكهة «Fruits Basket» للكاتب ناتسوكي تاكايا. وعلى حين أن مجموعات القصص القصيرة قد تسمى أيضًا قصصًا تصويرية (كقصة «The Simpsons and Futurama») فإنها تنشر على هيئة مجلد بحيث ينصب الاهتمام على طريقة نشرها وليس على ما تشتمل عليه من حكايات.

إن مفتاح فهم هذه النصوص هو التركيز على المرونة التي اتسمت بها الأعمال الكوميدية بحيث تُستغل في رواية القصص بطريقة بسيطة، وعلى الرغم من ذلك فإن هذه المرونة ذاتها تعني أن الكوميديا يمكن أن تُستغل أيضًا في رواية القصص المعقدة أو شرح الأفكار الصعبة وغير المعتادة، والنقطة الرئيسية هنا تتمثل في أن الكوميديا هي أداة أو وسيلة أكثر منها نوع. (لذا فإن اعتبار الكوميديا مجرد أنماط (كالفكاهة أو البطل ذي القوى الخارقة) يعد مفهومًا قاصرًا) فالكوميديا يمكن أن تستخدم في وضع نصوص تنم عن المهارة والإبداع من خلال مجموعة من الأنماط الأدبية.

وعلاوةً على ذلك فعندما ترتبط هذه الوسيلة في الغالب بالخيال فإنها تستخدم أيضًا في وضع النصوص غير الخيالية بما في ذلك السير الذاتية وقصص حياة بعض الشخصيات مثل سيرة «Maus» للكاتب آرت سبيجيلمان (والتي تدرَّس حاليًّا إلى جانب «مذكرات فتاة صغيرة ـ The Diary of a young Girl» (فرانك 1997) وكذلك «قصة طفولة» للكاتب مارجين ساترابي، حيث نال المجلد الأول إعجاب الكثير من المراهقين على حين كان المجلد الثاني موجهًا للكبار بصورة أكبر) أو قصة «Ethel & Ernest (1998)» للكاتب ريموند بريجز.

وتعد أعمال بريجز وسيلة مفيدة تهدف إلى فهم النصوص الكوميدية كمجرد أداة أو وسيلة أدبية وليست نمطًا أدبيًّا نظرًا لأنه قام بتأليف كتب واقعية إلى جانب السِّير (قصص حياة الشخصيات) بالإضافة إلى الأعمال التي تنتمي للخيال، وعلاوةً على ذلك فإن هذه الوسيلة تسمح للمؤلف بمخاطبة قطاع عريض من الجماهير من كافة الأعمار، ويجسد بريجز هذا الرأي عمليًّا بتأليف أعمال تخاطب كافة الأعمار، بدءًا من قصة رجل الثلج «The Snowman (1978)» التي حظيت بالإعجاب على نطاق واسع وحتى القصة السياسية «عندما تهب الرياح ـ when the wind Blows» (1982) والتي تخاطب الكبار والمراهقين.

وعلاوةً على ذلك فالنصوص التصويرية الكوميدية قد تتضمن عددًا كبيرًا من الكلمات إلى

جانب الصور وقد تقتصر على الصور وحدها. ومرة أخرى نذكر أن أعمال بريجز تعد بمثابة مراجع مفيدة في هذا الشأن حيث تتراوح بين قصص خالية من الكلمات مثل «الرجل الثلج» وأخرى تشتمل على نص مطول مثل «البعبع فانجاس ـ Fungus the Bogeyman» (1977).

ومع تزايد تعقيد مثل هذه الوسيلة فإنك بحاجة إلى بعض الوقت والتدريب لتعود لقراءتها من جديد إذا كان قد مضى عليك وقت طويل دون أن تقرأ أيًّا من هذه النصوص بنفسك، وهذا أمر لا مفر منه إذا كان الهدف هو مشاركة القراء الأصغر سنًّا في هذه الكتب، إن القراءة على نطاق واسع من خلال نمط أدبي معين تساعدك على التكيف مع ما طرأ من تغييرات، ولكن بالنسبة للقارئات فإني أوصي بالبدء بقصة «ذيل فأر شقي ـ The Tale of one Bad Rat» للكاتب برايان تالبوت والتي صممت خصيصًا لجذب القراء مرة أخرى نحو ارتباطهم بهذا النمط الأدبي إلى جانب كونها قصة رعب، كما أنها مفيدة للمراهقين.

إن نمو سوق الكوميديا اليابانية «مانجا» يعد أيضًا أحد العناصر التي تضاف إلى أهميتها ونجاحها في التحدي بأن تشتمل ـ عادة ـ على نصوص تصويرية وهو ما يستلزم بالفعل قراءة الأعمال التي قد لا تكون مألوفة للقراء، وعمومًا فالقارئ الصغير الذي يقرأ مثل هذه القصص للمرة الأولى سيطرح سؤالًا بسيطًا، وهو: «لماذا تبدأ هذه النصوص من (الوراء)؟» إن معظم كتب «الطوكيوبوب» و«فيز» المباعة في بريطانيا يتم طباعتها بصيغتها وشكلها الأصلي، وهو ما يضيف إلى طابعها المميز، وبالنسبة لأولئك الذين يبدأون بقراءة هذا النوع من النصوص التصويرية فغالبًا ما يقدم الناشرون بعض التعليمات الخاصة بكيفية قراءتها، ولقد شهدت «المانجا» اليابانية بعض التغييرات من جانب الكتاب الأمريكيين والبريطانيين بحيث اتخذت صيغة مألوفة لدى القراء مثال ذلك كتب «Hairy Mary» للكاتب كريج كونلون، وبالإضافة إلى ذلك فقد كانت النصوص الكوميدية الكورية أيضًا ضمن المجموعات التي أصدرها الناشران المذكوران بحيث تُقرأ من اليسار إلى اليمين، وأقترح قراءة «سلة الفاكهة ـ Fruits Basket» أو قصة مثل «جينج .. ملك اللصوص ـ Jing: King of Bandits» بغية فهم هذه النوعية من الكتب واستيعابها من قبل الأولاد والبنات.

إن مرونة هذه الوسيلة تعني أنك عندما تنظر إلى عناوين تلك الكتب ربما يكون من الأفضل أن تفكر في كيفية استخدامك لها (فمثلًا قصة عائلة سمبسونز «The Simpsans» تهدف للتسلية

في حين أن قصة «Ethel & Ernest» تعد نصًّا تاريخيًّا يُدرَّس في حجرة دراسية باستخدام «المانجا» (الكوميدية) لبدء النقاش مع مجموعة من الشباب بشأنِ مواطن الاختلاف بينها وبين مثيلتها الأمريكية والإنجليزية، ومن هم الأشخاص الذين ترغب في أن يشاركونك إياها، ولا تعتبرها نصوصًا للقراء الأقل مقدرة بغرض تشجيعهم على القراءة «الحقيقية» (أي القصص التي تعتمد على النصوص وحدها)، وعلى الرغم من ذلك فإن اتجاه القارئين الناشئين إلى التحمس لقراءة الكتب الفكاهية يعد أمرًا غير ذي قيمة، وبدلًا من ذلك علينا أن نعتبر أن النصوص التصويرية هي عالم موازي لعالم القصة، ولها مجموعة من الأجناس الأدبية أيضًا. وبعض هذه النصوص يُفضل فيها المزج بين النص المكتوب والصور وتتفوق على غيرها في جذب القراء وإثارتهم، ويمكن بسهولة تكوين مجموعة عن النصوص الكوميدية التي تمثل تحديًا للقارئ الجيد، وتدعم القراء الأقل حماسًا سواءً كانوا في المنازل أو المدارس أو المكتبات.

بعض الرؤى المتعلقة بالنصوص التصويرية

غالبًا ما كانت النصوص الكوميدية تفتقر إلى الترحيب والاستحسان في بريطانيا، وهو ما يعكس تاريخها هنا، وهذا الموقف يتناقض مع مثيله بكثير من دول أوروبا حيث كانت النصوص الكوميدية شكلا فنيًّا يحظى بالاحترام والتقدير.

ولهذا السبب فإن هذه الأعمال عادةً ما يتم تناولها في بريطانيا حاليًّا بشيء من الحذر من جانب كل من المدارس والمكتبات نظرًا لأن مضمونها غالبًا ما كان يعد مصدرًا للجدل والخلاف، وأنه يمثل وسيلة تقوض التعليم والأخلاق، وقد اكتسبت أعمال «المانجا» مؤخرًا نفس النظرة. ولقد أدى حماس صغار القراء لهذه النوعية من الأعمال إلى قيام بعض وسائل الإعلام البريطانية بتوزيع صور تحذيرية من «المانجا» كأعمال أوين (2004). وتتضمن الافتراضات بشأن «المانجا» عادةً أنها تقتصر على أسلوب فني واحد فحسب (كقصة «العيون الكبيرة») ونمط أدبي واحد (الخيال العلمي) وفئة معينة من الجماهير (كبار السن من الرجال الشغوفين بالعنف والجنس). ولمواجهة مثل هذه الافتراضات فإنني أحث الكبار من غير القراء على أن يجربوا قراءة بعض الكتب الموجهة للأصغر سنًّا كوسيلة لتعريفهم بمثل هذه النصوص. (عادةً ما يضع كبار الناشرين الفئة العمرية المستهدفة على أغلفة الكتب).

وفي إيجاز فإن النظرة إلى الكوميديا من منظور سلبي يقوم على أساس أن الكوميديا ذات أثر سيئ على القراء، ومن ثم أصبحت مثل هذه الآراء جزءًا من النقاشات التي تدور حول «الآثار المترتبة على وسائل الإعلام» و«القصص المرعبة التي تتضمن دروسًا أخلاقية»، وبالإضافة إلى ذلك فإن هذه النظرة السلبية غالبًا ما تعتبر الكوميديا فنًّا يقتصر على الأطفال فحسب وهي نظرة غير دقيقة ولكنها صارمة إذ يرون أن الأعمال الموجهة للكبار تبدو أكثر جدية وأشد إصدامًا.

وعلى النقيض من ذلك فالأعمال الكوميدية تعتبر أيضًا في نظر الكثيرين ذات جوانب إيجابية، وهناك أحد أبطال هذا النوع الأدبي والذي خاطب القراء من كافة الأعمار وهو بول جرافيت والذي كتب بشكل مسهب عن فن المانجا (2004) والقصص التصويرية (2005) والأعمال الكوميدية (2006). وفي الواقع فإن من ينظرون إلى الكوميديا من هذا المنظور يضعونها في مكانة فنية رفيعة سائرين وفق منهاج أوروبي أكثر نمطية، بينما تراها الفئة السابقة في ضوء المعارف الخاصة بالبناء التاريخي والتي تعتبرها ثقافة جماهيرية سيئة، وبالإضافة إلى ذلك فالمجال مفتوح للمتخصصين لمناقشة هذه الأعمال لاسيما القصص المصورة التي تتضمنها قائمة النقاش بالمكتبات المنتشرة بالمملكة المتحدة (http://groups.google.co.uk/group/GNLIBUK?hl=en).

وثمة منظور ثالث يمكن رؤية الكوميديا من خلاله وذلك باعتبارها مجرد وسيلة لجذب من لا يقرأون كثيرًا نحو التعليم، ومن الواضح أن تنمية قراء جدد يعد أمرًا جيدًا، ولكنه يكشف عن مجموعة من الافتراضات حول الكوميديا، وهنا تكون الكوميديا «أمرًا سيئًا» ولكنها وسيلة مفيدة وهذا المنظور يعكس حماسًا محدودًا لهذه الوسيلة، وهو الرأي الذي يأخذ به صغار القراء الذين يقرأون هذه النصوص بدافع الثورة والتمرد ولمناهضة من يعارضونهم.

وهذا ـ بدوره ـ يؤدي ـ في رأي ستايلز وواتسون (1996: 179) إلى إرساء حقيقة مؤداها «أن استمتاع الأطفال بهذه النصوص على هذا النحو يكفي لإقناع بعض المعلقين بأنها لابد وأن تكون ضارة». إن العثور حتى على كتاب واحد تتحمس لقراءته ـ باعتبارك قارئًا أكبر سنًّا ـ وليس لمجرد شعورك بكراهيتك لهذه الوسيلة، أو أن تفهمه مع رؤيتك أنها تناسب الآخرين (وهي تجربة غالبًا ما كنت أمرُّ بها) مما يجعلك تستبعد إمكانية انعزالك عن صغار القراء ممن تأمل في مشاركتهم تلك الأعمال حتى إذا لم تحظ بإعجابهم.

وثمة زاوية أخرى لرؤية النصوص التصويرية ألا وهي تصنيفها كنمط مختلف تمامًا عن الكتب على الرغم من أنها تصدر على هيئة كتب بشكلها المعتاد. وهذا ينعكس على الطريقة التي تبدو بها الكوميديا جزءًا من الدراسات الإعلامية GCSE دون غيرها.

والمنظور الأخير الذي يمكن تناول النصوص التصويرية من خلاله هو النظر إليها برؤية أكاديمية كمكافآت دراسية طبقًا لنظم عديدة، إن الأعمال الصادرة توضح أيضًا مجموعة من الافتراضات المؤكدة بشأن الكوميديا والتي ترتبط غالبًا بموضوعات تدور حول النمط الأدبي، وقد تعكس وجهات النظر الرئيسية المذكورة أعلاه وقد تكشف عنها. وهناك أحد النصوص الهامة للكاتب مارتن بيكر (1989) وهو «الكوميديا»، مجموعة المفاهيم الخاصة بها وأثرها وآراء النقاد بشأنها «وهذا النص موجه لكبار القراء، ويعرض سلسلة من دراسات الحالة التي تتخذ مجموعة من المواقف النظرية التي يمكن استخدامها ـ وهو ما حدث بالفعل ـ فيما يتعلق بالكوميديا (بما في ذلك نظرية المساواة بين الجنسين) والاستفسار بشأنها.

وختامًا فعلى حين نجد أن هناك مجموعة من الطرق التي يمكن من خلالها التفكير بشأن النصوص التصويرية في بريطانيا فإن معظم هذه الطرق تتعارض مع بعضها البعض سواءً كان ذلك في حجرات الدراسة أو أي مكان آخر، وكما يؤكد الكاتبان موراج ستايلز وفيكتور واتسون فإن: «كثيرًا من المدرسين يدركون أن الكوميديا تعد واحدة من بين أفضل الأنماط الأدبية وأكثرها تحفيزًا في مجال تعليم القراءة» (1996: 179). وعلى الرغم من ذلك ـ كما يقولون ـ «فهذا الرأي لا يتفق عليه أولئك الذين يتمكسون بآراء ثابتة بشأن ما ينبغي على الأطفال قراءته وكيفية تعليمهم ذلك» (ستايلز وواتسون 1996: 179) مما يشير ـ في رأيي ـ إلى الوضع الثقافي المثير للجدل والذي تتسم به الكوميديا.

المشاركة في قراءة النصوص التصويرية

عندما نشارك المراهقين في قراءة هذه القصص فمن الممكن أن ندرجها ضمن جلسة جماعية للحديث عن الكتب، ولكن ـ على النقيض من القصة التقليدية (الموروثة) فليس بإمكانك أن تقرأ تلك النصوص بصوت مرتفع وبشكل فعال ومؤثر، بل الأحرى أن تعرض موجزًا لها أو ـ إذا أمكن ـ أن تعرض صفحة رئيسية على الشاشة باستخدام وسائل بصرية أو غيرها والتحدث

عن موقعها الصحيح بالرواية ككل، ويتجلى هذا الحديث في أفضل صوره عند منح القراء الفرصة لمجرد إلقاء نظرة سريعة على الكتب وطرح ما يتراءى لهم من أسئلة، إن مجرد إضافة قصة تصويرية أو كوميدية لما تناقشه من نصوص يؤكد أن هذه أيضًا كتب وأن قراءتها ممتعة.

ومع هذا النوع من النصوص فإنك غالبًا ما تجد مجموعات من القراء ينظرون إليها نظرة عامة وربما تركزت مناقشاتهم على العمل الفني نظرًا لأن الراوي - والذي غالبًا ما يقوم بتحليل النص بطرق معقدة للغاية - يُظهر براعته وتعاطفه في الموضوع محل النقاش، وثمة رد فعل آخر ألا وهو الصمت المطبق والتأمل الفردي، ومن الشائع أيضًا المشاركة في هذه الكتب باستخدام الورق وأقلام الرصاص، وبالنسبة لكثير من القراء فإن رد الفعل الرئيسي هو الرغبة في نسخ العمل الفني، وخلق حكايات جديدة عن نفس الشخصيات، أو استخدام الكوميديا كمصدر إلهام لعمل جديد أصلي، إن معظم صناع الكوميديا الحاليين بدأوا كهواة حيث كانوا ينسخون أعمال الكُتَّاب المحببين إليهم.

وثمة وسيلة أخرى للمشاركة في هذه النصوص ألا وهي مناقشة كيفية عرض الصفحة، والقواعد اللغوية المتبعة في النص الكوميدي وما تصفه الصور والنص على حدٍّ سواء. وهناك كتاب جيد يساعدك على التعرف على كيفية تأليف نص كوميدي ألا وهو كتاب «فهم الكوميديا» للمؤلف سكوت ماك كلاود (1993) وهو كوميدي بدوره، ومن المهم أيضًا أن تنظر إلى بعض النصوص التي تتوافر فيها القواعد الأساسية، على سبيل المثال نجد أن معظم الأعمال الكوميدية البريطانية والأمريكية تتميز بوجود ما يتراوح بين ست إلى تسع صور في الصفحة الواحدة بينما نجد أن الكاتب ريموند بريجز يستخدم في كتابه « عندما تهب الرياح» ما يقرب من خمس وعشرين صورة أو أكثر.

وقد ترغب أيضًا في الحديث عن تصميم الكتاب بوجه عام، وعدد الصور الفوتوغرافية في كل صفحة، ومدى استخدام الصور التي تشغل مساحتها الصفحة بأكملها .. وهكذا! وإذا عدنا إلى بريجز نجد أنه يستخدم الصورة التي تمتد على صفحتين متقابلتين في قصة «The Snowman» للدلالة على الحرية، وعندما يذهب (رجل الثلج) والصبي للطيران نجد أن عدد الصور يتناقص بينما يتزايد عددها مرة أخرى في نهاية القصة عندما يعود الصبي إلى منزله وفراشه، وبالإضافة إلى ذلك فإن استخدام وسيلة معينة يؤثر على كيفية رواية القصة. إن

استخدام ألوان الشمع الناعمة في قصة «The Snowman» يسهم في استيعاب هذا الكتاب جنبًا إلى جنب مع الأشكال المستديرة المستخدمة.

وعلى النقيض من مشاركة المراهقين فإن التحدي الأكبر يكمن في مشاركة صغار القراء في النصوص الكوميدية.

ويمكن توضيح ذلك بالرجوع إلى قصة «The Snowman» وهي القصة التي تخاطب هذه الفئة بالتحديد. وحتى يتمكن القارئ من فهم هذه القصة ينبغي عليه أن يستوعب القواعد اللغوية التي يتسم بها الكتاب الكوميدي، ومغزى الصور المستخدمة، مثال ذلك نجد في نهاية الكتاب تقريبًا صفحة تشتمل على اثني عشرة صورة يظهر فيها الصبي وهو يتقلب في نومه في الجزء المتبقي من الليل، ثم يستيقظ في الصباح، وهذا يتطلب من القارئ أن يدرك أن هذه الصور الإثني عشرة ليست صورًا مستقلة عن أولاد مختلفين (كما يمكن أن يعتقد أي شخص لم يألف هذا النوع من النصوص) ولكن سلسلة الصور التي تعبر عن نفس الصبي يجب قراءتها من اليسار إلى اليمين، وتبدأ من أعلى إلى أسفل في تتابع لا يوقفه الزمن، ومن ثم فحتى مع عدم إضافة العلامات الدالة على الحديث يظل القارئ مطالبًا بالكثير.

وعلى الرغم من ذلك فإن الوقوف على كيفية قراءة الكوميديا يجعل من السهل المشاركة في هذه المهارة. إن الكتب المصورة التي تتبع القواعد اللغوية الخاصة بالكوميديا ـ مثل كتب كولين ماك نوتون والتي تستخدم الصور مع البالونات التي تتضمن الحوار بين الشخصيات، وكذلك الأعمال الكوميدية مثل «Beano and Dandy» بحكاياتها القصيرة ـ قد تفتح المجال أيضًا للنقاش مع القراء الأصغر كثيرًا في هذا الشأن. وبالإضافة إلى ذلك فإن تجربة التحدي التي تتمثل في البدء في قراءة (المانجا) ـ وحتى يعتاد الشخص على هذا الشكل الأدبي ـ تعد تذكرة مفيدة للتحديات التي تحملها القراءة عمومًا في طياتها للقارئ الناشئ.

إن الحديث عن نوعية الجمهور المستهدف من أي كتاب معين يعد وسيلة مفيدة أيضًا للمشاركة في هذه النصوص، إن عمر القارئ وجنسه والطبقة التي ينتمي إليها وأصوله العرقية وموقعه وخلفيته الثقافية التي تساعده على فهم الكتاب ... كل هذه العناصر يمكن أن تثري المناقشة في هذا المضمار وتضفي عليها مزيدًا من المتعة. فمثلًا يمكن الاحتجاج بأن قصة

«Ethel & Ernest» تخاطب أساسًا القراء البالغين الأكبر سنًّا من البريطانيين البيض من الطبقة المتوسطة. مثل هذه الدلالات يمكن إدراكها من خلال مجموعة من الجوانب الخاصة بالكتاب بما في ذلك الغلاف والذي يبدو وكأنه غلاف لقصة تقليدية.

وثمة اعتبار هام آخر يتعلق بالمشاركة في هذه النصوص ـ بناء على النقطة السابقة ـ وهو جنس القارئ فالقراء الذكور يمثلون غالبية القصص الكوميدية والتصويرية. والقراء المشاركون بالفعل في هذه الوسيلة غالبًا ما يكونون متحمسين بشدة، كما أنهم يستمتعون بفرصة إشراك الآخرين فيما لديهم من معلومات، وقد يتعاطفون مع جنس معين، أو يقرأون بشكل عام، ويتحدثون عن كل من الصورة والنص (مما يضع أمام القارئ الأكبر سنًّا نموذجًا لمشاركة الآخرين ـ ممن هم أقل معرفة ـ في فهم هذه النصوص) إذن استعد لتعلم الكثير إذا ما تحدثت إلى أحد القراء الصغار المتحمسين للنصوص التصويرية، فقد تنتهي الجلسة بحصولك على قائمة بالكتب التي ينبغي عليك قراءتها.

إن ما طرأ من تغيرات فيما يتعلق بجنس القارئ، وقراءة النصوص التصويرية خلال السنوات الأخيرة هو إدخال قصص (المانجا) الكوميدية إلى بريطانيا. وقد كان نصيب الإناث 60 ٪ من مبيعات تلك القصص، وهذا يعني أن هذه هي المرة الأولى التي تقرأ فيها البنات أعمالًا كوميدية منذ انهيار كوميديا البنات في بريطانيا (خلال الثمانينيات على الرغم من انتهاء تلك الأزمة عام 2001 عندما مُنعت قصة «Bunty» من التداول بالسوق وهي آخر قصة من بين أكثر من خمسين قصة للبنات). وبالنسبة للأولاد فهم أيضًا سيكتسبون الخبرة اللازمة وسيملؤهم الحماس ومن المرجح أن يبدعوا أعمالهم الفنية الخاصة بهم.

وثمة جانب آخر من الجوانب الهامة للمشاركة في هذه النصوص هو أن تكون مستعدًّا للمفاجآت، مثال على ذلك طريقة اختيار بعض صغار القراء لكتب شكسبير التي طبعت حديثًا والتي تنتمي لفن (المانجا) حيث يقرأونها لمجرد التسلية، ويتم اختيار بذه السلسلة أيضًا بالمدارس بغية إتاحة مثل هذه النصوص لصغار القراء، وقد كان لي تجربة مماثلة من خلال قصة الصقيع والبحّار العجوز «Rime of the Ancient Mariner» للكاتب هونت إيميرسون (وهو نص كامل) حيث بادرني الكثيرون بالسؤال عما إذا كان الكاتب والرسام «قد أبدعوا أية كتب أخرى».

وبعد أن ناقشنا هذا النقاط العامة بشأن المشاركة في النصوص التصويرية فمن المهم أن نتذكر أن كل كتاب تختاره يقدم لك مجموعة فريدة من إمكانيات المشاركة فيه، على سبيل المثال نجد أن قصة «Ethel & Ernest» للكاتب ريموند بريجز يتضمن كل فصل منها عشرة خيارات للمشاركة في قراءتها، كما تشتمل على بعض المراجع التي تساعد على تحويلها إلى مجال التعليم والثقافة في بريطانيا، وتجسيد التغييرات الثقافية، ومن ثم فهي حافلة بالنقاط التي يمكن مناقشتها، وتتضمن الصفحات الرئيسية حصول بريجز على مكان في مدرسة لتعليم قواعد اللغة، ويتضح ردود أفعال والديه اللذين ينتميان للطبقة العاملة تجاه ما يلاحظانه على المستوى الدراسي لابنهما وإنجازاته، وعلى وجه الخصوص فإن تعليق الأب الذي قال: إنه يخشى ألا يحقق ابنه مستوى الامتياز الذي ترجوه العائلة يوضح بشكل كبير أهمية التحول إلى النظم التعليمية.

تقييم النصوص التصويرية

عند التفكير في سمات النصوص التصويرية قد يكون من المفيد أن نفكر في الأسئلة التالية والتي تساعدنا فيما يتعلق بتقييم أي نص.

الجمهور:

لماذا تعتقد أن الجمهور المستهدف يتحدد من خلال العمر والنوع؟ هل عنصر اللغة متاح للجمهور الذين تود أن يشاركونك هذا النص؟ هل هناك فئات مختلفة من الجماهير؟ هل تمثل قراءة هذا النص إشباعًا لك؟ إذا كان هذا الكتاب سيوضع في المكتبة فهل سيكون ضمن الكتب المخصصة للأطفال أم المراهقين أم الكبار؟ كيف يمكن أن يستخدم هذا الكتاب بحجرة الدراسة؟

الشكل الخارجي:

هل الشكل الخارجي للكتاب جميل وجذاب؟

هل يتلاءم الشكل الفني للغلاف مع محتويات الكتاب (والعكس)؟

هل الطباعة ذات جودة عالية؟

التصميم:

هل النص واضح أم أن الرسوم زادته غموضًا؟ هل يصعب متابعة النص؟ فكر فيما إذا كان هذا يرجع إلى عدم الاعتياد على هذه الوسيلة أم إلى التصميم نفسه.

هل تستخدم القصص المصورة أو قصص المانجا الكوميدية مجموعة الأعراف والقواعد اللغوية الخاصة بالنصوص الكوميدية استخدامًا كاملًا وبشكل مبتكر؟ هل تستخدم التقنيات التي تنم عنها لغة السينما (مثل فلاش باك أي إيراد أحداث وقعت في زمن سابق، واللقطات الثابتة، واللقطات المتسلسلة، والمشاهد الختامية، واللقطات ذات الزوايا المرتفعة والمنخفضة ... إلخ؟.

النمط الأدبي:

هل يندرج الكتاب ضمن الأعمال الخيالية أم غير الخيالية؟ إذا كان من النوع الأخير ما هو موضوعه الرئيسي وما هو مستوى تغطيته؟

القصة:

إذا كان النص خياليًّا ما هو الجنس الأدبي الذي تنتمي إليه (إن وجد)؟ هل الخط الرئيسي بالقصة يتسم بالخيال والتناغم والتشويق؟ وما نوع القضايا التي يثيرها وكيف يعالجها؟

الألوان / الأبيض والأسود:

هل الكتاب مطبوع بالألوان أم بالأبيض والأسود؟ إذا كانت الصور أبيض وأسود هل تلقى إعجاب الجمهور المستهدف؟ خذ في اعتبارك أن قصص (المانجا) الكوميدية عادةً ما تشتمل على صور أبيض وأسود وقد أدى هذا إلى تغير توقعات الجماهير (من حيث أن اللون لم يعد يُرى عادةً باعتباره «الشكل المفضل » لصغار القراء).

الرسوم:

هل تتسم الرسوم بأنها ذات تقنية عالية ومتسوى فني راقٍ؟ هل تقتصر الرسوم على تسلسل الأحداث بالقصة أم أنها تتضمن معان إضافية على نحو موسع؟ هل تساعد الرسوم على المضي بالأحداث قُدمًا؟ هل هناك تكامل بين الكلمات والصور ؟

مراجع أخرى

بعض النصوص التصويرية التي ينبغي البحث عنها:

The books on the list below are principally suitable for older children and young adult readers:

Briggs, R. (1998) *Ethel & Ernest.* London: Cape. Will predominantly appeal to older children readers, but can be shared with 9+ and be very useful in discussing history and memory across generations.

Coleridge, S.T. and Hunt E. (1989) *Rime of the Ancient Mariner.* London: Knockabout Comics.

Conlon, C. (1998) *Hairy Mary.* London: Slab-O-Concrete. Several titles published.

Groening, M. (1996) *The Simpsons: Simpsorama.* London: Titan Books. All ages, many titles published, of which this is one example.

Groening, M. (2004) *Futurama.* London: HarperCollins Entertainment. All ages, many titles published, of which this is one example.

Kumakura, Y. (2006) *Jing: King of Bandits.* London: Tokyopop. Recommended for 13+ readers. Five volumes forming a single coherent ongoing narrative.

Manga Shakespeare (adaptations: for information see www.selfmadehero.com/manga_shakespeare/manga_shakespeare.html).

McCloud, S. (1994) *Understanding Comics: The Invisible Art.* New York: HarperCollins.

Satrapi, M. (2003) *Persepolis: The Story of a Childhood.* London: Jonathan Cape.

Smith, J. (2005) *Bone: Vol 1: Out From Boneville.* New York: Graphix. All ages. Nine volumes forming a single coherent narrative.

Spiegelman, A. (1987) *Maus I: A Survivor's Tale.* London: Penguin; *Maus II: And Here My Troubles Began.* (1992) London: Penguin. Initially published as a series in *Raw* (Raw Books & Graphics) from 1980 to 1991.

Takaya, N. (1999–2006) *Fruits Basket.* London: Tokyopop. Recommended for 13+ readers. Fifteen volumes forming a single coherent ongoing narrative.

Talbot, B. (1996) *The Tale of One Bad Rat.* London: Titan Books.

المراجع

Chapter 1

Appleyard, J.A. (1990) *Becoming a Reader.* Cambridge: Cambridge University Press.
Burgess, M. (2003) *Doing It.* London: Andersen Press.
Chambers, A. (1993) 'The difference of literature: writing now for the future of young readers', *Children's Literature in Education,* 24(1): 1–18.
Department for Education and Skills and the Primary National Strategy (DfES and PNS) (2006) *Framework for Teaching Literacy and Mathematics.* London: DfES.
Graham, J. (2005) 'Mr Magnolia met the Literacy Mark: Did he Survive?' in P. Goodwin (ed.) *The Literate Classroom.* London: David Fulton.
Jennings, P. (2003) *The Reading Bug.* London: Penguin.
Medwell, J., Wray, D., Poulson, L. and Fox, R. (1998) *Effective Teachers of Literacy.* Report commissioned by the Teacher Training Agency. London: Falmer.
Meek, M. (1991) *On Being Literate.* London: Bodley Head.
Munro, R. and O'Donnell, M. (1961) *Janet and John: Here we go.* London: James Nisbit & Co Ltd.
Perera, K. (1984) *Children's Writing and Reading.* Oxford: Basil Blackwell.
Williams, M. (2005) *The Velveteen Rabbit.* London: Egmont.

Chapter 2

Butler, D. (1980) *Babies Need Books.* London: Bodley Head (out of print).
Carle, E. (1969) *The Very Hungry Caterpillar.* World Publishing Co.; 1970 London: Hamish Hamilton Children's Books.
Collins, F., Svensson, C. and Mahony, P. (2005) *Bookstart: Planting a Seed for Life.* Roehampton: Roehampton University.
Crowther, R. (1977) *The Most Amazing Hide-and-Seek Alphabet Book.* London: Kestrel Books/Viking Press.
Hill, E. (1980) *Where's Spot?* London: William Heinemann.
Rose, J. (2006) *Independent Review of the Teaching of Early Reading.* London: DfES.

Chapter 3

Blake, Q. (1995) *Clown*. London: Red Fox.
Department for Education and Skills (DfES) (2003) *Excellence and Enjoyment: A Strategy for Primary Schools*. London: DfES.
French, F. (1998) *Jamil's Clever Cat*. London: Frances Lincoln.
Garland, S. (1985) *Going Shopping*. London: Puffin.
Gough, P.B. and Tumner, W.E. (1986) 'Decoding, reading and reading disability', *Remedial and Special Education*, 7, 6–10.
Hru, D. (2002) *Tickle Tickle*. London: Bloomsbury.
Hughes, S. (1997) *Alfie Gives a Hand*. London: Red Fox.
Hughes, S. (2002) *Alfie's Weather*. London: Red Fox.
Inkpen, M. (1993) *Lullabyhullaballoo*. London: Hodder.
Murphy, J. (1980) *Peace at Last*. London: Macmillan.
Rosen, M. (1989) *We're going on a Bear Hunt*. London: Walker Books.
Scieszka, J. (1991) *The True Story of the 3 Little Pigs*. London: Puffin.
Vygotsky, L. (1986) *Thought and Language*. Cambridge, MA: MIT Press.
Waddell, M. (1992) *Owl Babies*. London: London: Walker Books.
Webb, S. (2003) *Tanka Tanka Skunk*. London: Red Fox.

Chapter 4

Ahlberg, J. and Ahlberg, A. (1978) *Each Peach Pear Plum*. London: Kestrel Books.
Atkins, J. and McNicholas, S. (1997) *Lost in the Mist*. Oxford: Heinemann: Storyworlds.
Chambers, A. (1992) *Tell Me*. Stroud: Thimble Press.
Child, L. (2000) *My Uncle is a Hunkle, Says Clarice Bean*. London: Orchard.
Cope, W. (1986) 'Reading scheme' in *Making Cocoa for Kingsley Amis*. London: Faber and Faber.
Eliot, G. (1859) *Adam Bede*. Edinburgh and London: William Blackwood.
Gregory, E. (1992) 'Learning codes and contexts: a psychosemiotic approach to beginning reading in school', in K. Kimberley, M. Meek and J. Miller (eds), *New Readings. Contributions to an Understanding of Literacy*. London: A. & C.Black.
Hutchins, P. (1968) *Rosie's Walk*. London: Bodley Head.
Meek, M. (1982) *Learning to Read*. London: Bodley Head.
Meek, M. (1988) *How Texts Teach What Readers Learn*. Stroud: Thimble Press.
Rowling, J.K. (1997) *Harry Potter and the Philosopher's Stone*. London: Bloomsbury.
Serraillier, I. (1960) *The Silver Sword*. London: Puffin.
Styles, M. and Arizpe, E. (2006) *Reading Lessons from the Eighteenth Century*. Shenstone: Pied Piper.
Waterland, L. (1988) *Read With Me*. Stroud: Thimble Press.
Williams, S (2001) 'A bridge too far? How Biff, Chip, Kipper and Floppy fail the Apprentice Reader', in *English in Education*, 35(2): 12–24.

Chapter 5

Bettelheim, B. (1991) *The Uses of Enchantment: The Meaning and Importance of Fairy Tales*. London: Penguin.
Booker, C. (2005) *The Seven Basic Plots: Why We Tell Stories*. London: Continuum.

Hallford, D. and Zaghini, E. (eds) (2004) *Folk and Fairy Tales: A Book Guide*. London: Booktrust.
Jones, S. Swann (2002) *The Fairy Tale. The Magic Mirror of the Imagination*. London: Routledge.
Opie, I. and Opie, P. (1974) *The Classic Fairy Tales*. Oxford: Oxford University Press.
Tatar, M. (2002) *The Annotated Classic Fairy Tales*. New York and London: W. W. Norton.
Warner, M. (1994) *From the Beast to the Blonde: On Fairy Tales and Their Tellers*. London: Chatto and Windus.
Yolen, J. (2000) *Touch Magic. Fantasy, Faerie and Folklore in the Literature of Childhood*. 2nd edition. Little Rock, AR: August House.
Zipes, J. (2000) *The Oxford Companion to Fairy Tales*. Oxford: Oxford University Press.
Zipes, J. (2006a) *Fairy Tales and the Art of Subversion: The Classical Genre for Children and the Process of Civilisation*. 2nd edition. Abingdon: Routledge.
Zipes, J. (2006b) *Why Fairy Tales Stick: The Evolution and Relevance of a Genre*. Abingdon: Routledge.

Chapter 6

Bawden, N. (1980) 'Emotional realism in books for young people', *The Horn Book Magazine*, 56(1): 17–33.
Carpenter, H. (1987) *Secret Gardens*. London: Unwin Paperbacks.
Chambers, A. (2001) *Tell Me: Children, Reading and Talk*. Stroud: Thimble Press.
Craig, A. (2003) 'Unforgettable, that's what you are', *Times*, (Weekend Section) 9 August, p. 6.
Craig, A. (2007a) 'Harry's place in history is secured', *Times*, (Books Section) 28 July, p.15.
Craig, A. (2007b) 'Two reasons to celebrate', *Times*, 22 April.
Crossley-Holland, K. (2007) 'Race for the prize', *Times*, (Edinburgh International Book Fair Supplement) 8 August, p. 4.
Frye, N. (1957) quoted by Lavender, R. (1978) 'Living fact or fiction', in E. Grugeon and P. Waldon (eds) *Literature and Learning*. London: Ward Lock Educational and OU Press.
Hunt, P. (1994) *An Introduction to Children's Literature*. Oxford: Oxford University Press.
Kellaway, K. (2006) 'The stuff of nightmares', *Observer*, 8 January.
Mark, J. (1993) *The Oxford Book of Children's Stories*. Oxford: Oxford University Press.
Morpurgo, M. (1997) *Times*, 27 November, p. 4.
Paterson, K. (1989) *The Spying Heart*. New York: Lodestar Books.
Pearce, P. (1969) 'The writer's view of childhood', in E. Whitney (ed.), *The Horn Book Reflections: On Children's Books and Reading*, Boston, MA: The Horn Book.
Pullman, P. (2007) 'Pullman writes a book that will shed light on darkness of his beliefs', *Times*, 1 August, p. 9.
Reynolds, K. (1994) *Children's Literature in the 1880s and 1990s*. Tavistock: Northcote House, in association with the British Council.
Watson, V. (2003) in M. Meek and V. Watson, *Coming of Age in Children's Literature*. London: Continuum.

Chapter 7

Almond, D. (2003) 'Moving through borders: the Marsh Award for Children's Literature in Translation', *School Librarian* 51(1) 12–13.
Berna, P. (1957) *A Hundred Million Francs*, tran. John Buchanan-Brown, illus. Richard Kennedy. London: Bodley Head.

Breslin, T. (2004) *Dream Master: Arabian Nights*. London: Doubleday.
Dasent, G.W. and Lynch, P.J. (2004) *East o' the Sun and West o' the Moon*. London: Walker Books.
Enzensberger, H.M. (2001) *Where Were You, Robert?* Trans. Anthea Bell. London: Puffin.
Frank, A. (1997) *The Diary of a Young Girl: The Definitive Edition*. Eds O.M. Frank and M. Pressle. Trans. S. Massotty. London: Penguin.
Funke, C. (2002) *The Thief Lord*. Trans. O. Latsch. Frome: Chicken House.
Funke, C. (2003) *Inkheart*. Trans. A. Bell. Frome: Chicken House.
Gaarder, J. (1995) *Sophie's World*. Trans. P. Møller. London: Orion Children's Books.
Hallford, D. and Zaghini, E. (2005) *Outside In: Children's Books in Translation*. London: Milet.
Holm, A. (2000) *I Am David*. Trans. L.W. Kingsland. London: Egmont Children's Books.
Holzwarth, W. and Erlbruch, W. (1994) *The Story of the Little Mole Who Knew It Was None of His Business*. Trans. unacknowledged. London: Chrysalis Children's Books.
Innocenti, R. (1985) *Rose Blanche*. English text by I. McEwan. London: Jonathan Cape.
Jansson, T. (2001) *The Book about Moomin, Mymble and Little My*. Text by S. Hannah from a literal translation by S. Mazzarella. London: Sort of Books.
Jansson, T. (2003) *Who Will Comfort Toffle?* Text by S. Hannah from a literal translation by S. Mazzarella. London: Sort of Books.
Kästner, E. (2001) *Emil and the Detectives*. Illus. W. Trier. Trans. E. Hall. London: Red Fox.
Kuijer, G. (2006) *The Book of Everything*. Trans. J. Nieuwenhuizen. London: Young Picador.
Leeson, R. (2001) *My Sister Shahrazad: Tales from the Arabian Nights*. Illus. C. Balit, London: Frances Lincoln.
Lindgren, A. (2002) *Pippi Longstocking*. Trans. E. Hurup. Illus. T. Ross. Oxford: Oxford University Press.
Mankell, H. (2000) *Secrets in the Fire*. Trans. A.C. Stuksrud. London: Allen and Unwin.
Mankell, H. (2002) *Playing with Fire*. Trans. A. Paterson. London: Allen and Unwin.
Mankell, H. (2005) *A Bridge to the Stars*. Trans. L. Thompson. London: Andersen Press.
Mankell, H. (2007) *Shadows in the Twilight*. Trans. L. Thompson. London: Andersen Press.
McCaughrean, G. (1982) *One Thousand and One Arabian Nights*. Oxford: Oxford University Press.
Pausewang, G. (2004) *Traitor*. Trans. R. Ward. London: Andersen Press.
Pennac, D. (2002) *Eye of the Wolf*. Illus. M. Grafe. Trans. S. Adams. London: Walker Books.
Peters, A.F. (1999) *Sheep Don't Go to School*. Illus. M. Prachatická. Trans. various. Tarset: Bloodaxe Books.
Prøysen, A. (2000) *Mrs. Pepperpot Stories*. Trans. M. Helweg. London: Red Fox.
Reuter, B. (2004) *The Ring of the Slave Prince*. Trans. T. Nunnally. London: Andersen Press.
Richter, H.P. (1987) *Friedrich*. Trans. E. Kroll. London: Puffin.
Satrapi, M. (2003) *Persepolis: The Story of a Childhood*. Trans. A. Singh. London: Jonathan Cape.
Satrapi, M. (2004) *Persepolis 2: The Story of a Return*. Trans. A. Singh, London: Jonathan Cape.

Chapter 8

Ackroyd, P. (2001) *London: The Biography*. London: Vintage.
Arnold, H. (1992) 'Do the Blackbirds Sing?' in M. Styles, E. Bearne and V. Watson *After Alice: Exploring Children's Literature*. London: Cassell.

Arthus-Bertrand, Y. (2004) *The Future of the Earth.* New York: Harry Abrams.
Baker, J. (1993) *Window.* London: Walker.
Baker, J. (2004) *Belonging.* London: Walker.
Bloom, S. (2007) *Elephants: A Book for Children.* London: Thames and Hudson.
Brezina, T. (2005a) *Who Can Crack the Leonardo Code?* London: Prestel.
Brezina, T. (2005b) *Who Can Save Vincent's Hidden Treasure?* London: Prestel.
Brezina, T. (2006) *Who Can Open Michelangelo's Seven Seals?* London: Prestel.
Bryson, B. (2004) *A Short History of Nearly Everything.* London: Black Swan.
Buczacki, S. and Buczacki, B. (2006) *Young Gardener.* London: Frances Lincoln.
Das, P. (2007) *P is for Pakistan.* London: Frances Lincoln.
Davies, N. and Blythe, G. (2005) *Ice Bear.* London: Walker.
Dickens, C. (2007) *Hard Times.* London: Longman.
French, V. (2007) *Chocolate: The Bean That Conquered the World.* London: Walker.
Geras, A. and Robertson, M.P. (2007) *Cleopatra.* London: Kingfisher.
Goldsmith, M. (2005) *Voyages: Space.* London: Kingfisher.
Gore, A. (2007) *An Inconvenient Truth.* London: Bloomsbury.
Hawking, S. and Hawking, L. (2007) *George's Secret Key to the Universe.* London: Random House.
Hornby, G. (2006) *Wolfgang Amadeus Mozart: The Boy Who Made Music.* London: Short Books.
Hutton, C. (2007) *A Picture History of Britain.* Oxford: Oxford University Press.
Kieve, P. (2007) *Hocus Pocus.* London: Bloomsbury.
Macauley, D. (1973) *Cathedral.* Boston, MA: Houghton Mifflin.
Mallett, M. (1999) *Young Researchers.* London: Routledge.
Meek, M. (1996) *Information and Book Learning.* Stroud: Thimble Press.
Rooney, A. (2006) *Volcano.* London: Dorling Kindersely.
Ross, S. and Roberts, D. (2005) *Pirates, Plants and Plunder.* London: Random House.
Sands, E., Steer, D., Harris, N. and Ward, H. (2004) *Egyptology.* Dorking: Templar.
Sebag Montefiore, S. (2007) *Young Stalin.* London: Orion.
Steer, D.A. Harris, N., Wyatt, D. and Palin, N. (2007) *Mythology.* Dorking: Templar.
Smith, D.J. and Armstrong, S. (2002) *If the World Were a Village.* London: A. & C. Black.
Steer, D. (2004) *Egyptology.* Dorking: Templar.
Steer, D., Harris, N., Wyatt, D. and Palin, N. (2007) *Mythology.* Dorking: Templar.
Strauss, R. (2007) *One Well.* London: A. & C. Black.
Usborne, P. (2007) http://www.thebookseller.com/books/author-profiles/46850-the-usborne-identity.html. 18 February.
Voake, C. and Petty, K. (2007) *A Little Guide to Wild Flowers.* London: Random House.

Chapter 9

Auden, W.H. (1963) Introduction to *A Choice of de la Mare's Verse.* London: Faber.
Benton, M. and Fox, G. (1985) *Teaching Literature 9–14.* Oxford: Oxford University Press.
Blake, W. (1789) *Songs of Innocence and of Experience.* Edition used, 1970. Oxford: Oxford University Press.
Bunyan, J. (1686) *A Book for Boys and Girls.* Edition used,1987. Wells: Ina Books.
Carter, J. (2007) 'Whatever happened to children's poetry?' *Carousel,* 35 (:14–15, March).
Harvey, A. (1998) 'Children's poetry: the real or the rubbish?' *Carousel,* 8 (:10–11, Spring).
Hunt, P. (1991) *Criticism, Theory and Children's Literature.* Oxford: Blackwell

Lear, E. (1846) *A Book of Nonsense.* Edition used, 1996. London: Penguin.
Moses, B. (1998) 'Children's poetry: not just an exclusive club', *Carousel,* 9 (:19, Summer).
Opie, I. and Opie, P. (1973) *The Oxford Book of Children's Verse.* Oxford: Oxford University Press.
Pennac, D. (2006) *The Rights of the Reader.* London: Walker Books.
Rosen, M. (1974) *Mind Your Own Business.* London: André Deutsch.
Rosen, M. (1988) 'Harrybo' in *The Hypnotiser.* London: André Deutsch.
Rosen, M. (1992) 'Poetry in all its voices', in M. Styles, E. Bearne and V. Watson (eds), *After Alice.* London: Cassell.
Scannell, V. (1987) 'Poetry for Children', *Children's Literature in Education,* 18(4): 202–9.
Townsend, J.R. (1990) *Written for Children.* 5th edition. London: Bodley Head.
Watts, I. (1715) *Divine Songs Attempted in Easy Language for the Use of Children.* Edition used, 1971. Oxford: Oxford University Press.

Chapter 10

Bader, B. (1976) *American Picturebooks from Noah's Ark to the Beast Within.* New York: Macmillan.
Evans, J. (ed.) (1998) *What's in the Picture? Responding to Illustrations in Picturebooks.* London: Paul Chapman Publishing.
McCloud, S. (1994) *Understanding Comics.* New York: HarperCollins.
Nodelman, P. (1988) *Words about Pictures: The Narrative Art of Children's Picturebooks.* Athens, GA, and London: University of Georgia Press.
Sendak, M. (1989) *Caldecott & Co.* London: Reinhardt Books, in association with Viking.
Sipe, C. (1998) 'How picturebooks work: a semiotically framed theory of text–picture relationships', *Children's Literature in Education,* 29: 97–108.
Styles, M. and Bearne, E. (eds) (2003) *Art, Narrative and Childhood.* Stoke-on-Trent: Trentham Books.

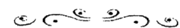
Chapter 11

Ally Sloper's Half Holiday (1884–1914 and revived 1922–23). London: W.J. Sinkins/Dalziel/The Sloperies/Milford
Barker, M. (1989) *Comics: Ideology, Power and the Critics.* Manchester: Manchester University Press.
Beano (1938– to date). Dundee: D.C. Thomson.
Briggs, R. (1977) *Fungus the Bogeyman.* London: Hamish Hamilton.
Briggs, R. (1978) *The Snowman.* London: Hamish Hamilton.
Briggs, R. (1982) *When the Wind Blows.* London: Hamish Hamilton.
Briggs, R. (1998) *Ethel & Ernest.* London: Cape.
Bunty (1958–2001). Dundee: D.C. Thomson.
Dandy (1937– to date). Dundee: D.C. Thomson.
Frank, A. (1997) *The Diary of a Young Girl.* London: Penguin.
Graphic Novels in Libraries UK, discussion list. http://groups.google.co.uk/group/GNLIBUK?hl=en.
Gravett, P. (2004) *Manga: Sixty Years of Japanese Comics.* London: Laurence King.
Gravett, P. (2005) *Graphic Novels: Stories to Change Your Life.* London: CollinsDesign.

Gravett, P. (2006) *Great British Comics*. London: Aurum Press.
Jackie (1964–93). Dundee: D.C. Thomson.
McCloud, S. (1993) *Understanding Comics: The Invisible Art*. New York: Harper Perennial.
Owen, G. (2004) 'Child murder, incest and rape ... is this really how our schools should be encouraging boys to read?', *Mail on Sunday*, 21 November, p. 49. Available at http://forums.animeuknews.net/album_page.php?pic_id=38.
Styles, M. and Watson, V. (1996). *Talking Pictures: Pictorial Texts and Young Readers*. London: Hodder & Stoughton.
Twinkle (1968–99). Dundee: D.C. Thomson.
Victor (1961–92/3). Dundee: D.C. Thomson.



صدر أيضًا للناشر



تربية الأبناء



الطبعة الأولى: 2008
إعداد: سهام خضر
عدد الصفحات: 568
المقاس: 17 x 24
الترقيم الدولي: 0-069-377-977

Raising Children

First Printing: 2008
Prepared By: Khedr, Seham
Pages Number: 568
Size: 17 x 24
ISBN: 977-377-069-0

فهم الطفولة المبكرة

الطبعة الأولى: 2008
تأليف: هيلين بين
ترجمة: علا أحمد اصلاح
عدد الصفحات: 328
المقاس: 17 x 24
الترقيم الدولي: x-063-377-977

Understanding Early Childhood

First Printing: 2008
Author: Helen Penn
Translated by: Ahmed, Ola
Pages Number: 328
Size: 17 x 24
ISBN: 977-377-063-x

تحسين المدارس من خلال دور المعلم كقائد



الطبعة الأولى: 2008
تأليف: ألما هاريس، دانييل موجيس
ترجمة: علا أحمد اصلاح
عدد الصفحات: 236
المقاس: 17 x 24
الترقيم الدولي: 1-059-377-977

Improving Schools through Teacher Leadership

First Printing: 2008
Author: Alma Harris, Daniel Muij
Translated by: Ahmed, Ola
Pages Number: 236
Size: 17 x 24
ISBN: 977-377-059-1

Special Teaching for Special Children

First Printing: 2008
Author: Ann Lewis, Brahm Norwich
Translated by: Shahin, Bahaa
Pages Number: 351
Size: 17 x 24
ISBN: 977-377-066-4

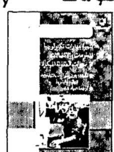


تعليم مميز لذوي الاحتياجات الخاصة

الطبعة الأولى: 2008
تحرير: آن لويس، برهام نورويتش
ترجمة: بهاء شاهين
عدد الصفحات: 351
المقاس: 17 x 24
الترقيم الدولي: 977-377-066-4

Supporting Early Learning Series
Supporting Information and Communications technology

First Printing: 2005
Author: John Siraj and Other
Translated by: Shahin, Bahaa
Pages Number: 199
Size: 17 x 24
ISBN: 977-377-026-5



سلسلة دعم التعلم المبكر
تنمية مهارات تكنولوجيا المعلومات والاتصالات

الطبعة الأولى: 2006
تأليف: جون سراج وآخرون
ترجمة: بهاء شاهين
عدد الصفحات: 199
المقاس: 17 x 24
الترقيم الدولي: 977-377-026-5

E-Moderating
The Key to Teaching and Learning Online

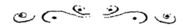
First Printing: 2004
Author: Gilly Salmon
Translated by: El Gamal, Hany
Pages Number: 284
Size: 17 x 24
ISBN: 977-377-005-2



التعلم عبر الإنترنت
دليل التعليم والتعلم باستخدام التكنولوجيا الحديثة

الطبعة الأولى: 2004
تأليف: جيلي سالمون
ترجمة: هاني الجمل
عدد الصفحات: 284
المقاس: 17 x 24
الترقيم الدولي: 977-377-005-2

Inv: 43
Date:24/10/2013



365 Ways to Connect with Your Kids
No Matter What Their Age (Or Yours)

First Printing: 2004
Author: Charlene Ann Baumbich
Translated by: Amin, Mohammed
Pages Number: 268
Size: 17 x 24
ISBN: 977-5919-97-5

365 طريقة للاتصال مع أطفالك باختلاف أعمارهم [أو عمرك]

الطبعة الأولى: 2004
تأليف: تشارلين آن بومبيخ
ترجمة: محمد أمين
عدد الصفحات: 268
المقاس: 17 x 24
الترقيم الدولي: 977-5919-97-5

Total Quality in Education And Labor Markets in Arab World

First Printing: 2003
Author: El Zawawi, Khaled
Pages Number: 188
Size: 17 x 24
ISBN: 977-5919-89-4



الجودة الشاملة في التعليم وأسواق العمل في الوطن العربي

الطبعة الأولى: 2003
تأليف: د. خالد الزواوي
عدد الصفحات: 188
المقاس: 17 x 24
الترقيم الدولي: 977-5919-89-4

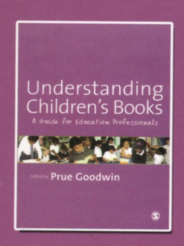
Rules and Stages Of Scientific Research

First Printing: 2004
Author: Abu Al-Nasr, Medhat
Pages Number: 335
Size: 17 x 24
ISBN: 977-377-006-0



قواعد ومراحل البحث العلمي

الطبعة الأولى: 2004
تأليف: د. مدحت أبو النصر
عدد الصفحات: 335
المقاس: 17 x 24
الترقيم الدولي: 977-377-006-0



"إن ما أسهم به قادة هذا المجال من كتابات مستنيرة مستقاة من واقع خبراتهم العملية يذكّرنا بمشاعر المتعة والرضا التي كان - ولا يزال - يبعثها في نفوسنا عالم كتب الأطفال المتنوّع الثري بفضل ما يحفل به من القصص الفكاهية الطريفة، والحكايات القديمة المثيرة، والنصوص التي تمدّنا بالكثير من المعلومات. كما يذكّرنا كذلك بأهمية حصول القرّاء الصغار على نصيبهم المستحق من هذه البهجة والمتعة".

إيف بيرن، كلية التربية، جامعة كامبريدج

تلعب كتب الأطفال دورًا حيويًا في مجال التربية والتعليم. ولذلك، فإن هذا الكتاب يقدّم للقارئ خير عون وأفضل دعم لاختيار أنسب ما يمكن تقديمه للأطفال الصغار من طرق التعليم، والتفاعل الإيجابي مع الفروق الفردية، وتنمية المهارات والقدرات الابتكارية لديهم. ويتناول كل فصل من فصوله موضوعًا مختلفًا، ودوره في مجال التربية والتعليم إلى جانب التوصية في نهاية كل فصل بالمراجع العشر التي ينبغي قراءتها للإحاطة بكل تفاصيل ذلك الموضوع.

وتشتمل موضوعات الكتاب على الآتي:

- كتب للأطفال الرُّضع.
- أعمال أدبية للأطفال الصغار.
- قصص خيالية.
- كتب مترجمة.
- قصائد شعرية.
- كتب مصوَّرة.
- كتب رسوم (جرافيكية).

ولذلك، يعد هذا الكتاب مرجعًا لا غنى عن قراءته لكلّ من المتخصصين في مجال الطفولة المبكرة، ورعاية الأطفال الصغار، والمدرسين الذين يتعاملون مع الأطفال بدءًا من مرحلة رياض الأطفال حتى سن الرابعة عشرة.

برو جودوين، مُحاضر فى مجال محو الأمية وكتب الأطفال.



Arab Nile Group
P.O. Box: 4051, 7th District
Nasr City 11727 Cairo / Egypt
Tel.: 00202/26717135 – 26717134
Fax: 00202/26717135
info@arabnilegroup.com
arab_nile_group@hotmail.com
www.arabnilegroup.com

ISBN: 978-977-377-112-5

